

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

ذِكْرُ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات

كانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي حضرها بنفسه سبعا وعشرين غزاة ، كلها بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهي :

غزوة الأبواء ، وهي غزوة ودَّان ، ثم غزوة بواط ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة ذي العُشيرة ، ثم غزوة بدر الكبرى ، ثم غزوة بني قينقاع ، ثم غزوة السَّويق ، ثم غزوة قرقرة الكُندر ، وهي غزوة بني سُليم ، ثم غزوة غطفان إلى نجد ، وهي غزوة ذي أَمْر^(١) ، ثم غزوة بني سُليم بِبُجْران ، ثم غزوة أُحد ، ثم غزوة حَمراء الأسد ، ثم غزوة بني النَّضير ، ثم غزوة بدر الموعِد^(٢) ، ثم غزوة ذات الرِّقاع ، ثم غزوة دومة الحنَـدل ، ثم غزوة بني المصطَلِق بالمريُسيـع ، ثم غزوة الحنَـدق ، وهي غزوة الأحزاب ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحِـيان ، ثم غزوة الغابَة ، وهي غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطَّائِف ، ثم غزوة تَبُوك ، ومنهم من عدَّ عمرة القِضَاء مع الغزوات ، وكانت بعد خيبر وقبل الفتح .

(١) ذو أمر : موضع بناحية النخيل نجد من ديار غطفان .

(٢) غزوة بدر الموعِد : هي بدر الآخرة ، وسميت بذلك للواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد .

قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوات في تسع ، وهي : بدر
الكبرى ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ،
والطائف ، وقيل : إنه قاتل في بنى النضير . والغابة .
وسراياه صلى الله عليه وسلم نحو من ستين سرية .^(١)

ذكر أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم

كان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة بن عبد المطلب
في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لواء أبيض ، حملة أبو مرثد
كزاز بن الحصين القنوي ، حليف حمزة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثلاثين رجلا من المهاجرين يعترض لغير قريش ^(٢) قد جاءت من الشام تريد مكة ،
وفيها أبو جهل بن هشام في ثلثائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ^(٣) ،
فالتقوا ، وصفوا للقتال ، فشى مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعا للفرقيين
جميعا ، إلى هؤلاء مرة ، وإلى هؤلاء مرة ، حتى حجز بينهم .^(٤)

ذكر سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره
في ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وعقد له لواء أبيض ،

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ،
وما لم يحضره ، بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو ، سرية وبعثا . راجع كتاب المغازي من كتاب المواهب
اللدنية ، ج ١ صفحة ٤٦٧ .

(٢) العيرها : الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها .

(٣) سيف البحر : ساحله . (٤) العيص : موضع بناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق

قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام .

حملة مِسْطَح بن أَنَاثَة بن المطلب بن عبد مناف . حكاه محمد بن سعد .
قال ابن إسحاق : أو ثمانين رجلا من المهاجرين ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل تَيْبَةَ
الْمَرَّة ، فلقى به جمعا عظيما من قريش .

قال الشيخ شرف الدين الديماطي رحمه الله : فلقى أبا سفيان بن حرب ، وهو
في مائتين ، على ماء يقال له أحياء ، من بطن رابع على عشرة أميال من الجحفة ، فكان
بينهم الزمى ولم يسألوا السيوف ولم يصطفوا للقتال ، وكان سعد بن أبي وقاص أول
من رمى بسهم في سبيل الله ، ثم أنصرف الفريقان على حاميتهم ؛ وكان على القوم^(١)
عكرمة بن أبي جهل . وقال أبو محمد بن هشام : كان عليهم مكرز بن حفص
ابن الأخياف .

قال ابن إسحاق : وفز من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرازي
حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن
عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصلا بهم .^(٢)
وقدم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة .

ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من
مهاجره في عشرين رجلا من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو
البهرازي ، وساروا يعترضون لعير قريش ، وعهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الأيحواز الخرار .

قال سعد : فخرجنا على أقدامنا ، فكنا نكن النهار ونسير الليل ، حتى صبحتناها
صبح خمس ، فنجد العير قد مرت بالأمس .

(١) حاميتهم : وجههم . (٢) الضمير في بهم يسود على الكفار . يريد : أنهما جملا
خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين . (٣) الخرار : موضع بالحجاز .

ذکر غزوة الأبواء وهي غزوة ودان^(١)

وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت في صفر على رأس آثني عشر شهرا من مهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، وأستخلف على المدينة سعد بن عبادة ، ونرج في المهاجرين ليس فيهم أنصارى حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش ، فلم يلق كيدا .

وفي هذه الغزاة وادع نخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ، على ألا يغزوا بني ضمرة ولا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينهم كتابا .

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذکر غزوة بواط

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص^(٢) ، وكان أبيض ، وأستخلف على المدينة سعد بن معاذ^(٣) . [وقال ابن هشام : استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون .

(١) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفا مايل إلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .

(٢) ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع على طريق الحاج .

(٣) زيد في أ : « لطلب كرز بن جابر الفهري » .

(٤) كذا في ح . وفي أ : « على بن أبي طالب رضی الله عنه » .

(٥) في أ : « زيد بن حارثة » .

وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش، فيها أمية بن خلف الجُمحى ومائة رجل من قريش وألف ونحسائة بعير، فبانغ بُوَاطا، وهي من جبال جُهينة من ناحية رَضْوَى، وهي قريب من ذى خُشب مما يلي طريق الشام، وبين بُوَاط والمدينة نحو من أربعة بُرد، فلم يلق كيدا، فرجع صلى الله عليه وسلم ^(١).

ذكر غزوة بدر الأولى ^(٢)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره، لطلب كُرْز بن جابر الفهري، وحمل لواءه على بن أبي طالب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على سرح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

ذكر غزوة ذى العُشيرة

العُشيرة، بالشين المعجمة، وقيل بالسین المهملة، وقيل: العُشيرا بالألف. غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة، على رأس ستة عشر شهرا من مهاجره، وحمل لواء حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سامة بن عبد الأسد المخزومي.

(١) اضطرب النص هنا في نسخة أ.

(٢) هذه الغزوة ساقطة من أ. وقد سماها ابن هشام أيضا بغزوة سفوان: وذكرها بعد غزوة

العشيرة. راجع صفحة ٤٧٨ ح أ من المواهب اللدنية.

(٣) السرح: الإبل والمواشى التي تسرح للرعى بالغداة.

ونُحِرَ في خمسين ومائة ، ويقال في مائتين من المهاجرين من أنتدب ، ولم يُكرِه أحدا على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيرا ^(١) يعقبونها ، ونُحِرَ يعترض لعير فريش حين آتت إلى الشام ، فبلغ ذا العشرة ، وهي لبني مُدَلج بناحية يذُوع ، فوجد العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهي العير التي خرج أيضا يُريدها حين رجعت من الشام ، فكانت فيها وقعة بدر الكبرى .

وفي هذه الغزاة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مُدَلج وحلفاءهم من بني صَمْرَةَ . وفيها كُتِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أبا تُراب ، وقيل في غيرها .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَجَشِ الْأَسَدِيِّ إِلَى نَخْلَةَ

- ١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجرة في أنحى عشر رجلا من المهاجرين ، كل اثنين يعقبان بعيرا . قال ابن إسحاق : وكتب [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ويمضي لما أمره به ، ولا يستكره أحدا من أصحابه .

١٥

(١) يعقبونها : يتأوبون ركوبها .

(٢) قال السهيلي : في الروض ج ٣ ص ٥٨ « إن أصحاب الأبقال في تكتبة على أبي تراب ما رواه البخاري في جامعه وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد نائما وقد ترب جنبه فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة » .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

قال : وكان معه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن ، وعتبة ابن غزوان بن جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله التميمي ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، وسهيل بن بيضاء . هؤلاء الذين عدّهم ابن إسحاق ؛ وكان معهم المقداد بن عمرو ، حكاه محمد بن سعد .

قال ابن إسحاق : فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه :
 ” إذا نظرت في كتابي هذا فأمض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم “ . فلما نظر عبد الله في الكتاب قال : سمع وطاعة . ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم : قد نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فأمض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففضوا كلهم ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق القرع يقال له بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرهما ، فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمست به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما^(١) وتجارة من تجارة قريش — قال ابن سعد : ونحرا — وفيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما راهم القوم هابوهم ؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم ؛ فأمنوا . وقال لهم عثمان : لا بأس عليكم منهم . قال : فسرحوا ركابهم ، وصنعوا طعاما . قال : فتشاور القوم فيهم ، وذلك آخر يوم من شهر رجب ، فقالوا : والله لئن

(١) الأدم : الجلد . (٢) انظر شرح المواهب ١ : ٤٧٩ .

(٣) في طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥ : « وقالوا هم عمار » .

تركنهم في هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ، وإن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ؛ فخرج واقد بن عبد الله يقدم المسلمين ، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، وأستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله وأصحابه بالعبير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدموا عليه قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ووقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فأسقط في يد القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا .

- ١٠ وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال ؛ وأكثر الناس في ذلك ، فأنزل الله تعالى :
- ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾
- أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ ؛ أى قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم ، فذاك أكبر عند الله من القتل .

(١) في سيرة ابن هشام : ح ٢ ص ٢٥٤ : « وأفلت القوم نوفل » .

(٢) أسقط في يد القوم : « زلوا وأخطوا وندموا وتحجروا » .

(٣) في ح : « وأخذوا الأموال » .

قال : فلما نزلت الآيات قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ،
وبعثت إليه قريش في فدائهما ، فقال : لا . حتى يقدّم صاحبانا ، يعني سعد
ابن أبي وقاص ، وعُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ ، فإنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقنلوهما تقتل
صاحبَيْكم . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ فأسلم وحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بدر معونة شهيدا ، وأما عثمان فليحق بمكة ، فكان بها حتى
مات كافرا .

قال : فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمِعوا في الأجر ،
فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها اجرَ المجاهدين ؟ فأنزل الله
تعالى فيهم : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيلِ الله أولئك يرجون
رحمةَ الله واللهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ ، قال : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفءَ فجعل
أربعة أحماسه لمن أفاءه ، ونُخسَه إلى الله ورسوله .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمي
أول من قتل المسلمون ، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون . وفي هذه السرية
سُمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

وقال عبد الله بن جحش في هذه للواقعة ، ويقال إنها لأبي بكر الصديق
رضي الله عنه ؛ والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش ، أباينا يخاطب
بها قريشا :

تعدون قتلاً في الحرام عظيمَةً وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشدُ
صدودكم عما يقول محمدٌ وكُفّرَ به واللهُ راءٍ وشاهدُ

وإخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى الله في البيت ساجد
فإننا وإن غيرتمونا بقتله وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحتنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القد عاند^(١)

(٢)

• ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بإقبال
أبي سفيان بن حرب من الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها
في غزوة ذي العشيرة، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون
أو أربعون، منهم مخزومة بن نوفل، وعمرو بن العاص بن وائل، فندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا
إليها لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، نخف بعضهم وثقل بعض.

(٣)

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان
عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تخوفا على ما معه، فأخبره بعض الركبان: أن

(١) القد: شرك يقطع من الجلد. وفي شرح المواهب ١: ٤٨١: «عائد».

(٢) وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر: قرية بين مكة
والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة، وقيل ماء مشهور أسفل وادي الصفراء، ويقال: إنه ينسب
إلى بدر بن يخلد وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع شرح المواهب
اللدنية ج ١ ص ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

(٣) التحسس: أن تسمع الأخبار بنفسك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه لقصدته، فحذر عند ذلك، وأستأجر ضمّم بن عمرو الغفارى؛ فبعثه إلى مكة، وأمره أن يستنفر قريشا إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمّم إلى مكة .

ذِكْرُ رُؤْيَا عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَنُحُورِ قُرَيْشٍ إِلَى بَدْرِ

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعُروة بن الزبير رضى الله عنهم .

قالا : ورات عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمّم مكة بثلاث رؤيا أفرغتها، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له : والله لقد رأيت رؤيا أفضعتنى وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ أو مصيبة، فاكنتم عنى ما أحدثك به، قال : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح^(١)، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا أنفروا يا آل عُدر^(٢) ! لمصارِعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها : ألا أنفروا يا آل عُدر ! لمصارِعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على

(١) الأبطح : سبيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٢) في اللسان : عُدر معدول عن غادر للبالغة ، ويقال للذكر : عُدر ، والأنثى غدار ، وهما مختصان بالنداء في الغالب ، وقد ضبطه السهيلي بضم العين والدال . (راجع ج ٢ صفحة ٦١ من الرض الأنف) .

رأس أبي قيس^(١) فصرخَ بمنهالها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكة^(٢) فلا دارٌ منها إلا دخلتها منها فلقه ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتمينا^(٣) .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتبة بن ربيعة ، وكان صديقاله ؛ فذكرها له وأستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة ؛ ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : فغدوت لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأت إلينا ، فلما فرغتُ أقبلت حتى جالست معهم ؛ فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة ، فقلت : وما رأيت ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم ! فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب ؛ قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبيرٌ إلا أتني بحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئا ، قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم تكن

(١) أبو قيس : جبل مشرف على مكة . (٢) في سيرة ابن هشام : « فأرسلها فأقبلت

تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقه » .

وفي ح : « ولادار » . (٣) وفي رواية : « رأيت » .

(١) عندك غيرة لشيء بما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ؛ وأيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لأكيفنكته .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مغضبٌ أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيتُه ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال ، فأوقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشدُّ ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلُّ هذا فرق مني أن أشأته ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوتٌ ضمضمٌ بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله ، وشقَّ قبيصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة^(٢) اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها مجد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ! قال العباس : فشغلني عنه ، وشغله عني ماجاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعا وقالوا : أياظن مجد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ كلاً ! والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث رجلا مكانه ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، أستأجره بأربعة آلاف درهم كانت لأبي لهب عليه ، فخرج عنه .

(٦) وروى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسند يرفعه إلى مصعب بن عبد الله قال :

(١) في السيرة ج ٢ ص ٢٠٦ والطبرى ج ٣ — ٤ ص ١٢٩٤ : « غير » . (٢) يشد : يعدو .

(٣) جدع بعيره : قطع أذنيه . (٤) اللطيمة : الإبل التي تحمل الطيب والبر .

(٥) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو . (٦) راجع الأغاني (ج ٤

ص ١٧٤ طبع دار الكتب المصرية) ، والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا .

قَامَرَ أَبُو لُحَبِّ الْعَاصِي بْنِ هِشَامٍ فِي عَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَقَمَرَهُ ، ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ
 فَقَمَرَهُ ، [ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ فَقَمَرَهُ] ^(٢) ، إِلَى أَنْ خَلَعَهُ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي أَرَى الْقِدَاحَ قَدْ حَالَفْتِكَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَهَلُمَّ أَقَامِرَكَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ،
 فَأَيْتًا غُلِبَ كَانَ عَبْدًا لِصَاحِبِهِ . قَالَ : أَفْعَلْ ، فَفَعَلَ . فَقَمَرَهُ أَبُو لُحَبِّ ، فَكَّرَهُ
 أَنْ يَسْتَرْقَهُ فَتَغَضِبَ بَنُو مَخْزُومٍ ، فَخَشِيَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَقْتَدُوهُ مِنِّي بِعَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ .
 فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ وَلَا يَوْبَرَةَ . فَاسْتَرْقَهُ ، فَكَانَ يَرعى لَهُ إِبِلُهُ إِلَى أَنْ نَحَرَ الْمُشْرِكُونَ
 إِلَى بَدْرٍ . قَالَ : وَقَالَ غَيْرُ مُصْعَبٍ : فَاسْتَرْقَهُ وَأَحْتَبَسَهُ قَيْنًا يَعْمَلُ [الْحَدِيدَ] ^(٤) . فَلَمَّا
 نَحَرَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَدْرٍ أَخْرَجَهُ أَبُو لُحَبِّ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيلاً ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَادَ
 أَعْتَقَهُ ، فَقَبِلَ الْعَاصِي .

١٠ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ قَدْ أَجْمَعَ الْقُعُودَ [وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا
 جَسِيًا ثَقِيلًا] فَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ قَوْمِهِ بِمِجْمَرَةَ ،
 فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، أَسْتَجِيرُ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ . فَقَالَ :
 قَبِّحَكَ اللَّهُ وَقَبِّحَ مَا جِئْتَ بِهِ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ .

١٥ . قَالَ : وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ ، وَأَجْمَعُوا الْمَسِيرَ ، ذَكَرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا .
 فَكَادُوا يَنْتَنُونَ ؛ فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةِ بْنِ مَالِكِ الْمُدَلِّجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ
 أَشْرَافِ كِنَانَةَ ، فَقَالَ : أَنَا جَارٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا
 تَكْرَهُونَهُ نَفْرَجُوا سُرَاعًا .
 هذا ما كان من أمر قريش .

٢٠ . (١) قره : غلبه في المقامرة . (٢) زيادة عن ح . (٣) القين : الحداد .
 (٤) زيادة عن ح . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام .
 (٦) في السيرة : « بمجمة يحملها ، فيها نار وبجر » .

ذِكْرُ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمَسْلُومِينَ إِلَى بَدْرٍ

قال محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان .

وقال محمد بن سعد : خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره ، وأستعمل على المدينة عمرو ابن أم مكتوم ، وأسمه عبد الله ، ليصلي بالناس ، ثم ردّ أبا لُبَّابة من الرّوحاء (١) وأستعمله على المدينة ، وخرج صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة رجل وخمسة عشر رجلا ، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون ، وسائرهم من الأنصار بعد أن ردّ من أصحابه من استصغروهم ، ولم يكن غزوا بالأنصار قبلها .

قال محمد بن سعد : وتخلّف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية لعلّة ، ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماهم وأجورهم ؛ ثلاثة من المهاجرين : وهم عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت ، وطلحة بن عبّيد الله ، وسعيد بن زيد ، بعثما يتحسّسان خبر العير ، وخمسة من الأنصار ، وهم : أبو لُبَّابة بن عبد المنذر ، خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى ، خلفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطب ، رده من الرّوحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصّمة ، وخوات بن جبير ، كُسرا بالرّوحاء .

(١) الرّوحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا يعتقبونها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه، ومرثد ابن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال : كُنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة، وعلى، زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اركب يا رسول الله حتى نمشى عنك ، فيقول : ” ما أنتم بأقوى على المشى منى، وما أنا أغنى عن الأجر منكم “ .

قال ابن إسحاق : وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ، وكان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، يعتقبون بعيرا .

قال ابن سعد : وكانت الخليل فرسين : فرس للقناد بن عمرو، وفرس لمرثد ابن أبي مرثد الغنوى . قال ابن إسحاق : وفرس للزبير بن العوام .

قال : ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مُضْعَب بن عُمير بن هاشم ابن عبيد مناف بن عبد الدار، وكان أبيض ، قال : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبي طالب ، والأخرى مع الأنصار .

قال ابن سعد : وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بنى مازن بن النجار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء الجهنين إلى بدر
يتحسنان له الأخبار عن أبي سفیان وعيره .

ثم آرتحل صلى الله عليه وسلم إلى ذفران - وإد يسار الصفراء - وأتاه الخبر
بمسير قريش ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم ، فقام أبو بكر الصديق
فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال :
يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو
إسرائيل : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن نقول : اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى
برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيرا ، ودعا له .

ثم قال : أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس -
فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ؛ قال : فقد
آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل
واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ،

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع في طريق الحاج ، وبينه وبين بدر
مرحلة . وقيل : قرية فوق ينبع مما يلي المدينة .

(٢) برك الغماد (بكسر الغين المعجمة ، وقال ابن دريد : بالضم ، والكسر أشهر) : موضع في أقصى
أرض هجر ، وقيل : موضع في أقصى اليمن . وقال الهمداني : موضع بالحبيشة .

لعلَّ الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ” سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم “ .

- ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من ذفران^(١) حتى نزل قريبا من بدر ، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أمتنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أو ذاك بذاك ؟ قال نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق^(٢) الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي ترك به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه — وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقتي فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي به قريش — ثم قال : من أمتنا ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ويقال : إن الشيخ سفيان الضمري . قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتمسون له عليه الخبر ، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بنى^(٣) الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص ، فأتوا بهما ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ، فقالا : هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لها : كم القوم ؟ قالا : كثير ؛ قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى .

(١) ذفران (فتح أوله وكسر ثانيه ثم راه . هملته وآخره نون) : واد قرب وادي الصفراء .

(٢) في أ : « فإنهم اليوم » .

(٣) الراوية : الإبل التي يستقى عليها الماء .

قال : كم يَخْرُونَ كل يوم؟ قالوا : تسعا، ويوما عشرا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لها : فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن حويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونبيه ومُنَبِّه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد وُدّ ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت أفلاذ كبدها.

قال : وبلغ أباسفیان الخبرُ بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ماء بدر، فرجع إلى أصحابه سريعا وصرف وجهه عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدرا يساره ، وأطلق . وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة^(٢) ، رأى جهم بن الصلت بن مخزومة ابن عبد المطلب رؤيا فقال : أتى فيما يرى النائم ، أو إني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن كان قُتل يوم بدر من أشرف قريش ، ورأيتُه ضرب في لَبَّة بعيره ، ثم أرسله في العسكرة ، فما بقي خِباء من أخبية العسكرة إلا أصابه نضح من دمه^(٤) .

قال : فبلغتُ أبا جهل بن هشام فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

(١) ساحل بها : أى أخذها جهة الساحل .

(٢) الجحفة : قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة .

(٣) فى ١ : « وإني » . (٤) النضح : الرش .

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّأها الله فأرجعوا؛ فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرا؛ وكان بدر^(١) موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام، فنقم عليه ثلاثة، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا .

فحضت قريش حتى نزلوا العُدوة^(٢) القُصوى من الوادي، والقلب^(٣) بيدر في العُدوة الدنيا، قال: وبعث الله السماء، وكان الوادي دهساً^(٤)، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير .

وقال ابن سعد: كان المسامون يومئذ يميدون من النعاس ونزلوا على كَثِيب^(٦) أهيل، فطارت السماء فصار مثل الصفا يسعون عليه سعيًا . وأنزل الله تعالى: ﴿ إِذْ يَنْشَأُ لَكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ .

قال ابن إسحاق: وأصاب قريشا منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبأدرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء

(١) القيان: الجوارى .

(٢) العُدوة القُصوى: أى جانب الوادي القريب من مكة .

(٣) القلب: جمع قلب، وهو البئر .

(٤) العُدوة الدنيا، أى بالجانب الأدنى من المدينة .

(٥) الدهس: كل مكان سهل ليس برمل ولا تراب .

(٦) كَثِيب أهيل: أى رمل سائل .

(٧) الصفا: الحجارة الصلدة .

(٨) فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو .

من ماء بدر نزل به ، فأناه الحُبَابُ بن المنذر بن الجَمُوح فقال : يا رسول الله ، هذا المتزلُّ منزلٌ أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحربُ والمكيدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بل الرأى والحربُ والمكيدة ” . قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من القوم فتزله ، ثم نَعُورْ ما وراءه من القُلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنعلاهُ ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرتُ بالرأى » ، فنهض بالناس وسار حتى [إذا] أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ؛ ثم أمر بالقُلب فَعُورَتْ ، وبني حوضاً على القليب الذى نزل عليه ، فَعُلَى ماءً ، ثم قذفوا فيه الآنية .

فقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ، نبئتني لك عريشاً تكون فيه ، وتكون عندك ركائبك ، ثم تلقى عدوتنا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدوتنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فليحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام مانحن بأشد لك حُباً منهم ، ولو ظنوا أن تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يُناصحونك ويجاهدون معك ؛ فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه خيراً ، ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه . قال : وأرتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” اللهم هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها ونفخها ، تُحاذك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم أحمهم الغداة ” .

(١) نغور القلب : ندفنها . (٢) عن سيرة ابن هشام . (٣) العريش : شبه الخيمة يستظل به . (٤) الخيلاء : الكبر والإعجاب . (٥) تحاذك : تعادبك . (٦) أحمهم : أى أهلكهم .

٨
١٥

قال ابن سعد : كانت قريش تسعمائة وخمسين ، وخيلهم مائة فرس ، وكان لهم ثلاثة ألوية ؛ لواء مع أبي عَزِيز بن عُمَيْر ، ولواء مع النَّضِير بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره ، عن أشياخ من الأنصار ، قال :

- لما أطمأنَّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحِيَّ فقالوا : ^(١) أحرر لنا أصحابَ عهد ،
بِفَالٍ بفرسه حول العَسْكَر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثائة رجل يزيدون قليلا
أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ، أَلِقَوْمٌ كَبِيرٌ أو مدد ؟ قال : فضرب
في الوادي حتى أبعده ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني
رأيت يا معشر قريش البَلَايا تَحْمِلُ المَنَايا ، نواضح يَثْرِبَ تَحْمِلُ المَوْتَ النَّاقِع ، قوم
ليس معهم [منعة] ^(٢) ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترؤنهم خُرْصا لا يتكلمون ، يتلمظون
١٠ تَلْمِظُ الأَفَاعِي ؛ والله ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتى يُقْتَلَ رجلٌ منكم ، فإذا
أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرؤوا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى في الناس ؛ فأتى عُبَيْة بن ربيعة فقال :

يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاعُ فيها ، هل لك ألا تزال تُذَكِّرُ منها بخير
١٥ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك يا حَكِيم ؟ قال : تَرَجِعُ بالناس وتحمِلُ أمرَ حليفك
عَمْرُو بن الحَضْرَمِيِّ . قال : قد فعلتُ ، على عَقْلِهِ ؛ فأتى ابنَ الحَنْظَلِيَّة ، يعنى
أبا جهل بن هشام ، قال : فأتيته فقلتُ : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عُتْبَةُ

(١) الحزر : التقدير بالحدس والظن . (٢) البَلَايا : جمع بَلِيَّة ، وهي الناقة تربط على قبر الميت

فلا تغلف ولا تسقى حتى تموت . وكان بعض العرب من يفر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .

٢٠ (٣) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء . (٤) الناقع : الثابت البالغ في الإفناء .

(٥) ساقطة من أ . (٦) عقله : دينه .

بكذا وكذا ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى مجدا وأصحابه ، كلا والله لا نرجع
 حتى يحكم الله بيننا وبين مجد ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك
 يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل
 أخيك . فقام عامر فأكتشف ثم صرخ : وا عمراه ! وا عمراه ! فخميت الحرب
 وحقب أمر الناس ، وأستوسقوا على ما هم عليه من الشر . قال : نخرج الأسود بن
 عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن
 من حوضهم أو لأهدمته ، أو أموتن دونه ، نخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ،
 فلما ألتقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على
 ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يبرئ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله .
 ثم نرجع بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبه بن ربيعة ، وأبنيه الوليد بن
 عتبة ، حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة ، نخرج إليه ثلاثة من الأنصار ،
 وهم : عوف ومعوذ أبناء الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟
 فقالوا : رهط من الأنصار ؛ قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى منادهم :
 يا مجد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) يقال : « انتفخ سحره » لخبان الذي ملا الخوف جوفه . والسحر : الرنة .

(٢) انشد خفرتك : أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم

وجارا .

(٣) اكتشف : نرى من ثيابه . وفي الطبقات : « فكشف عامر وحث على استه التراب » .

(٤) كذا في ج وفي معظم المراجع . وفي أ : « العرب » .

(٥) حقب : اشتد .

(٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) أطن : أطار .

عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما ذنوا منهم قالوا: من أتم؟ فسُمي كل رجل منهم نفسه، قالوا: نعم أكفء كرام؛ فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة وعلي - فإنهما لم يُمهلًا مُبارزتهما أن قتلاهما، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلي - بأسيافهما على عتبة فذَقَّا^(٢) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه^(٣).

قال محمد بن سعد: وفي عبيدة وعتبة نزل قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ . قال: ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة .

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش، فدخله هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقولُ فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله مُنجزك ما وعدك .^(٤)
وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم أنتبه، فقال: أشيرا يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع .^(٥)

(١) أثبت صاحبه: جرحه جراحة لم يقم معها . (٢) ذنبا عليه: أسرعا قتله .

(٣) حازاه: ساراه به في رفق . وفي أ: « جازاه » .

(٤) يناشده: يسأله ويرغب إليه . (٥) خفق: نام نومًا يسيرًا .

(٦) النقع: الفبار .

قال ابن إسحاق : ورُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقُتِلَ ، وكان أول قتيل قُتِلَ من المسلمين ، ثم رُمي حارثة بن سُرَاقَة ، أحد بني عَدِيّ بن النجَار ، وهو يشربُ في الحوض بسهم ، فأصاب نَحْرَه ، فُقُتِلَ .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يُحَرِّضُهُمْ ، وقال : «والذي نفسُ محمد بيده لا يقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيقتلُ صابراً محتسباً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ ، إلا أدخله الله الجنة» ، فقال عُمر بن الحُمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلُهن : ^(١) مَجَّ بَجْ ! أفا بنى وبين أن أدخلَ الجنةَ إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتِلَ .

وقال عَوْفُ بن الحارث — وهو ابنُ عَفراء — يا رسول الله : ما يُضْحِكُ الرَّبَّ ^(٢) من عبده ؟ قال : نَمَسُهُ يَدَه في العَدْوِ حَاسِراً . فَنَزَعَ دِرْعاً كانت عليه ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ .

قال : ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْنَةَ من الحَصْبَاءِ فاستقبل بها قريشاً ، ثم قال : شأهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شُدُّوا ؛ فكانت الهزيمةُ على قريش ، فقتل الله من صناديد قريش من قتل ، وأسر من أسر .

قال محمد بن سعد : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما نزلت : ﴿ سَيِّمُزْ الْجَمْعُ وَيُوتَلُونَ الدُّبْرُ ﴾ ، قلت : وأى جمع يُهْزَمُ ومن يَغْلِبُ ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثْبُ في الدرع وثباً وهو يقول : ﴿ سَيِّمُزْ الْجَمْعُ وَيُوتَلُونَ الدُّبْرُ ﴾ ، فعلمت أن الله تعالى سيهزمهم .

(١) بَجْ : (بكسر الخاء وإسكانها) : كلمة يقال في موضع الإعجاب .

(٢) يضحك الرب : أى يرضيه غاية الرضا . (٣) شأهت : قبحت .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال : ولما وضع القوم أيديهم بأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [في العريش^(١)] وسعد بن معاذ قائم على باب العريش ، متوشح السيِّف ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ العدو ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له : لَكَأَنِّي بِكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ ؛ قال : أَجَلْ : والله يا رسول الله ، كانت أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرْكَ ، فَكَانَ الْإِنْتِخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين .

قال محمد بن سعد : لما صَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم للحرب ، جاءت رِيحٌ لم يَرُ مِثْلَهَا شِدَّةً ثم ذهبت ، بجاءت رِيحٌ أخرى ثم ذهبت ، بجاءت رِيحٌ أخرى ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن مَيْمَنَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن مَيْسَرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سِيَمَا الملائكة يومئذ عمائم قد أرخوها بين أكفاهم : خُضْرٌ وَصُفْرٌ وَحُمْرٌ مِنْ نَوْرٍ ، وَالصُّوْفُ فِي نَوَاصِي خِيَلِهِمْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إِنَّ الملائكة قد سَوَّمت فسوِّموا . فَأَعْلَمُوا بالصوف في مَغَافِرِهِمْ وَقَلَابِسِهِمْ .

قال : وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلُقٍ .

وقال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّثَ عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَّارٍ قَالَ :

(١) زيادة عن الطبري وابن هشام . (٢) المغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

أقبلتُ أنا وأبن عم لي حتى أصعدنا في جبل يُشرف [بنا] على بدر [ونحن مشركان] ^(٢)
 ننظرُ الوقعة على من تكونُ الدائرةُ، نتهب مع من يتهب ، فبينما نحنُ في الجبل
 إذ دنت منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حَمَمَةَ الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم ^(٤)
 حيزوم . قال : فأما ابنُ عمي فأنكشف قناع قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكفدت
 أن أهلك ، ثم تماسكت .

وروى ابن إسحاق عن أبي أسيد مالك بن ربيعة — وكان شهد بدرًا —
 قال — بعد أن ذهب بصره — : لو كنتُ اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم
 الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارى ^(٥) .

وعن أبي داود المازني ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر
 لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قتله غيرى .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : كانت سما الملائكة يوم بدر
 عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء ، وفي حديث آخر عن
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، كانت سما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد
 أرخوها على ظهورهم . إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم
 بدر ، وكانوا فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضر بون .

(١) زيادة عن ج . (٢) زيادة عن الطبري ، وابن هشام .

(٣) في المواهب الدنية ، والروض الأنتف : « الدبرة » ، ومعناها : الهزيمة .

(٤) أقدم . كما صوّبه صاحب اللسان : كلمة تزيدها الخيل . وحيزوم : اسم فرس جريد

عليه السلام . ويقال فيه : « حيزون » .

(٥) الشعب : الطريق في الجبل . (٦) أتمارى : أشك .

١٠
١٥

٥

١٠

١٥

٢٠

قال : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو [يقاتل و] يقول :^(١)

ما تنقِم الحرب العوان مني * بازلُ عامين حديثٌ مني^(٢)

* لِئَلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي *

- قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر أن يلتبس أبو جهل بن هشام في القتلى ، فمَرَّ به عبدُ الله بن مسعود ، قال : فوجدته بأخر رمقٍ ففرقته ، فوضعت رجلي على عنقه ، فقال لي : لقد أرتقيت يا رويبي الغنم مُرتقى صعبا ، ثم قال : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقلت : لله ولرسوله ؛ ثم أحتزرت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل ؛ فقال : آله الذي لا إلهَ غيره ؟ قلت : نعم والله الذي لا إلهَ غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب ، طرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ

في درعه فملاها فذهبوا ليحرقوه فترايل^(٤) ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب

- والحجارة ، قالت : ولما ألقوا في القليب ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإني قد وجدت ما وعدني

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . (٢) الحرب العوان : هي التي قوتل قبلها مرة . البازل :

أصله في البعير ، يقال : بعير بازل ، إذا استكمل السنة الثامنة ، وطعن في التاسعة ، والكلام هنا على التشبيه ،

يريد أن يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . (٣) « آله الذي لا إله إلا هو » : كانت

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو بالخفض عند سيويه لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده .

راجع الروض الأنف ج ٢ ص ٧٢ . (٤) ترايل : تفرق لعله .

ربى حقا» قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » . وعن أنس رضى الله عنه نحوه ، إلا أن فيه : فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوماً قد جيفوا^(١) ؟ قال : « ما أتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يُجيبوني » .^(٢)

قال ابن إسحاق : وكان الفتيّة الذين قُتلوا ببدرٍ - فترز فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَإِسْمَةٌ فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا أُوهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ - الحارث بن زعمرة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ابن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص ابن منبه .

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آباؤهم وعشائرتهم بمكة وفتنّوهم فأفتنّوا ، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا كلهم .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر مما جمع الناس بجمع ، وأختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يُخالف إليه العدو : ما أتم بأحقّ منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذ منعنا الله

(١) جيفوا : صاروا جيفا .

(٢) اجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى « وما أنت بمسمع من في القبور » ، تجده واضحا

في الروض الأتف ، جزء ٢ ص ٧٤ ، وفي شرح المواهب اللدنية جزء ١ ص ٥٢٢ .

•

١٠

١٥

٢٠

أَكْتَفَهُمْ ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، وليكنّا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ككرة العدو فقمنا دونه ، فأتتم أحق به منا .
فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفالِ قُلِ الْأنفالُ لِلَّهِ وَالرَّسولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، نزلت السورة مجملتها في غزوة بدر .

٥ قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأَسَارَى من المشركين والنَّفَلِ^(١) ، وجعل على النَّفَلِ عبد الله بن كعب المازني ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضيق الصفراء ، نزل على كَيْتَبِ بين المضيق وبين النازية ، يقال له : سَيْر ، إلى سَرْحَة [به] وهو من المدينة على ثلاث ليال ، فقسم هناك النَّفَلِ الذي أفاء الله على المسلمين على السواء .

١٠ قال ابن سعد : وتنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيْفَهُ ذَا الْفَقَّارِ ، وكان لمنبه بن الحجاج ، فكان صفيه يومئذ ؛ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه مع المسلمين ، وفيه حمل أبي جهل بن هشام ، وكان مَهْرِيَا^(٦) ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة ، وبعث عبد الله بن رَوَاحَة إلى أهل العالية .

١٥ قال ابن سعد يرفعه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة ، كما خرج ظالوث ،

١١
١٥

(١) النفل : الغنيمة . (٢) في الأصل : « المضيقين » وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٣) النازية : عين على ضريق الآخذ من مكة إلى المدينة ، قرب الصفراء .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . (٥) نكلة من ابن هشام .

(٦) مهري : نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان بانيمن .

فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا، فقال: "اللهم إنهم حُفَاةٌ فَأَجْلِهِمْ ، اللهم إنهم عُرَاةٌ فَأَكْسِمُكُمْ ، اللهم إنهم جِيَاعٌ فَأَشْبِعِهِمْ" .
ففتح الله يوم بدر فأنقلبوا حين أنقلبوا ، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جنين ، فأكتسوا وشيعوا .

وقال يرفعه إلى عكرمة قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أهل بدر : عليك بالغير ليس دونها شيء ، فناداه العباس : إنه لا يصلح ذلك لك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين ، فقد أعطاك ما وعدك .

ذِكْرُ وُرُودِ الْخَبْرِ بِمُصَابِ أَهْلِ بَدْرِ عَلَى مَنْ بِمَكَّةَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَهَلَاكِ أَبِي لَهَبٍ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

قال ابن إسحاق : كان أول من قدم مكة بمصاب قریش الحَيَسِيَّانِ بن عبد الله الخَزَاعِيَّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحَكَمِ بن هشام ، وأمِيَةُ بن خلف ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وَنُبَيْهَةٌ ومُنْبَهَةُ ابْنَا الحِجَّاجِ ، وأبو البَخْتَرِيِّ ، وجعل يمدد أشرف قریش ، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر ، : والله إن يعقل هذا فاسألوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامه [وكان

ذامال كثيرٌ متفرق في قومه^(١). وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص
ابن هشام بن المغيرة [وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً]^(١)،
فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كتبته الله وأخزاه^(٢)، ووجدنا في أنفسنا قوة
وعزاً، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حجرة زمزم، فوالله
إني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسةً، وقد سرنا ما جاءنا من
الخبر إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجله بشر، حتى جلس على طنب الحجر^(٣)، وكان ظهري
إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس^(٤): هذا أبو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلمّ إلىّ، فيندك لعمري الخبر. قال: بفس
إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال:
والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فنحناهم أكَافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا
كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما ملئتُ الناس، لقينا رجلاً بيضاً، على خيل بلق
بين السماء والأرض، والله ما تُلَيِّق شيئاً ولا يقوم لها شيء^(٥).

قال أبو رافع: فرفعتُ طنب الحجر [بيدي]^(٦) ثم قلت: تلك والله الملائكة.
قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فتاورته فأحتملني،
فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل
إلى عمود من عمد الحجر فأخذته فضربت به ضربة فلقت رأسه شجّة منكراً، وقالت:
١٥

(١) زيادة من سيرة ابن هشام . (٢) كبه : أذله .

(٣) طنب الحجر : طرفها . والطنب أيضا : حبل طويل يشد به سراق البيت .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « للناس » . (٥) ما تليق : ما تليق .

(٦) صافقة من أ . (٧) ثورته : وائته .

(٨) كذا في أ . وفي ج : « فلقت في رأسه » . وفي السيرة : « فلقت في رأسه » .

أستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .^(١)

وقالت قريش في قتلى بدر مرثى كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره ، تركنا إيرادها رغبة في الاختصار ، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدده ، إلا أنها تشهد بقتل من قُتل ممن نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان جميع من شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ومن ضرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون .

فأما من شهد بدرا من المهاجرين ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، فشهدها من بنى هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلا ، وهم : سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد ابن حارثة ، وأنسة الحبشي ، وأبو كَيْبِشَةَ الفارسي ، موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو مرثد كَنَاز بن حُصَيْن ، وأبْنُهُ مَرْتَدُ ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخواه : الطَّيْلُ ، والحصين ، ومسطح ، وأسمه عَوْفُ بن أُنَاطَةَ بن عباد بن المطلب .^(٣)

(١) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون . وكان العرب يتشاءمون بها ، ويرون أنها شديدة العدوى .

(٢) في أ : « ثلثمائة وثمانون » وهو خطأ .

(٣) كذا في ج ، وهو يوافق ما في السيرة وأسد الغابة . وفي أ : « ابن عبد المطلب » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلا،
 وهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولاة . ومن حلفائهم من بنى أسد
 ابن خزيمَةَ عبد الله بن جحش بن رثاب ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع بن وهب
 ابن ربيعة ، وأخوه عتبة ، ويزيد بن رقيش بن رثاب ، وأبو سنان بن محصن
 ابن حُرثان أخو عكاشة ، وأبنة سنان ، ومحرز بن نضلة بن عبد الله وربيعة بن
 أكرم بن سخبرة بن عمرو . ومن حلفائهم بنى كبير بن غم بن دودان بن أسد :
 ثقف بن عمرو ، وأخواه مالك ، ومدلج ، وهم من بنى حجر آل بن سليم ،
 وأبو مخشي ، حليف لهم .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما : عتبة بن غزوان ، وخباب
 مولاة .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم : الزبير بن العوام
 وحاطب بن أبي بلتعة ، وسعد مولاة .

ومن بنى عبد الدار رجلان، وهما : مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
 ابن عبد الدار، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمِلَةَ ، ويقال : ابن حرملة بن مالك بن
 عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار .

(١) هذه رواية ابن هشام . وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة : « رقيش بن رباب » .
 وفي الأصول : « قيس بن رثاب » .

(٢) في أ : « محصن وحُرثان » .

(٣) كذا في السيرة ، وفي أ « كثير » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول : وفي رواية أخرى لابن هشام ، وفي الاستيعاب : « مدلاج » .

ومن بني زُهرة بن كلاب وحلفائهم تسعة نفر، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب ، وأخوه عمير بن أبي وقاص . ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن مسعود ابن الحارث ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو ، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة ، وخباب بن الأرت .

ومن بني تيم بن مرة ومواليهم أربعة نفر ، وهم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومواليه ، بلال بن رباح ، وعامر بن فهيرة ، وصهيب بن سنان .

ومن بني مخزوم خمسة نفر ، وهم : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وشماس بن عثمان بن الشريد ، وأسم شماس عثمان ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أسد ، وعمار بن ياسر ، ومعتب بن عوف بن عامر حليف لهم .

ومن بني عدى بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلا ، وهم : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأخوه زيد ، ومهجع مولى عمر ، وعمر بن سراقه بن المعتمر (٣) وأخوه عبد الله ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين ، حليف لهم ، [وعامر ابن البكير ، وأخواه خالد ، وإياس ، حلفاء بني عدى ، وخولي بن أبي خولي ، وأخوه مالك ، حليفان لهم - ومنهم من عدّ هلال بن أبي خولي - وعامر بن أبي ربيعة ، حليف لهم] .

(١) في أسد الغابة : « وهيب » .

(٢) قال ابن هشام : إنما قيل له : « ذو الشمالين » لأنه كان أعسر .

(٣) ما بين المرعين ساقط من أ .

ومن بنى جُمحَ خمسة نقر، وهم : عثمان بن مظعون ، وأبنة السائب
وأخواه قدامة ، وعبد الله ، وأبنا مظعون ، ومعمّر بن الحارث بن معمر .

ومن بنى سهم بن عمرو : خنيس بن حذافة بن قيس .

ومن بنى عامر بن لؤي خمسة نقر ، وهم : [أبو سبرة ^(١) بن أبي رُهم بن
عبد العزى ، وعبد الله بن محرمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو
— وكان قد خرج مع أبيه سهيل ، فلما نزل الناس بدرًا فرأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشهداها معه — وعمير بن عوف ، ومولى سهيل بن عمرو ، وسعد
ابن خولة ، حليف لهم .

ومن بنى الحارث بن فهر خمسة نقر ، وهم : أبو عبيدة عامر بن عبد الله
ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسهيل بن ربيعة بن هلال ، وأخوه
صفوان بن وهب ^(٢) ، وهما أبنا بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة .
هؤلاء الذين شهدوا بدرًا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره ، فثلاثة نقر ، وهم : عثمان بن عفان — وقد
تقدم خبره — وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانا قد بعثهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يتحسنان له خبر العير ، فقدا بعد غزوة
بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما ، قالا : يا رسول الله ،
وأجرنا ؛ قال : وأجركما .

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) في الأصل : « وهب » . وما ذكرناه رواية أحد الثابة والإمامة والاصحاب والسيرة .

(٣) ساقطة من أ .

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وضرِب له فيها بسهمه وأجره ،
 فهم أحد وستون رجلا ، شهدها منهم ستة وخمسون رجلا ، وهم : سعد بن معاذ
 ابن النعمان ، وأخوه عمرو بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع ، وسعد بن زيد^(١)
 ابن مالك ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر بن وقش ، وسلمة بن
 ثابت بن وقش ، ورافع بن يزيد بن كرز ، والحارث بن خزيمة بن عدى ، حليف لهم ،
 ومحمد بن مسلمة بن خالد ، حليف لهم ، [وسلمة بن أسلم بن حريش ، حليف لهم] ،
 وأبو الهيثم بن التيهان ، وأخوه عبيد بن التيهان — قال ابن هشام : ويقال :
 عتيك بن التيهان — وعبد الله بن سهيل ، وقتادة بن النعمان بن زيد ، وعبيد
 ابن أوس بن مالك — وعبيد هو الذي يقال له : مقرن ، لأنه قرن أربعة أسرى
 في يوم بدر ، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب يومئذ ، [ونصر بن^(٥)
 الحارث بن عبيد بن رزاح بن كعب] ، ومعتب بن عبيد ، وعبد الله بن طارق
 حليف لهما من بلي ، ومسعود بن سعد بن عامر ، ويقال فيه : مسعود بن عبد
 سعد ، وأبو عبس بن جبر بن عمرو ، وأبو بردة بن نيار ، وأسمه هاني ، حليف
 لهم من بلي ، وعاصم بن ثابت بن قيس ، ومعتب بن قشير ، وأبو مليس بن
 الأزعر بن زيد ، وعمرو بن معبد بن الأزعر ، وقيل فيه : عمير بن^(٦)
 معبد ، وسهل بن حنيف بن واهب ، ومبشر بن عبد المنذر بن زهير ، وأخوه

(١) في أ : « رافع » ، تصحيف . (٢) كذا في السيرة والاستيعاب والإصابة . وفي الأصول :
 « كرز » ، وفي رواية أخرى للاستيعاب : « رافع بن زيد » . (٣) ما بين المرعين ساقط من أ .
 (٤) في ج : « سهل » ، والصواب ما أثبتناه . وانظر أسد الغابة . (٥) ما ذكرناه رواية
 الإصابة . وفي سيرة ابن هشام : « ومن بن عبد بن رزاح بن الحارث » ، وفي الأصول : « ورزاح
 ابن كعب بن نصر بن الحارث » ، ولم يعرف هذا الاسم فيمن شهد بدرا . (٦) في أ : « عتيف » ،
 تصحيف . (٧) كذا في الإصابة والسيرة . وفي الأصول : « زبير » ، تصحيف .

- رفاعة ، وسعد بن عبيد بن النعمان ، وعويم بن ساعدة ، ورافع بن عُنْجُدَة ، وعبيد
ابن أبي عُبيد ، وثلْعبَة بن حاطب ، وأنيس بن قنادة بن ربيعة . ومعن بن عدى
ابن الجَد من حلفائهم ، وثابت بن ثعلبة ، وعبد الله بن سلمة ، وزيد بن أسلم بن
ثعلبة ، وربيع بن رافع بن زيد ، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بلي^(١) ، وعبد الله
ابن جُبَيْر بن النعمان [وعاصم بن قيس بن ثابت ، وأبو ضيَّاح ثابت بن النعمان
وأخوه أبو حنّة - ويقال : أبو حبة - وسالم بن عُمر بن ثابت بن النعمان ، والحارث
ابن النعمان] بن أمية ، ومُنذر بن محمد بن عُقبَة ، وأبو عُقيل بن عبد الله بن ثعلبة
من حلفائهم ، وسعد بن خَيْثمة بن الحارث ، ومُنذر بن قُدامة ، ومالك بن قُدامة
ابن عَرَبْجَة ، والحارث بن عَرَبْجَة ، وتميم مولى بنى غَم ، وجبر بن عَتيك بن الحارث
ومالك بن ثُمَيْلة ، حليف لبني معاوية من مُزينة ، والنعمان بن عَصْر ، حليف
لبني معاوية من بلي . هؤلاء الذين شهدوها من الأوس .

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم خمسة نفر ، وهم : أبو لُبابة
وأسمه بشير بن عبد الله ، والحارث بن حاطب ، وحاطب بن عمرو بن عبيد
وعاصم بن عدى بن الجَد بن العَجَلان ، وخوات بن جُبَيْر بن النعمان .

- وأما من شهدها من الخُزَرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلا :
خارجة بن زيد بن أبي زُهَير ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير
وعبد الله بن رِواحة بن أمرئ القيس ، وخلاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) كذا في ج وهو يوافق ما في السيرة ، وفي أ : « جبير » .

(٣) في الأصول : « عيصر » وهو تحريف .

وَبَشِيرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَأَخُوهُ سِمَّاكُ بْنُ سَعْدٍ ، وَسُيَيْحُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَيْشَةَ ^(٢) بْنِ
 أُمِيَّةٍ ، وَأَخُوهُ عَبَّادُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ
 وَخُبَيْبُ بْنُ إِسَافِ بْنِ عَبْسَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَأَخُوهُ حُرَيْثُ بْنُ
 زَيْدٍ ، وَسَفِيَّانُ بْنُ تَسْرِبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ ، وَتَمِيمُ بْنُ يَعَارِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ^(٤)
 ابْنُ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بْنُ الْمَزِينِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْفُطَةَ بْنِ عَدِيٍّ ،
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي [بْنِ] مَالِكٍ ، وَأَوْسُ
 ابْنُ خَوْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَزَيْدُ بْنُ وَدِيعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ جَزْءِ
 وَعُقْبَةُ بْنُ وَهَبِ بْنِ كَلْدَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ
 عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَامِرُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ عَامِرٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنَ الْعَيْنِ ، وَأَبُو حَمِيصَةَ ^(٧)
 عَبَّادُ بْنُ قُشَيْرِ بْنِ الْمُقَدَّمِ ، وَعَامِرُ بْنُ الْبَيْكِرِ ، حَلِيفُ لَهُمْ ، وَتَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 نَضْلَةَ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ أَصْرَمٍ ، وَأَخُوهُ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ
 وَالتَّمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دَعْدٍ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : قَوْفَلٌ ، وَثَابِتُ بْنُ هَزَّالِ ^(٨)
 ابْنِ عَمْرٍو بْنِ قُرَيْوِشٍ ، وَيُقَالُ : قُرَيْوِشٌ ، وَمَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ بْنِ مَالِكٍ ، وَرَبِيعُ

(١) في أ : « مال » .

(٢) قال ابن الأثير : « ويقال عائشة » .

(٣) في الأصول : « بشر » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « معاذ » وهو تصحيف .

(٥) كذا ضبطه الدارقطني بضم الميم وفتح الزاي وتبكيين الياء . راجع أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ .

(٦) زيادة عن جميع المراجع . (٧) وفي رواية عن ابن إسحاق : « أبو حميصة » .

(٨) قال في الاستيعاب : « إن التمان هذا كان ذا عز ومنعة ، فكان يقال للخاصة إذا جاءه :

« قوفل حيث شئت فأنت آمن » . فقيل لبني غنم وبني سالم لذلك : قوافلة . وفي القاموس : القوفل :

اسم أبي بطن من الأنصار ، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجيره أو يئسره قال له : « قوفل في هذا

الجل وقد أمنت » ، أي ارتقي .

١٤
١٥

٥

١٠

١٥

٢٠

ابن إياس، حليف لبني لؤذان من اليمن، والمجدد بن زياد بن عمرو؛ وأسم المجدد، عبد الله حليف لهم من بلي^(١)، وعباد بن الحشاش بن عمرو، حليف، وتجاب بن ثعلبة بن خزمة ويقال: بجاث، وعبد الله بن ثعلبة بن نحرمة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سليم، وأبو دجاجة سماك بن خرشة .

٥ قال ابن هشام : سماك بن أوس بن نحرشة، والمنذر بن عمرو بن حنيس بن حارثة، وأبو أسيد مالك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البدي^(٢)، وعبد ربه بن حنق ابن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف .

ومن حلفائهم من جهينة : كعب بن جحّاز بن ثعلبة — ويقال : حمار، وهو من غبشان — وصمرة، وبسبس، وزياد، بنو عمرو .

١٠ وعبد الله بن عامر من بلي^(٣) . وخراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح ، وتميم مولى خراش بن الصمة، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عمرو بن الجموح، وخلاد بن عمرو بن الجموح، وعقبة بن عامر بن نأبي، وحبيب بن أسود، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث، وثعلبة الذي يقال له : الخدع ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث ، ويشرب البراء ابن معرور بن صخر، والطفيل بن مالك بن النعمان ، وسنان بن صيفي بن صخر ١٥ وعبد الله بن الجعد بن قيس بن صخر، وخارجة بن حمير، وعبد الله بن حمير، حليفان

(١) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة : « عبادة » .
وفي رواية : « الحساس » . (٢) في الأصول : « خرمة » ، وهو تصحيف ، صوابه من القاموس والإصابة . (٣) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة : « البدن » .

(٤) في أ : « ومن جهينة » .
(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة . وفي الأصل : « عمر » .

لهم من أشجع من بنى دُهمان، وجبار بن صخر بن أمية بن خُناس، ويزيد بن المنذر
 ابن سرح، وأخوه معقل بن المنذر، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة، ويقال :
 بلدمة وبلدمة، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة، وسواد بن زريق بن ثعلبة،
 ومعبد بن قيس بن صخر، وأخوه عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن
 النعمان، والنعمان بن يسار مولى لبني النعمان، وأبو المنذر بن يزيد بن عامر بن
 حديدة، وسليم بن عمرو بن حديدة، وقُطبة بن عامر بن حديدة، وعنترة مولى سليم
 ابن عمرو، وعبس بن عامر بن عدى، وثعلبة بن غنمة بن عدى، وأبو اليسر،
 وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو، وسهل بن قيس [بن أبي كعب، وعمرو بن
 طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غَضْب
 ابن جشم، وقيس بن مَحْصَن بن خالد بن مُحَلَّد، ويقال: قيس] بن حِصْن، وأبو خالد،
 وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُحَلَّد، وجبير بن إياس بن خالد بن مُحَلَّد، وأخوه
 عُقبة بن عثمان بن خَلْدَةَ بن مُحَلَّد، وذُكْوَان بن [عبد] قيس بن خَلْدَةَ بن مُحَلَّد، ومسعود
 ابن خَلْدَةَ بن عامر بن مُحَلَّد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسعد بن مزيد
 ابن الفاكِه بن زيد بن خَلْدَةَ، والفاكه بن يشر بن الفاكِه بن زيد، ومُعَاذ بن
 ماعِص بن قيس بن خَلْدَةَ، وأخوه عائذ بن ماعِص، ومسعود بن سعد بن قيس
 ابن خَلْدَةَ، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العَجَلان، وأخوه خَلَاد بن رافع، وعبيد
 ابن زيد بن عامر، وزياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان، وفروة بن عمرو بن ودفة

(١) في الأصول: « عنزة ». وما ذكره الصواب .

(٢) في الأصول: « سهيل » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) زيادة عن الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب .

(٥) قال ابن هشام: « ويقال: « ودفاقة ». وفي الاستيعاب، وأسد الغابة: « ودقة » .

ابن عبيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان، ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة،
وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية، ورافع بن المعلب بن لوذان، وأبو أيوب خالد
ابن زيد بن كليب بن ثعلبة^(١)، وثابت بن خالد بن النعمان، وعمارة بن حزم بن زيد
ابن لوذان بن عمرو، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزيرة، وحارثة بن النعمان
ابن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن فهد^(٢)، وسهيل بن رافع بن أبي عمرو بن
عائذ، وعدى بن أبي الزغباء، حليف لبني عائذ من جهينة، ومسعود بن أوس
ابن زيد، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد،
وعوف، ومعوذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعه، وهم بنو عفران بنت عبيد بن ثعلبة،
والنعمان بن عمرو بن رفاعه بن سواد، ويقال: نعيان؛ وعامر بن مخلد بن الحارث
ابن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلد بن الحارث بن سواد، وعصيمة،
حليف لبني سواد من أشجع، ووديعه بن عمرو، حليف لهم من جهينة، وثابت بن
عمرو بن زيد بن عدى بن سواد — قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى
الحارث بن عفران شهد بدرًا — وثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك،
والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كُسر بالروحاء، فضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسهمه، وأبي بن كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس،
وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام.
قال ابن هشام: أبو شيخ [أبي بن ثابت]^(٤) أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارث بن سراقة بن الحارث بن عدى،

(١) في أ: «كلب». (٢) كذا في الأصول، وأسد الغابة والإصابة. وفي سيرة
ابن هشام: «فهد». (٣) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن
أبي ثابت»، راجع الاستيعاب ص ٧١٥. (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام.
(٥) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو».

وعمر بن نعلبة بن وهب بن عدى^١، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك،
وأبو سليط — وهو أسيرة بن عمرو — وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى^(١)،
وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى^(١)،
وسواد بن غزيرة بن أهييب، حليف لبني عدى بن النجار .

وأبو زيد قيس بن سكين بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عباس
ابن حرام، ويقال : أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسليم بن ملحان، وأخوه حرام
— وأسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد — وقيس بن أبي صعصعة — وأسم
أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف — وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف،
وعصيمة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أسد بن خزيمه، وأبو داود عمير
ابن عامر بن مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء، وقيس بن
مخالد بن نعلبة بن صخر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار،
وأخواه لأمه الضحاك، والنعمان، أبنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن
حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك،
وبجير بن أبي مجير، حليف لبني قيس بن مالك .

هؤلاء الذين عدتهم محمد بن إسحاق .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكرون في الخزرج ممن شهد بدرًا عتيان
ابن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصمة بن
الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، وهلال بن المعلی بن لؤذان بن حارثة .

(١) في أ : « محرز بن مالك » .

(٢) في أ : « أبو زيد بن قيس » .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ اسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ

كَانَ مِنْ اسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةَ نَفَرٍ، وَهُمْ : عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمَطْلَبِ ، قَتَلَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، قَطَعَ رِجْلَهُ فَمَاتَ بِالصَّفْرَاءِ فِي قُفُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَهُوَ أَخُو سَعِيدٍ ، وَذُو الشَّامَلَيْنِ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو بْنِ نَضْلَةَ الْخَزَاعِي ، حَلِيفُ لِبْنِي زُهْرَةَ ، وَعَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، حَلِيفُ لِبْنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ ، وَمِهْجَعٌ ، مَوْلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَصَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ .

وَمِنَ الْأَنْصَارِ ثَمَانِيَةٌ وَهُمْ : سَعْدُ بْنُ خَيْشَمَةَ ، وَمُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبَرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ ، وَرَافِعُ بْنُ الْمُعَلَّى ، وَحَارِثَةُ بْنُ سُرَّاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَعَوْفٌ ، وَمُعَوَّذٌ ، ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ

كَانَتْ عِدَّةٌ مِنْ قَتْلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ سَبْعِينَ رَجُلًا

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَمَوَالِيهِمْ وَحَلَفَائِهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَهُمْ : عَقْبَةُ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، قُتِلَ صَبْرًا بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ عِنْدَ قُفُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ — حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ — : فَمَنْ

(١) ذَكَرَ الرَّاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَدَّ عَمِيرًا هَذَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، لِأَنَّهُ اسْتَصْفَرَهُ ، فَبَكَى

عَمِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَاهِهِ أذْنًا لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَقَتَلَ وَهُوَ أَبْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً (رَاجِعِ الْمَغَازِي لِلرَّاقِدِيِّ وَالرُّوْضِ الْأَنْفِ) .

(٢) يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا جَبَسَ عَلَى الْقَتْلِ حَتَّى يَقْتَلَ : قَتَلَ صَبْرًا .

(٣) عِرْقُ الظُّبْيَةِ : بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَرِيبَ الرُّوحَاءِ .

للصَّبِيَّةِ يا محمد ؟ قال : النار ! قتلته عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وحنظلة بن
 أبي سفيان بن حرب ، قتلته زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ويقال : أشترك فيه حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ،
 والحارث بن الحضرمي ، وعامر بن الحضرمي ، حليفان لهم . قتل عامرا عمَّار
 ابن ياسر ، وقتل الحارث الثعلبي بن عَصْر ، حليف الأوس ، وعمير بن أبي
 عمير ، وأبته ، موليَّان لهم . قتل عميرا سالم مولى أبي حذيفة ، وعُبيدة بن سعيد
 ابن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتلته الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص
 ابن أمية ، قتلته عاصم بن ثابت بن الأفلح ، صبورا ، وقيل : قتلته علي بن أبي طالب ،
 وعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، اشترك فيه عُبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب
 وعلي بن أبي طالب ؛ وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتلته حمزة بن عبد المطلب ،
 والوليد بن عُتْبة بن ربيعة ، قتلته علي بن أبي طالب ، وعامر بن عبد الله ، حليف
 لهم من بني أُمّار ، قتلته علي ، وهب بن الحارث ، حليف لهم من بني أُمّار ، وعامر
 ابن زيد ، حليف لهم من اليمن .

ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان ، وهما : الحارث بن عامر
 ابن نوفل ، قتلته خبيب بن إساف ، وطُعَيْمة بن عدى بن نوفل ، قتلته علي ، ويقال :
 حمزة ؛ وروى أبو عمير بن عبد البر بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل طُعَيْمة بن عدى صبورا هو وعُقبَة بن أبي معيط
 والنضر بن الحارث .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ سبعة نفر : زَمعة بن الأسود
 ابن المطلب بن أسد ، قتلته ثابت بن الجُدْع ، وقيل اشترك فيه حمزة وعلي ، مع

- ثابت ، والحارث بن زَمعة ، قتله عمار بن ياسر ، وعُقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة ، وعليّ ، وأبو البَخْتَرِيّ - وهو العاص بن هشام - قال ابن هشام : العاص ابن هاشم بن الحارث بن أسد ، قتله المُجَدَّرُ البَلَوِيّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله ، لأنه كان أَكْفَ النَّاسِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة كما تقدّم ، فلما لقيه المُجَدَّرُ قال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، وكان مع أبي البَخْتَرِيّ زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُليحة - رجل من بني ليث - فقال أبو البَخْتَرِيّ . وزميلي ، فقال المُجَدَّرُ : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . فقال : لا والله إذا لأموتنّ أنا وهو جميعا ! لا تتحدّث عني نساء مكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة ، وقال يرتجز .

لن يُسَلِمَ أبْنُ حُرّةِ زَمِيلِهِ^(١) حتى يموتَ أو يرى سَبِيلَهُ

- ثم أقتلا ، فقتل المُجَدَّرُ أبا البَخْتَرِيّ ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به ، فأبى إلا أن يقانني ، فقائلته فقتلته . ونوفل بن خويلد بن أسد ، قتله عليّ بن أبي طالب ، وعقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمير ، مولى لهم .

ومن بني عبد الدار بن قصيّ أربعة نفر وهم : النضر بن الحارث

(١) في الأغاني ، والطبرى : « أكله » .

(٢) كذا في « ، وفي السيرة . وفي ١ : « عهدت عليه أن يستأسر » .

ابن علقمة بن كَلْدَة، قتلَه عليّ صبرا بالصَّفراء^(١)، ولما بلغ أبنته قَتيلة بنت النضر خبر^(٢)
مقتله كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا .

يا راجبا إن الأثيل مَظَنَّة من صبح خامسة وأنت موق^(٣)
بلغ به ميتا بان تحية^(٤) ما إن تزال بها النجائب تحقق^(٥)
مبنى إليه وعبرة مسفوحة^(٥) جادت لمائها وأخرى تحنق^(٥)
هل يسمعن النضر إن نأديته بل كيف يسمع ميت لا ينطق^(٦)
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحامٌ هناك تشقق^(٦)
قسرا يقاد إلى المنيّة متعبا رسف المقيد وهو عان موثق^(٧)
أحمد أو لست ضنء نجيبة في قومها والفحل فحل معرق^(٨)
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفقى وهو المعطيظ المحقق^(٨)
النضر أقرب من قتلت قرابه وأحقهم إن كان عثق يُعتق^(٩)
أو كنت قابل فدية فلنأين بأعز ما يغفلو به ما يُنفق^(٩)

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .

(٢) وفي الأغاني : « أخته » . (٣) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر وراوى

الصفراء . ومظنة الشيء موضعه ومألفه الذى يظن كونه فيه .

(٤) فى ١ : « به » . والنجائب : الإبل الكريمة التى يسابق عليها .

(٥) جادت لمائها : تعنى أباها لأنه هو الذى يستبكيها ويستزف دمعها .

(٦) تنوشه : تناوله . (٧) فى الأغاني ، وابن هشام : « صبرا يقاد » .

(٨) رسف المقيد : مشبه . والعانى : الأسير . (٨) الضنء : الأصل . المعرق : الكريم .

(٩) كذا فى الأصول . وفى الأغاني ، ومعجم البلدان الرواية الآتية :

أو كنت قابل فدية فلنأين بأعز ما يغفلو بك وينفق

وقد وردت هذه الأبيات فى الأغاني (١٩١١ ، طبعة الدار) ، وديوان الحماة ٤٣٧ طبع أورما ،

وصيرة ابن هشام ، ومعجم البلدان « مادة الأثيل » مع اختلاف سير فى الترتيب والألفاظ .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى أخضلت لحيته وقال :
 " لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه " حكاها أبو عمر عن عبد الله
 ابن إدريس ، وحكاها الزبير بن بكار ، وقال : فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى دمعت عيناه ، وقال لأبي بكر : " يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت
 أباه " وزيد بن مئيص ، مولى عمير بن هاشم ، قتله بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ،
 ويقال : قتله المقداد بن عمرو . ونُبيه بن زيد بن مئيص ، وعبيد بن سَلِيط
 حليف لهم من قيس .

ومن بنى تميم بن مرة أربعة نفر وهم : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب
 ابن سعد بن تيم ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عبد الرحمن بن عوف .
 ١٠ . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهَيْب بن سنان .
 ومالك بن عبيد الله بن عثمان ، أسرفسات في الإِسار ، فعدت في القتلى . وعمرو بن
 عبد الله بن جُدعان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أربعة وعشرون رجلا : أبو جهل
 - وأسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - ضربه معاذ
 ١٥ ابن عمرو بن الجحوح فقطع رجله ، وضرب أبْنُه [عِكْرَمَة ^(١)] يد معاذ فطرحها ، ثم
 ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق ، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود
 واحتر رأسه كما تقدم ، والعاص بن هشام بن المغيرة ، قتله عمر بن الخطاب ، وكان
 خالَّ عمر . ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم ، قتله عمار بن ياسر .

(١) الكلمة من سيرة ابن هشام .

(٢) في - : « ذف » .

وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتله أبو دُجانة الساعدي . وحرمله بن عمرو حليف لهم ، قتله خارجة بن زيد ، ويقال : بل عليّ [بن أبي طالب ^(١)] . ومسعود ابن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب . وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، قتله حمزة [بن عبد المطلب ^(١)] ويقال : عليّ ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله عليّ ، ويقال : عمار بن ياسر ، ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع ، والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد ، قتله معن بن عدى ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة ، قتله عليّ بن أبي طالب ، والسائب ابن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ^(٢) على ما حكاه ابن إسحاق .

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما : إن السائب هذا ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة ^(٣) من غنائم حنين ، فقد وقع فيه الخلاف . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة ، وحاجب ، ويقال : حاجز بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ ، قتله علي بن أبي طالب . وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان ابن مالك القوقلي مبارزة ، وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيئ ، قتل عمرا يزيد بن رقيش ، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار . وحذيفة ابن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) كذا في السيرة والاستيعاب . وفي الأصل : « عمرو » .

(٣) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما

قسم غنائم هوازن وهوزاجع من غزوة حنين . (معجم البلدان) .

(٤) كذا في ج ، وفي الطبرى . وفي أ : « عبد الأسود » .

(٥) كذا في ابن هشام . وفي الأصول : « حاجر » .

ابن المغيرة، قتله صُهَيْب بن سِنَان . وزُهَيْر بن أَبِي رِفَاعَةَ ، قتله أَبُو أُسَيْد مَالِك
ابن أَبِي رِبِيعَةَ . وَالسَّائِب بن أَبِي رِفَاعَةَ ، قتله عبد الرحمن بن عَوْف . وعائذ بن
السَّائِب بن عُوَيْر ، أُسِرَ ثم اقتدى فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ مِنْ جِرَاحَةٍ جَرَحَهُ إِيَاهَا حَمْزَةُ
ابن عبد المطلب، وعُمَيْر، حَلِيفٌ لَمْ مِنْ طَيْئٍ ، وَخِيَارٌ ، حَلِيفٌ لَمْ مِنْ الْقَارَةِ .^(١)^(٢)

٥ . ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي سبعة نفر وهم :
مُنَبِّه بن الحجاج بن عامر بن حُدَيْفَةَ بن سعد بن سَهْم ، قتله أبو اليَسَّر ، أخو بني سَلَمَةَ
وَأَبْنَةُ الْعَاصِ بن مُنَبِّه ، قتله علي . وَنُبَيْه بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ،
وسعد بن أبي وقاص ، اشتركا فيه ، وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن
سَهْم ، قتله علي ، ويقال : النعمان القسوقلي ، ويقال : أبو دُجَانَةَ ، وعاصم بن
١٠ . أَبِي عَوْف بن صُبَيْرَةَ بن سَعِيد بن سعد بن سَهْم ، قتله أبو اليَسَّر أخو بني سلمة .^(٣)
والحارث بن مُنَبِّه بن الحجاج ، قتله صُهَيْب بن سِنَان ، وعامر بن أَبِي عَوْف بن
صُبَيْرَةَ أَخُو عَاصِم ، قتله عبد الله بن سلمة ، ويقال : أبو دُجَانَةَ .

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي أربعة نفر، وهم : أمية
ابن خلف بن وهب بن حُدَافَةَ بن جُمَح ، قتله رجل من الأنصار من بني مازن
١٥ . ويقال : قتله معاذ بن عفراء ، وخارجة بن زيد ، وخبيب بن إساف ، اشتركا فيه .^(٤)
وابنه علي بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر . وأوس بن معير بن لوذان بن
سعد بن جُمَح ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله الحُصَيْن بن الحارث بن
المطلب وعثمان بن مَظْعُون ، اشتركا فيه ، وسَبْرَةَ بن مالك ، حَلِيفٌ لَمْ .

(١) كذا في ابن هشام . وفي أ : « جبار » ، وفي ح : « جبار » .

(٢) القارة : قبيلة تتألف من عضل والديش ابنا اخون بن خزيمة .

(٣) في الطبري والسيرة : « ضيرة » بالضاد المعجمة . وهما روايتان فيه . وفي الأصل : « صير » .

وفي الجمهرة : « عوف بن هيرة » . (٤) في رواية أخرى للطبري : « حبيب » .

ومن بنى عامر بن لؤى من حلفائهم رجلا ن، وهما : معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس، قتله عليّ ، ويقال : عكاشة بن محصن . ومعبد بن وهب، حليف لهم من بنى كلب، قتله خالد وإياس أبنا البكير، ويقال : أبو دجانة .
بجميع من أنضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية وستون على الشك في السائب بن أبي السائب ، والذي ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين ومائة ؛ سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا .

ذكر تسمية من أسر من المشركين في غزوة بدر

كانت عدة من أسر من المشركين في يوم بدر سبعين رجلا ما ورد في الصحيح ودلت عليه الآية [في] قوله تعالى : (**أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا**)
يعنى يوم أحد ، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، والذي أنضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلا .

من بنى عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم : العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الخزرجي ، وكان رجلا قصيرا ، والعباس رجلا طويلا ضخما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أعانك عليه ملك كريم " . وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أسره عبيد بن أوس بن مالك الأوسى ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة ، حليف لهم من بنى فهر ، قال : وكان العباس وعقيل نحرجا مكهين .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفر وهم : السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب ، ونهمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب ، وعقيل بن عمرو حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه عمرو بن تميم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر وهم : عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبي وبرة - ويقال : وبرة بن أبي عمرو - ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس ، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص . ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبي عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم : عدي بن الحليار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم ونهبان ، مولى لهم .

ومن بنى عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر وهم : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، وعقيل ، حليف لهم من اليمن .

١٩
١٥

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر وهم : السائب بن أبي حبيش ابن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد . قال ابن هشام : هو الحارث بن عائد بن عثمان بن أسد ، وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ، وسالم بن شماخ ، حليف لهم .

ومن بنى تيم بن مرة رجلان وهما : مسافع بن عياض بن صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة عشرة نفر وهم : خالد بن هشام بن المخيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسره سواد بن غزيرة ، وأميمة بن أبي حذيفة

٢٠

ابن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصيفي
 ابن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(١)، وأبو المنذر بن أبي رفاعة
 ابن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقيس بن السائب، والمطلب
 ابن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعم، حليف لهم
 من خزاعة، ويقال: عُقَيْلِي. وزعموا أنه أول من فر منهزما، وهو الذي يقول:
 وَلَسْنَا عَلَى الْأَدْبَارِ تَدْمَى كَلُومُنَا^(٢) وَلَكِنْ عَلَى أَعْقَابِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب خمسة نفر وهم: أبو وداعة
 ابن صُبَيْرَة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير أفندي من أسرى بدر،
 افتداه أبوه المطلب بن أبي وداعة، وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعيد
 ابن سهم، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعيد بن سهم، والمججاج بن الحارث^(٤)
 ابن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم، وأسلم، مولى ثبيته بن المججاج^(٥).

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب أحد عشر نفرا وهم: عبد الله بن
 أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح^(٦) [وأخوه عمرو بن أبي، وأبو عزة عمرو
 ابن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حذافة بن جمح] والفايكه، مولى أمية بن خلف
 ووهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وربيعة بن

(١) في ١: « عمرو ». (٢) في ١: « منهن ». (٣) الكرم: الجراحات.
 (٤) قال السهيلي في الروض الأنف صفحة ١٠٧ ج ٢: « وأحسب ذكر المججاج في هذا الموضع
 وهما، فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر ».
 (٥) كذا في ١، ج ٢. وفي الروض الأنف: « ولم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله:
 « سعيد بن سهم ». وقالوا: إنما هو سعد ».
 (٦) ما بين المربعين ساقط من ١.

دَرَجِ بْنِ الْعَنْبَسِ بْنِ أَهْبَانَ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ جَمْحٍ ، وَأَبُو رُحْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَلِيفَ لَهُمْ ، وَمَوْلِيَانِ لِأُمِيَّةَ بْنِ خَافٍ ، أَحَدَهُمَا : نِسْطَاسٌ ، وَأَبُو رَافِعٍ ، غَلامُ أُمِيَّةِ ابْنِ خَلْفٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَلِيفَ لَهُمْ ذَهَبَ عَنَى اسْمِهِ .

ومن بنى عامر بن لؤى خمسة نفروهم: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم
ابن عوف ، وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود ، وعبد الرحمن بن مشنوء
ابن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود ، وحبيب بن جابر ، والسائب
ابن مالك .

ومن بنى الحارث بن فهر أربعة نفروهم : الطفيل بن أبي قُنيع ، وعُتْبَةُ بْنُ عَمْرٍو
ابن جحدم ، وشافع ، وشفيع ، حليفان لهم من اليمن .

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم ، ومن منّ عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وأطلقه منهم) ، ومن أسلم بسبب ذلك

قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر ومعه الأسارى
سمع العباس وهو يئن ويتأوه ، قد ألمه الوثاق ، فقلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة لذلك ، فاستأذنه أصحابه رضى الله عنهم ، فى أن ينقسوا عن
العباس وثاقه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتم ذلك بجميع الأسرى فنعم
وإلا فلا » . أو كما قال : فنقسوا عن جميع الأسرى .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فزق الأسارى بين أصحابه
وقال : " استوصوا بهم خيرا " . ثم جاءه جبريل عليه السلام فى أمر الأسارى

فقال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، (واستشهد قائلًا منكم^(١) سبعون . قال : فنأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، بخاءوا— أو من جاء منهم) — فقال : ” هذا جبريل يخبركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم ، وبين أن تُفادوهم ويستشهد قائلًا منكم بعديتهم “ . فقالوا : بل تُفاديهم ويدخل قائلًا منا الجنة سبعون . ففادوهم . رواه محمد بن سعد .

وروى ابن قتيبة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ” أفد نفسك وابني أخويك : عَقِيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحليفك ، فإنك ذو مال “ . فقال : يا رسول الله ، إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكروني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقًا فإله يجزيك به ، وأما ظاهر [أمر^(٢)ك] فقد كان علينا “ . قال : فإنه ليس لي مال . قال : ” فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معك أحد ؟ ثم قلت : إن أصبتُ في سفري هذا فالفضل كذا ، ولعبد الله كذا “ . قال : والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله . ففسد نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين أوقية ، وقال : « تركتني أسأل الناس في كفتي » . قال : « وأسلم العباس ، وأمر عَقِيلًا فأسلم » .

وروى محمد بن سعد قال : لما أُسر نوفل بن الحارث بيذر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أفد نفسك “ . قال : ما لي شيء أفندي به . قال : ” أفد نفسك

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) زياده من ج .

برماحك التي يُجِدَّة “ . فقال : والله ما علم أحد أن لي بجِدَّة رماحا غيرى بعد الله ،
أشهد أنك رسول الله . ففدى نفسه بها ، وكانت ألف ربح . وقيل : كان لإسلام
نوفل وهجرته أيام الخندق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر
نأحوا على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ عجزا وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا
في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يَأْرَبُ^(١) عليكم مجد وأصحابه في الفداء . فقال المطلب
ابن أبي وداعة : صدقتم ، لا تعجلوا ؛ وأنسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه
بأربعة آلاف درهم ، وانطلق به .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فكان أعلى ما فدى به أسير أربعة آلاف
درهم فما دونها إلى ألف درهم .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى
ما دون ذلك ، فمن لم يجد عنده شيئا أعطى عشرة من غلمان المدينة ، فعملهم
الكتابة ، فإذا حدقوا فهو فداؤه . وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة
لا يكتبون . [قال] : فكان زيد بن ثابت ممن علم .

١٥ ذكر خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه

قال محمد بن إسحاق : وكان عمرو بن أبي سفيان في الأسارى ، ف قيل
لأبي سفيان : ائد ابنك عمرا ، فقال : أجمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلة ، وأندى
عمرا ! دعوه في أيديهم يُمسكوه ما بدا لهم . فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان

(١) تستأنوا بهم : تنتظروا بهم ، أى تزخروا فداءهم . (٢) لا يَأْرَبُ : لا يشتد .

(٣) في الأصول : « شي . » (٤) زيادة عن ج .

(١) ابن أكل، أخو بني عمرو بن عوف معترا، وكان شيخا مسلما، في غم له بالبيع،
(٢) وقد كانت قريش عهدوا أنهم لا يعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه
أبو سفيان بمكة فحبسه بأبنة عمرو، ثم قال أبو سفيان :

أرهِطَ ابنِ أَكَلٍ أَجيبوا دُعَاةَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الكَهْلَا
فِيانَ بنِ عمرو لثامُ أَذَلَّةٍ إِذا لَمْ يُفَكِّوا عَن أُسَيْرِهِمُ الكِجَلَا
(٣) (٤)

قال : فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفتكوا به صاحبهم ، ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فحلق سبيل سعد
ابن النعمان .

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه

وإرساله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة
وإسلامه بعد ذلك ، ورد زينب عليه بغير نكاح جديد

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى
ابن عبد شمس ، حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج أخته زينب . أسره
نحراش بن الصمة ، أحد بني حرام .

(١) البيع : مكان مقبرة أهل المدينة .

(٢) في ١ : « وكانت » .

(٣) تفاقدم : يدعوا عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا .

(٤) الكجل : القيد .

(٥) في ١ : « وإرساله إلى زينب » .

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب ، فزوجه بها ، وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معها وهو على شركه وهي مسلمة .

٢١
١٥

- ٥ فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص [بمال] ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص] فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقعة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها [مالها] فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي بعثت به ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يخلّى سبيل زينب ، ولم يُظهر ذلك ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال : « كونا بطن يا أجبج حتى تمتز بكا زينب ، فتصحبها حتى نأتيا نى بها » . فخرجا وذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحقق بأبيها ، فتجهزت لذلك ، وقدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارا يقود بها ، وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا في طلبها ، حتى أدركوها بذى طوى^(١) ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى النهري ، فروعها بالرح وهي في هودجها ، وكانت حاملا فطرحت ، فنثر حموها كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى

(١) ما بين القوسين زيادة من ج .

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٣) يا أجبج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٤) ذوطوى : واد عند مكة .

رجل إلا وضعتُ فيه سهما، فتكرَّرَ الناسُ عنه . ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جِلَّةٍ [من] قريش فقال : أيها الرجل ، كُفَّ عنا نبلكَ حتى نكلمك . فكفَّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجتَ له بنته علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذُلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووَهْنٌ ، ولعمري مالنا بحبسها عن أيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من تُورَةٍ^(٣١) ، ولكن أرجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدثت الناس أن قد رددناها فسلها سرا وألحقها بأبيها . قال : ففعل .

فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقامت عنده بالمدينة وفزق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام — وكان رجلا مأمونا — بمال له وأموال رجال من قريش ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة الصبح وكبر وكبر الناس معه خرجت زينب من صُفَّةِ النساء [وقالت] : أيها الناس . إني قد أجزت أبا العاص^(٣٢) ابن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : ” أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ ” فقالوا : نعم ، قال : « أما والذي نفس محمد بيده

(١) تكرر : رجع .

(٢) التوردة : التور .

(٣) زيادة عن -

(٤) كذا في ١ و ١٠ و ١١ : « صرخت » .

ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجِير على المسلمين أديانهم . ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أخته وقال : ” أَيْ بُنَيَّةُ ، أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ، وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ فَإِنَّكَ لَا تُحْلِينَ لَهُ “ .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال

- أبي العاص فقال لهم : ” إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو قيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به “ . قالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه ، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو ، ويأتي الرجل بالشنّة^(١) والإداوة^(٢) ، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٣) ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئا ، ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، بجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما ؛ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ما معنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن يظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول^(٤) ، ولم يحدث شيئا .

(١) الشنة : السقاء البالي . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة عفاها تدخل في عروقي الجوالقين ، والجمع أشظة . (٤) قال في الروض

الأنف ٢ : ٨٣ : « وذكر عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ردّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول ، لم يحدث شيئا بعد ست سنين . وبعارض هذا الحديث ما رواه

- عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذي عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث ؛ ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء . فإعلمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : « لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلونّ لهنّ » ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول أي على مثل النكاح الأول في الصداق والحلواء ، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره . »

رجع إلى نمة أخبار أسارى بدر :

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدم أنه كان ممن أسروهم بدر، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش ويقال : أسره سليط بن قيس المازني الأنصاري، فقدم في فدائه أخواه : خالد وهشام، فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم . فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أمك، والله لو أبي فيه إلا كذا وكذا لفعت . ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش : لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد — وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة — فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه، فأقيت الشكة بمائة دينار، فطاعا بها وسلمهاها إلى عبد الله، فلما أفتدى أسلم، فقيل له : هلا أسلمت قبل أن تُفتدى وأنت مع المسلمين؟ قال : كرهت أن تظنوا أني جزعت من الإسار . فحبسوه بمكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضية^(١) . حكاها ابن عبد البر .

ذكر من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق : وكان ممن من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء : أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره . والمطلب بن حنطب^(٢) بن الحارث

(١) هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص؛ سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى

قريباً عليها . (انظر الروض الأنف : ٢ : ٢٥٤) . (٢) في ١ : « حطب » .

ابن عبيد الخزومي ، وكان لبعض بنى الحارث بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله ، فلحق بقومه ، وصيغى بن أبي رفاعة الخزومي ، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه ، فأخذوا عليه العهد ليعتن بهم بفسدائه وخلوا سبيله ، فلم يف لهم بشيء ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات فقال : يارسول الله ، لقد عرفت مالي من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال ، فامنن علي ، فمن عليه وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدا ؛ فقال أبو عزة في ذلك :

فإنك حق والمليك حميد	من مبلغ عنى الرسول محمدا
عليك من الله العظيم شهيد	وأنت أمرؤ تدعو إلى الحق والهدى
لها درجات سهلة وصعود ^(١)	وأنت أمرؤ بوئت فينا مباءة
شقي ومن سألته لسهيد	فإنك من حاربتك لمحارب
تأوب ما بي حسرة وقعود ^(٢)	ولكن إذا دكرت بدرا وأهله

ومنها وهب بن عمير الجمحي ، وإطلاقه سبب تذكره .

ذكر خبر عمير بن وهب وإسلامه ، وإطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحق في سبب إطلاق وهب بن عمير : إن أباه عمير بن وهب بن خلف بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب جلس مع صفوان بن أمية في الجحر بعد مصاب أهل بدر بيسير - قال : وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عتاء وهو بمكة - فذكر أصحاب القلب ومصابهم^(٣) . فقال صفوان : والله إن

(١) بوئت فينا مباءة : نزلت فينا منزلة .

(٢) تأوب : رجع .

(٣) القلب : البئر القديمة التي لا يعد لها حافر .

في العيش بعدهم خير ، فقال عمير : صدقتَ والله ، أما والله لولا دَيْنَ عليّ - ليس له [عندي] قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة ^(٢) بعدى ، لركبتُ إلى مجد حتى أقتله ، فإن لي قِبلهم علة ؛ ابني أسير في أيديهم . فاعتنمها صفوان فقال : عليّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم ؛ قال له عمير : فاكتم عليّ شأني وشأنك ؛ قال : أفعل .

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له ، ثم سُمّ ، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، إذ نظر إلى عمير حين أتاه على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال عمر : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشرّ ، وهذا الذى حرّش بيننا وحرّنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه ، قال : فأدخله عليّ ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها ، وقال لرجال من كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير ؛ فدنا ثم قال : انعموا صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ؛ قال : أما والله إن كنت يا محمد بها لحديث عهد ؛ قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير

(١) زيادة من السيرة . (٢) الضيعة : الهلاك .

(٣) هكذا في ه ، وفي السيرة . وفي أ : « لا يشعني » .

(٤) حرّش : أفسد . (٥) الحزر : تقدير العدد تحيينا .

الذى فى أيديكم فأحسِنوا فيه؛ قال : فما بأل السيف فى عتقك؟ قال: قبَحَها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال : اصدُقنى، ما الذى جئت له؟ قال : ما جئت إلا لذلك؛ قال : بل قعدت أنت وصفوانُ بن أمية فى الحِجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل عمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك. قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَقَهُوا أَحَاكِم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره"، ففعلوا.

ثم قال: يارسول الله، إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم. قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن فى أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان يسأل عنه الرُكبان حتى قدم راجب فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذى من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب أو الحارث بن هشام ، قد ذكر أن أحدهما
 (١) [الذي] رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله :
 ﴿ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَّا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ
 فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وكان إبليس قد تشبه لقريش بسراقبة بن مالك بن
 جعشم وقال : أنا جار لكم من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كما قدمنا ذكر ذلك ،
 قال : وكانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقبة لا ينكرونه . فلما ألتقى الجمعان يوم
 بدر ورأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال لهم ما قال .

وقد أخذت هذه الغزوة حقه من البسط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل
 الاختصار ، فلنذكر غيرها من الغزوات والسرايا . والله المستعان .

ذكر سرية عمير بن عدى بن نحرشة الخطمي

إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد (٢)

قال محمد بن سعد : كانت سرية عمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على
 رأس تسعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت
 عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي (٣) ، وكانت تعيب الإسلام وتؤذى النبي
 صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ، وتقول الشعر ، فجاءها عمير بن عدى في جوف
 الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه في صدرها ،

(١) زيادة عن ج . (٢) في أ : « يزيد » . نسبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري ؛

قيل لأنها حليفهم أولكون زوجها منهم . وانظر الزرقاني ١ : ٥٤٦ .

(٣) كذا في المواهب اللدنية ، والطبقات ، وإمتاع الأسماع . وفي أ ، ج : « حصين » .

بجسّمها بيده - وكان ضريرَ البصر - ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قتلَ بنتَ مروان؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك شيء؟ قال: لا ينتطح فيها عتران^(١).

- ٥ قال محمد بن إسحاق: فرجع عمير بن عدى إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجهم^(٢) في شأن ابنة مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلَ ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون^(٣). قال: فذلك اليوم أول ما عثر الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفي بإسلامه، وعمير هو أول من أسلم من بني خطمة. قال: وأسلم يوم قتلها رجال من بني خطمة لما رأوا من عثر الإسلام.

ذكر سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عفك اليهودي

قال ابن سعد: كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة، وكان أبو عفك^(٤) من بني عمرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر، فقال سالم^(٥)

- ١٥ (١) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولاله تكبير، أي لا يختلف فيه اثنان. وانظر مجمع الأمثال ٢: ١٤٨.
- (٢) موجهم: اضطرابهم وتحويلهم.
- (٣) تنظرون: تؤخرون، بعض آية من سورة هود ٥٥.
- (٤) في الأصول: «أبو غفل». والتصويب من طبقات ابن سعد والمواهب اللدنية وسيرة ابن هشام.
- (٥) في طبقات ابن سعد: «وكان يهوديا وكان يحرض».
- ٢٠

ابن عمير — وهو أحد البكائين وقد شهد بدرًا — : على نذر أن أقتل أبا عطفك^(١)
أو أموت دونه؛ فجاء وقد نام أبو عطفك بالفناء في ليلة صائفة، فوضع السيف على
كبدته، ثم أعتد عليه حتى خَشَّ في الفراش، فصاح [عدو الله]^(٢)، فثار إليه ناس
ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه .

ذكر غزوة بني قينقاع

(وهي بضم النون وقيل بكسرها)^(٣)

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم السبت النصف من شوال على
رأس عشرين شهرًا من مهاجره .

قال ابن سعد : وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود،
وكانوا صاغيةً . فوادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت وقعة بدر
أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد والمدة، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم : (وإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)^(٤) .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قينقاع : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع^(٥) ثم قال : يا معشر يهود، احذروا من الله

(١) البكايون : سبعة نفر أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليحملهم ، فلم يجد
ما يحملهم عليه ، فقولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، فسموا البكائين . راجع ج ٨ ص ٢٢٨
من القرطبي . (٢) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي أ : « وصاح وصاح » . وفي ج :
« صاح ، فثار » .

(٣) زيد في المواهب اللدنية : « بالفتح أيضا ولكن الضم أشهر » .

(٤) سورة الأهل ٥٨ . (٥) بنو قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .
أضيفت إليهم سوق كانت بها ، فيقال : سوق بني قينقاع .

مثل ما نزل بقریش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، لا يُفترِّكُ أنكَ لقيتَ قوما لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فُرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنَّ أننا نحن الناس .

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مَّوَدَّةٌ وَنُحُورٌ مَّوَدَّةٌ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ الْمَهَادَ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ آلِ نَجَارَةَ فَتَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ . حكاها ابن إسحاق بسندٍ يرفعه إلى ابن عباس .

٢٥
١٥

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة: إن امرأة من العرب حلت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها، فلما قامت أنكشفت سوءتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

عُدنا إلى مساق حديث ابن سعد؛ قال: فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، وأستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكانوا أول من غدر من اليهود، وحاربوا وتمحصنوا في حصنهم، فحاصروهم أشد الحصار، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر

بهم فُكْتَفُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كِتَابِهِمُ الْمُنْذِرِينَ قُدَامَةَ السَّنَى . فَكَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: خَذَهُمْ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ؛ وَتَرَكَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَالْحِقُوا بِأَذْرَعَاتٍ^(٢)، فَمَا كَانَ أَقَلَّ بَقَاءَهُمْ فِيهَا .

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله بن أبي بن سلول: إنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من بني قينقاع، فقال: يا محمد، أحسن في موالى. وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أحسن في موالى. قال: فأعرض عنه. قال: فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلني، وغضب حتى ظهر ذلك في وجهه، ثم قال: ويحك! أرسلني؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله أمرت أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم لك .

وحكى أيضا قال: كان لبني قينقاع من عبادة بن الصامت من الحليف مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي، فبشى عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم. فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبي:

(١) كذا في أ، وفي ج: «لنهم، وتركهم» .

(٢) أذرععات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء .

(٣) في سيرة ابن هشام: «وكان يقال لها: ذات الفضول» .

(٤) الحاسر: الذى لا درع له . (٥) الدارع: الذى عليه الدرع، وفي أ: «دراع» .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ) (١) إِلَى قَوْلِهِ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١) وَذَلِكَ لِعِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ .

(٢) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مِنْ سِلَاحِهِمْ] ثَلَاثَ قِسِيٍّ ، مِنْهَا : الْكَنْتُومُ ، كُتِرَتْ بِأَحَدٍ ، وَالرُّوحَاءُ ، وَالْيَضَاءُ ، وَأَخَذَ دِرْعَيْنِ : الصُّغْدِيَّةَ ، وَأُخْرَى فِضَّةً ؛ وَأَخَذَ ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ : سَيْفَ قَلْبِيٍّ (٣) ، وَسَيْفَ يُقَالُ لَهُ : بَتَّارٌ ؛ وَسَيْفَ أُخْرَى . وَثَلَاثَةَ أَرْمَاحٍ ، وَوَجَدَ فِي حَصْنِهِمْ سِلَاحًا كَثِيرًا وَأَلَّةَ الصِّيَاغَةِ ، فَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيهَةَ وَالْخَمْسَ (٤) ، وَفِضَّ أَرْبَعَةَ أَمْخَاسٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَبِيضَ أَمْوَالِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ .

ذِكْرُ غَزْوَةِ السَّوِيْقِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِمَجِيسِ خَلَوْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ وَعَشْرِينَ شَهْرًا مِنْ مَهَاجِرِهِ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا بَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَمَّا رَجَعَ الْمَشْرُوكُونَ مِنْ بَدْرٍ إِلَى مَكَّةَ حَرَّمَ الدَّهْنَ حَتَّى يَثَارَ مِنْ مَجْدٍ وَأَصْحَابِهِ .

(١) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ آيَةَ ٥١ - ٥٥ . (٢) التُّكَّةُ مِنَ الطَّبَقَاتِ لِابْنِ سَعْدٍ .

(٣) سَيْفٌ قَلْبِيٌّ : مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَهِيَ مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ تُدْرَبُ السُّيُوفُ إِلَيْهِ .

(٤) الصَّفِيَّةُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ : مَا اخْتَارَهُ الرَّئِيسُ لِنَفْسِهِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ .

(٥) يُقَالُ : فِضَّ الشَّيْءَ ، عَلَى الْقَوْمِ أَيْ قَسَمَهُ وَفَزَقَهُ بَيْنَهُمْ .

قال ابن إسحاق : نذر الأيمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : نخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكبا ، فزبالعريض ، — بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال — فقتل رجلا من الأنصار ، وأجيرا له ، وحرق أبياتا هناك وبنينا ، ورأى أن يمينه قد حلت ، ثم ولّى هاربا . وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم ، وجعل أبوسفیان [وأصحابه ^(٢)] يتخفون للهرب فيلقون جرب السويق وهي عاتمة أزوادهم ، فأخذها المسلمون ؛ فسميت غزوة السويق ، ولم يلحقهم وانصرف . وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : بلغ قرقرة الكُذْر ثم انصرف راجعا ، فقال المسلمون حين رجع بهم : يا رسول الله ، أنطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

ذكر غزوة قرقرة الكُذْر ويقال قرارة الكُذْر

وهي غزوة بنى سليم

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجرة ، وهي ناحية معدن بنى سليم ، وبينه وبين المدينة ثمانية ثمانمائة برد ، وأستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، وكان

(١) قال السهيلي في لروض الأنف : « إن الفصل من الحساب كان معمولا به في الحاهلية بقية من دير ، براهيم وإسماعيل . كما بق معهم الخبز والنكاح » . (٢) ساقطة من أ . (٣) كذا في ج . روى أ : « يجمعون الحرب » . (٤) السويق : فتح أو شعير يقلى ثم يطهر . (٥) قرقرة الكُذْر : قال نواقدى : « ساحة المعدن ، بين وبين المدينة ثمانية برد » . وقال غيره : « بنى سليم » . راجع معجم البلدان مادة : « كُذْر » .

قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم وغطفان ،
 فسار إليهم فلم يجد في المحال أحدا ، ووجد رعاء منهم غلام يقال له : يسار ، فانصرف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعيم فأخبر به إلى المدينة ، فاقسموا غنائمهم
 بصرار ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النعم خمسمائة بعير ، فأخرج نهمسه وقسم
 أربعة أخماس على المسلمين ، فأصاب كل رجل منهم بعيران ، وصار يسار في سهم
 النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعققه حين رآه يصلى . وكانت غيبة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة .

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر سرية

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو محمد عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعيد
 — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — : كانت سرية قتل كعب بن الأشرف
 لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من
 هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان رجلا شاعرا يهجو النبي
 صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحترض عليهم ويؤذيهم ، وكان لما بعث رسول الله
 صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل
 العالية بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بنجر بدر ، فقال كعب بن الأشرف
 — وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بني نهبان ، وكانت أمه من بني النضير — : أحق
 هذا ؟ أترون مجمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب

(١) رعاء : جمع راع .

(٢) قال صاحب الأغاني (ج ١٩ ص ١٠٦ صغ بولاق) : « كعب بن الأشرف مختلف في نسبه ؛

فزع ابن حبيب أنه من طيء ، وأمّه من بني النضير ، وأن أبه توفي وهو صغير ، فحملته أمه إلى أخواله
 فنشأ فيهم وساد وكبر أمره . وقيل : بل هو من بني النضير . وكان شاعرا فارسا ... الخ » .

وملوك الناس ، والله لئن كان عهد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تبين الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطاب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل يمرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش .

ثم رجع إلى المدينة فشيب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت " ؛ وقال : " من لى بأبن الأشرف فقد آذاني " ؟ فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : " فأفعل إن قدرت على ذلك " . فرجع [محمد بن مسلمة (٤)] فكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يميسك ومقه ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : " لم تركت الطعام والشراب " ؟ فقال : يا رسول الله [الله] ؛ قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أولاً ؟ قال : " إنما عليك الجهد " ؛ قال : يا رسول الله ؛ لا بد لنا من أن نقول ، قال : " قولوا ما بدا لكم ، فأتهم في حل من ذلك " . فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش — وكان أخا كعب من

(١) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ طبعة الحلبي بمصر .

(٢) يروى : أنه شيب بأب الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطاب . راجع الطبري

القسم الأول ٣ ، ٤ ص ١٣٦٩ .

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٣ : « في هذه من الفقه وجوب قتل من سب

النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذي

في مثل هذا » . (٤) ريادة عن ج .

(٥) سافط من ج . (٦) زيد في المواهب اللدنية في هذا الموضوع : « قولاً غير مطابق

للواقع لتتوصل به إلى التحكك من قتله » .

الرضاعة — وعباد بن بشر بن وقش ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وأبو عيسى بن جبر ،
أخو بني حارثة ، فقدموا إليه سلكان بن سلامة ، فجاءه فتحدت معه ساعة ، وتناشدا
شعرا ، ثم قال أبو نائلة سلكان : ويحك يا بن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد
ذكرها لك ، فاكتم عني ، قال : أ فعل ، قال : قد كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء
من البلاء ، عادتنا العرب وورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع
العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالنا ؛ فقال كعب :
أنا ابن الأشرف ، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى
ما أقول ؛ فقال له سلكان : إنا نريد التنجى منه ، ومعى رجال من قومي على مثل
رأبي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فنبتاع منك طعاما وتمرا ، وزهرك ما يكون لك
فيه ثقة ووفاء ؛ فقال أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف زهرك نساءنا وأنت أشب
أهل يثرب وأعطهم ؛ فقال : أترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحننا
وأن يعير أبناؤنا ؛ فيقال : هذا رهينة وسقي ، وهذا رهينة وسقين ، ولكنا زهرك
سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح ؛ فقال : نعم إن في الحلقة لوفاء ، وإنما أراد
سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ، ثم رجع سلكان إلى أصحابه ، وأخبرهم الخبر
وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ففعلوا .

ومشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال :
انطلقوا على أسم الله ، اللهم أعنيهم . ورجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وتوجهوا ،

(١) في الأصل : « حبر » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . والتصويب عن الاستيعاب ، والطبرى .

(٢) كذا في الطبقات ، وسيرة ابن هشام . وفي الأصل : « ورمود » .

(٣) الوسق : حمل البعير . (٤) يريد « بالحلقة » : السلاح كله ، وقيل : عن الدروع خاصة .

(٥) بقيع الغرقد (بالعين المعجمة) : هو مقبرة أهل المدينة .

وكانت ليلة مقمرة، حتى أتوها إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعريس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك أمرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائما ما أيقظني؛ فقالت: والله إنى لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو يدعى الفتى لطننة لأجاب.

وفي حديث البخاري من رواية سفيان عن عمرو بن جابر بن عبد الله قالت: أسمع صوتنا كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أنى محمد بن مسلمة، ورَضِيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة يلبل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتمشى إلى شعب العجوز فتحدثت به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة [يده] (٢) في فود رأس ابن الأشرف، ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطرَ قط من هذا! فقال: هذا عطر أم فلان، يريد امرأته، ثم مشى قليلا وعاد لمثلها حتى أطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بقود رأسه وقال: اضربوا عدو الله. فضربوه، فأختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولا في سيفي حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في نكتته، ثم تحاملت عليه حتى أتمى إلى عاتقه. ثم حزوا رأسه وحملوه معهم؛ وأصيب الحارث بن أوس، بفرح في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه

(١) في أ: «أبي سفيان». (٢) شعب العجوز: بظاهر المدينة. (٣) زيادة عن ج.

(٤) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. (٥) التنة: ما بين السرة والعانة.

(٦) في الأصول: «غايته»، وهو تصحيف. وانظر شرح المواهب ٢: ١٥.

قال محمد بن مسلمة : فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة
 ثم على بعات^(١) حتى استندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا الحارث، ونزفه الدم^(٤)
 فوقفنا له ساعة حتى أتانا فأحتملناه وجئنا به .

قال ابن سعد : فلما بلغوا بقيق الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أن قد قتلوه، ثم اتهموا إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أفلححت الوجوه » قالوا : وجهك^(٥)
 يا رسول الله؛ ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله .

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة : وتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 جرح صاحبنا فبرأ، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله،
 فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر :

صرختُ به فلم يعرض لصوتي * وأوفى طالما من رأس جدير^(٦)
 فعُدتُ له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباد بن بشر
 وهذى درعنا رهنا فخذها * لشهر إن وفي أو نصيف شهر

٢٨

١٥

١٥ (١) بعات : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية . وفي رواية
 أخرى : « بعات » .

(٢) كذا في ١ ، ح . وفي الطبري ، وابن هشام : « أسندنا » ، أى ارتفعنا .

(٣) الحرة : الأرض الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة . والعريض : وادى المدينة .

(٤) نزفه الدم : نزع منه كثيرا حتى ضعف .

(٥) في الطبقات : « ووجهك » .

٢٠

(٦) الجدير : الحائط . وفي المواهب اللدنية : « خدر » .

فقال معاشر سَغَبُوا وِجَاعُوا * وما عَدِمُوا الْغَنَى مِنْ غَيْرِ فَقِيرٍ
 فَأَقْبَلَ نَحُونًا يَهُودِيَّ سَرِيحًا * وقال : أَمَا لَقَدْ جِئْتُمْ لِأَمْرٍ
 (٢) وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ حِدَادٌ * مجزبة بها الكفار نفري
 فعانقه ابن مسleme المردي * به الكفار كالليث الهزبر
 (٣) وَشَدَّ بِسَيْفِهِ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ * قَطَّرَهُ أَبُو عَيْسَى بْنُ جَبْرِ
 فَكَانَ اللَّهُ سَادَسَنَا فَأَبْنَا * بَانْتِمْ نِعْمَةً وَأَعَزَّ نَصِيرَ
 وَجَاءَ بِرَأْسِهِ نَقْرٌ كَرَامٌ * هُمُ نَاهِيكَ مِنْ صِدْقٍ وَبِرٍّ

ذِكْرُ غَزْوَةِ عَطْفَانَ إِلَى نَجْدٍ

(٥) (وهي غزوة ذي أمر؛ ناحية النخيل، وقصة دُعُوثُورِ بْنِ الْحَارِثِ)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول^(٧) على رأس خمسة
 وعشرين شهرا من مهاجره ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا

(١) في المواهب، والاستيعاب : « وقال لنا لقد » .

(٢) في الاستيعاب : « جداد * مجردة » .

(٣) قطره : أسال دمه .

(٤) في الاستيعاب : « ناهوك » .

(٥) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة « غزوة ذات الرقاع » . وقال في سبب هذه التسمية : « وإنما

قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رجعوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ،
 يقال لها : ذات الرقاع » .

(٦) في سيرة ابن هشام : « غوث بن الحارث » . وفيه روايات أخرى . راجع المواهب اللدنية

ج ٢ صفحة ١٧ .

(٧) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجره .

من بني ثعلبة ومحارب بنذي أمرتجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم . جمعهم رجل منهم يقال له : دُعُوثُ بن الحارث من بني محارب ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلا ، ومعهم أفراس ، وأستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فأصابوا رجلا منهم بنذي القصة يقال له جَبَّار من بني ثعلبة ، فأدخِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم وقال : لن يُلاقوك ، لو سمعوا بمسيرك هربوا في رعوس الجبال ، وأنا سائر معك . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلم وضمه إلى بلال ، ولم يلاق صلى الله عليه وسلم أحدا .

- ١٠ قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي ، رحمه الله : وهربت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى ذى أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت الأعراب لدُعُوث ، وكان سيدها وأشجعها : قد أمكك مجد ، وقد أنفرد من أصحابه حيث إن غوث بأصحابه لم يُغث حتى تقتله ؛ فاختر سيفا من سيوفهم صارما ، ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورا ، فقال : يا مجد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع

(١) ذوالقصة : موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة .

(٢) كذا في ج ٠ وفي أ : « بجبرهم » . (٣) غوث : قال : واغوثاه .

السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأبي، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليه؛ وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية. ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

٢٩
١٥

ذكر غزوة بني سليم بجحران^(٣)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجرة — وبحران من ناحية الفرع^(٤)، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد — وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا من بني سليم، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه، وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأخذ السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال.

(١) أراد جبريل . (٢) بعض آية من سورة المائدة .

(٣) بحران (بضم الباء وفتحها، وسكون الحاء): موضع بناحية الفرع. وفي الأصل: «بحران» .

(٤) الفرع (بضمين أو ضم وسكون) : قرية من ناحية المدينة، ويقال: هي أول قرية مارت

إسماعيل وأمه الترمكة . (٥) أغذ: أسرع .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة

(بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالقاف وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لملال جمادى الآخرة ، على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة ، وهي أول سرية خرج زيد فيها أميرا يعترض لعير قريش فيها صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، ومعه مال كثير ، وكان دليلهم فزاة بن حبان العجلي ، فخرج بهم على ذات عرق ، طريق العراق .

قال ابن إسحاق : وفيها أبو سفيان بن حرب ، وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق ، فخرج منهم ثجار ، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة ، وهي أعظم تجارتهم .

قال ابن سعد : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب ، فأعترضوا لها ، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها ، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي بين أهل السرية ، وأسرفزاة بن حبان ، فأسلم ، فترك من القتل .

والقردة : من أرض نجد بين الريدة والعمرة .

(١) في ابن إسحاق : « حيث كان من وقعة بدر ما كان » .

(٢) في ١ : « من » .

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا يوم السبت لسبع خلون من شوال ، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجرة صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت يوم السبت للنصف من شوال .

وذلك أن قريش لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة ، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طيبو أنفس أن نُجهزوا بربح هذه العير جيشا إلى عدي ، فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي ، فباعوها فكانت ألف بعير ، والمالُ خمسين ألف دينار ، فسلم إلى أهل العير رءوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يرجون في تجارتهم للدينار دينارا .

قال ابن سعد وغيره : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ يَا الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) وبعثت قريش رُسُلَهُمْ إِلَى الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ نَصْرِهِمْ فَأُوعِبُوا وَالْبُؤَىٰ .

قال ابن سعد : وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند بخبر قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن الربيع بكتاب

(١) كذا في الطبقات . وفي الأصول : « هذا خبر » (٢) سورة الأنفال آية ٣٦ .

(٣) في الأصول : « يدعونه » (٤) أوعبوا : خرجوا كلهم . أو غيروا .

(٥) أنبوا : أتوا من كل جانب . أو أ : « وأكبوا » .

- العباس . وأرَجَفَ المنافقون واليهود بالمدينة ، وخرجت قريش من مكة بِمَجْدَهَا وَجَدَهَا^(٢) وأحايشها^(٣) ، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة ، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، وخرجوا معهم بِالظَّنِّ^(٤) التماس الحفيظة ، وألا يفترؤا ، وكان معهم خمس عشرة امرأة ، فخرج أبو سفيان ابن حرب — وهو قائد الناس — معهم بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بيرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص بربطة بنت مُنَبِّه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة — عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار — بسُلَافَةَ بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، وخرجت خُناَس بنت مالك بن المُضَرَّبِ^(٥)

٣٠
١٥

- (١) أرَجَفَ القوم : اختلقوا أخبارا كاذبة يكون معها اضطراب في الناس .
 (٢) مجدها وجدها : بغضها وعظمتها .
 (٣) أحايش قريش : قوم من بني المصطلق واخون بن خزيمية ، اجتمعوا وحالفوا قريشا عند حبشى ، وهو جبل بأسفل مكة ، فسموا به .
 (٤) كذا في طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « فارس » .
 (٥) الظن : جمع ظنينة ، وهى المرأة مادامت في الهودج .
 (٦) الحفيظة : الحمية والغضب .
 (٧) كذا في أ . وفي ج : « وهو قائد الناس معه بهند » .
 (٨) فى السيرة والمواهب اللدنية : « بيزة » .
 (٩) كذا فى السيرة ، والطبرى . وفى الأصول : « سبيل » . وفى رواية للطبرى : « سيد » .
 (١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبرى . وفى الأصول : « النضر » .

مع أنها أبي عزيز بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث ^(١)
ابن عبد مناة .

قال محمد بن إسحاق : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً ، يقال له : وحشى ،
يقذف بجره له قذف الحبشة ، فلما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن
أنت قتلت حمزة عم محمد بعى طعيمة بن عدى فأنت عتيق .

فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها ، قالت : ويها دُسمة ^(٢) ؛ أشف
واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبي دسمة .

قال ابن سعد : وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة ، فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسا ومونسا ابني فضالة ، ليلة الخميس لخمس مضين
من شوال عشرين له ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ، وأنهم قد خلوا
إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعث الحباب ^(٤)
ابن المنذر [بن الجوح فدخل فيهم] فخرهم ، وجاءه بعلمهم ، وبات سعد بن معاذ ^(٥)
وأسيد بن حضير ، وسعد بن عباد ، في عدة ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد
بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرس المدينة حتى أصبحوا ، ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنه في درج حصينة ، وكأن سيفه
ذا الفقار قد أنقص من عند طنبه ، وكأن بقرا تذبج ، وكأنه مردف كبشا
فأخبرها أصحابه وأولها ، فقال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأما انقصاص سيفي

(١) كذا في الطبرى ، والسيرة . وفي أ : « مع أبي عزيز » وفي ج : « مع أيها أبي عزيز » .

(٢) في أ ، ج : « أحد » .

(٣) رويها : كلمة معناها الإغراء والتضيض . والدسمة : السواد . وفي الطبرى « إيه أبا دسمة »

وفي السيرة : « رويها أبا دسمة » .

(٤) (٥) ساقطة من أ ، والحزر : العذ بالظن والتخمين .

فصيبة في نفسى، وأما البقر التي تُذبح فقتل في أصحابي، وأما مُردِف كِبْشَا، فكبش
الكتيبة يقتله [الله] ^(١) إن شاء الله : فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج
من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يوافق على رأيه ^(٢)، فاستشار أصحابه في الخروج،
فأشار عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأى الأَكابر من المهاجرين
والأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امكنوا في المدينة، واجعلوا النساء
والذراري في الآطام ^(٣). فقام قتيان أحداث لم يشهدوا بدرأ، فطلبوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورجبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى
عدونا لا يرون أننا ^(٤) [قد] جئنا عنهم وضعفنا. فقلبوا على الأمر، فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجمعة بالناس ووعظهم وأمرهم بالجد والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر
ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بالشخص، ثم صلى بالناس العصر،
وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي ^(٥)، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه
أبو بكر وعمر، فعمّاه وألبسناه ^(٦)، ووصف الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد
ابن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج،
والأمر ينزل عليه من السماء، فرددوا الأمر إليه. فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد لبس لأمته ^(٧)، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حائل سيفه ^(٨)،
واعتم وتقلد السيف، وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعا على ما صنعوا، وقالوا:
ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي

(١) ساقطة من أ . (٢) كذا في أ . وفي ج : « على مثل رأيه » .

(٣) الآطام : الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة . (٤) ساقطة من أ .

(٥) في المواهب : « الأجناد » . مكان « الجهاد » . (٦) العوالي : قرى ظاهر المدينة .

(٧) في الأصول : « لبسناه » وهو تحريف . (٨) صف : اصصف .

(٩) اللامة : الدرع أو - لاج كله . (١٠) في - « سيف » .

لنبيّ إذا لبس لأمتّه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، فانظروا ما أمركم به فافعلوا وأمضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم . ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر ، ويقال : إلى سعد بن عبادة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ركب فرسه وتكبّ القوس وأخذ قنّاة بيده ، والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع ، فيهم مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان ، سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، كل منهما دارع ، والناس عن يمينه وشماله ، ففضى حتى إذا كان بالشيخين^(٢) — وهما أطهان ، كان يهودى ويهودية يقومان عليهما يتحدثان ، فلذلك سميا بالشيخين ، وهما في طرف المدينة — التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل^(٥) ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبيّ من يهود . فقال صلى الله عليه وسلم : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . وعرض من عرض بالشيخين ، فردّ من ردّ ، وأجاز من أجاز .

قال محمد بن إسحاق : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرّة بن جندب^(٧) الفزاريّ ، ورافع بن خديج أحد بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان

(١) تكبّ القوس : ألقاه من منكبه . (٢) في ١ : « كانا » .

(٣) في معجم البلدان : « كان شيخ وشيخة » . وفي الطبري : « كان يهودى ويهودية عمير » .

(٤) كتيبة خشناء : كتيبة السلاح خشنه .

(٥) الزجل : الجلجلة والضوض .

(٦) في الأصل : « لا تستنصر » وما ذكر رواية ابن سعد .

(٧) في ١ : « عمرة » وهو محريف .

٣١
١٥

٥

١٠

١٥

٢٠

قد رَدَّهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رَامَ . فأجازه ، فقيل له : إن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسامَةَ بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسَيْد بن ظُهَيْرٍ ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة . وردَّ عَرَابَةَ ابن أوس وهو الذي يقول فيه الشَّامِخُ .^(١)

إِذَا مَا رَايَةً رَفِعتَ لِمَجْدٍ * تَلَقَّاهَا عَرَابَةَ بِالْيَمِينِ

قال ابن سعد : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشيخين ، وكان نازلا في بني النَجَّار ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسَلَمَةَ في خمسين رجلا ، يُطِيفُونَ بالعسكِرَ ، وأدَجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَرِ ، ودليله أبو خَيْثَمَةَ ، فاتمى إلى أُحُدٍ ، فحانت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، فأمر بلالا فذَنَّ وأقام ، فصلى بأصحابه الصبح صفوفا .

قال ابن إسحاق : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشَّوْطِ بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أُبَيٍّ بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ تَقْتُلُ أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النِّفَاقِ ، وآتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَّامٍ ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم ،

(١) خرج الشَّامِخُ يريد المدينة فلقبه عرابية بن الأوس ، فسأله عما أقدمه المدينة . فذل : أردت أن أمتار لأهلي . وكان معه بديان فأوقرهم من عرابية تمرا وبرا ، وكساد وأكرمه ، فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التي منها هذا البيت . (٢) كذا في الأصول ، وهو يوافق ما في النواهب ، وفي ابن سعد : « أبو حنمة » ، وخطأه صاحب النواهب .

(٣) الشَّوْطِ ، قال في معجم البلدان « هم حائض ، يعنى بستانا بالمدينة » .

أذكركم الله أن تخذلوا قومكم وتبيكم عندما حضر عدوهم ؛ قالوا : لو نعلم أنكم
تقاتلون كما أسلمناكم ، ولكن لانرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه
وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : انخزل عبد الله بن أبي بثلثمائة ، وبق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبي بردة بن نيار . وأقبل يصف أصحابه ويسوى
الصفوف على رجليه ، وعليه درعان ومغفر وبيضة ^(٢) ، وجعل له ميمنة وميسرة ،
وجعل أحدا وراء ظهره ، واستقبل المدينة ؛ وجعل عينين ^(٣) — جبلا — عن يساره ،
وجعل عليه خمسين من الزمارة ، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير ، وقال : قوموا
على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا ، فإن رأيتونا قد غنمنا ، فلا
تسركونا ، وإن رأيتونا تقتل فلا تنصرونا .

وأقبل المشركون ، وقد صفوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ،
وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنبتان مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل
صفوان بن أمية ، ويقال : عمرو بن العاص . وعلى الزمارة عبد الله بن أبي ربيعة ،
وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة — واسم أبي طلحة عبد الله
ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار — فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

(١) هكذا في الأصل ، والقرطبي ، وشرح المواهب الدنية . وفي السيرة : « اتخذلوا » .

(٢) المغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .

(٣) عينان : جبل يطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

(٤) في أ : « عليه » .

(٥) كذا في طبقات ابن سعد . وفي الأصول : « هذا » .

(٦) المجنبتان : الميمنة والميسرة .

يحمل لواء المشركين؟ فقيل: عبدالدار. فقال: نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب ابن عمير؟ قال: هانذا؛ قال: حُذِّ اللّوَاءُ؛ فأخذه مصعب، فتقدم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام رجال، فأمسكهم عنهم، حتى قام أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرِشَةَ أخو بني سَاعِدَةَ، فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: تضرب به في العدو حتى يُنْحَى؛ قال: أنا أخذه يارسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دُجَانَةَ إذا أُعْلِمَ بعصاة له حمراء علم الناس أنه سيقَاتِلُ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج عِصَابَتَهُ تلكَ فعَصَبَ بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصّفين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: إنها لِمِشِيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ ورسوله، إلا في هذا الموطن.

قال ابن هشام: إن الزبير بن العوام قال: وَجِدْتُ في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فَمَنَعَنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، فقلت: والله لأنظرك ما يصنع. فاتبعته، فأخرج عِصَابَةَ حمراء فعَصَبَ بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الموت. وجعل يقول:

أنا الذي عاهدتني خليلي * ونحن بالسّفْحِ لَدَى التَّخِيلِ
ألا أقومَ الدهرَ في الكَيُولِ^(٢) * أضرب بسيفِ اللهِ والرّسولِ

(١) وجدت: حزت.

(٢) الكيول: آخر الصّفوف في الحرب. وهي رواية اللسان وإحدى روايتي ابن هشام.

وفي الأصول: «الكيول» جمع كيل: وهو القيد الضخم. وما ذكرناه أوفق للعنى. وقد ذكره ابن اليزين صاحب لسان العرب.

قال الزبير : فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفقت عليه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلعا ضربتين ، ففرض المشرك أبا دُجانة ، فاتقاه بدرقتة ، وضربه أبو دُجانة فقتله ، ثم رأيت قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدله عنها ، قال الزبير ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال أبو دُجانة : رأيت إنسانا يُحْمِسُ الناس حَمْشا ، فصمدتُ له ، فلما حمت عليه السيف وأول ، فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

قالوا : وكان أول من أنشب الحرب يوم أحد أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ابن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة بن زيد ، وكان قد نرحج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نحسون غلاما من الأوس ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلا . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق — وكان في الجاهلية يُسمى الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، كما قدمنا من خبره — قال : فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم بالمجارة فراضخوه ، حتى ولى هو وأصحابه هارين .

(١) ذفت : أجهز . (٢) الدرقة . الترس المصنوع من الجلد .

(٣) يحمس الناس : يسوقهم بفضب ؛ أى يحترضهم على القتال ويفضبهم .

(٤) كذا في السيرة ، والطبرى ، والمواهب اللدنية . وفى أ : « عبد بن حرب عمرو » .

وفى ج : « عبد بن عمرو » . (٥) راضخهم : راماهم .

قال : وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار، إنكم قد ولّيتُم لواء يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قبيل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن نُخلّوا بيننا وبينه فنكفيكوه ؛ فهموا به وتواعده ، وقالوا : نحن نُسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

قال : ولما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الأدبار
* ضرباً بكلّ بشار *^(٣)

وقالت أيضا :

نحن بنات طارق * نمشي على النارق^(٤)
إن تقبلوا نفاق * أو تدبروا نفاق
فراق غير وامي^(٥) *
^(٦)

١٥

(١) في السيرة ، والطبرى : « لواءنا » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « لواء » . (٣) بشار : فاطم .

(٤) في هامش ج ما يأتي : « قولها : بنات طارق . تريد النجم ؛ أي نحن شريفات رفيعات كالنجم . وقيل : الشعر لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية ، قاله في حرب الفرس لإياد ، فتمتلك به هند هذه » . وقال لسان العرب : إن ابن برى قال : إن هند بنت عتبة هي هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادية . وذكر الأبيات برواية أخرى ، وهي تخالف رواية المؤلف وروايته الطبري وابن

٢٠

إسحاق . راجع لسان العرب مادة (طرق) .

(٥) النمارق : جمع نمرة ، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرجل .

(٦) الوامي : المحب .

قال . وكان شعار المسلمين يوم أحد . أَمِيتُ ، أَمِيتُ . ودنا القوم بعضهم من بعض ، والزمامة يرشقون خيل المشركين بالنبل ، فتولى هوارب ، فبرز طلحة ابن أبي طلحة ، صاحب لواء المشركين ، وقال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، فالتقيا بين الصفتين ، فبدره علي بضربة على رأسه حتى فلق هامته ، فوقع وهو كبش الكتبية ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكبر المسلمون ، وشدوا على كتائب المشركين يضر بونهم حتى نفضت صفوفهم ، ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة ، وجعل يرتجز وهو أمام النسوة :

إِنِّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا * أَنْ يَحْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَدَقَّا^(١)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطاب ، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤترزه ، وبدأ سخره^(٢) ، ثم رجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج . فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرتة ، فأدلع لسانه إبداع الكلب ، فقتله . ثم حملة مسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتله . ثم حملة كلاب بن طلحة ابن أبي طلحة ، فقتله الزبير بن العوام . ثم حملة الجلأس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله . ثم حملة أرطاة بن شرحبيل ، فقتله علي بن أبي طالب .

(١) في الأصول : « فيولوا » وتصويب من الطبقات .

(٢) « النفس : التحريك والاصحاب » .

(٣) الصعدة : القناة التي نبت مستقيمة . وفي الضيق : « أو تحصب » .

(٤) سحرها : الرقة .

(٥) دمع : شرج .

ثم حمله شريح بن قاسط ، فُقِتِل . ثم حمله صُؤاب غلامهم ، وهو حبشي ، فقاتل يومئذ حتى قُطعت يده ، فاعتنق اللواء حتى قُتِل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ، واختلّف في قاتله ، فقيل : قتله سعد بن أبي وقاص ، وقيل : علي بن أبي طالب ، وقيل : قتله قُزّمان على الأصح .

قال : فلما قُتِل أصحابُ اللواء صار مُلقًى ، حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش ، فلاتوا به . ثم انكشف المشركون وانهمزوا لا يلبون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، وتبعهم المسامون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ، ووقعوا ينهبون العسكر ، ويأخذون ما فيه من الغنائم .

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحبها مشتمراتٍ هوارب ، ما دون أخذهن قليلٌ ولا كثير . قال ابن سعد : وتكلم الزماعة الذين على الجبل واختلفوا بينهم ، وثبت أميرهم عبد الله بن جبيرة نفر يسير دون العشرة ، وقال : لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعظ أصحابه وذكّهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لم يُرد رسول الله هذا ، قد انهزم المشركون ، فما مقامنا ها هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم ، وتركوا الجبل . فنظر خالد بن الوليد إلى خلوة الجبل وقلة أهله ،

(١) كذا في الأصول . وفي طبقات ابن سعد ، والمواهب اللدنية : « قارظ » وفي سيرة ابن هشام :

« القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الداهر » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « غلامهم حبشي » . وفي سيرة ابن هشام : « غلام لبني أبي طلحة » .

(٣) لانوابه : اجتمعوا حوله .

(٤) أجهضوهم : أزالوهم .

فكتر بالخليل ، وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على المسلمين ، واستدارت
 رحاهم ، وحالت الرمح فصارت دُبُورًا ، وكانت قبل ذلك صَبًّا ، ونادى إبليس
 - لعنه الله - : إن هذا قد قُتِل . واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير
 شِعَارٍ ، ويضرب بعضهم بعضًا ، ما يشعرون به من العجلة والدَهَش ، وقُتِل مُصعب
 ابن عمير ، فأخذ اللواء ملك في صورة مُصعب ، وحضرت الملائكة يومئذ ولم تقابل ،
 ونادى المشركون بشعارهم : يَا لَلْعَزَى يَا لَلْهَبِل . فُقِتِل من أكرمهم الله بالشهادة من
 المسلمين ، حتى خَلَصَ العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت صلى الله
 عليه وسلم معه عِصَابَةٌ من أصحابه أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين ، فيهم
 أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وسبعة من الأنصار . ورعى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن قوسه حتى اندقت سِنِّيها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، ثم ذب
 بالحجارة ، وكسرت يومئذ رباعيته صلى الله عليه وسلم ، وكُتبت شَفْتَه ، وشُجَّ في وجهه ،
 وجرح في وجنته ، وكسرت البيضة على رأسه ، فسال الدم على وجهه ، فجعل
 يمسحه ويقول : كيف يُفلح قوم خَضَبوا وجه نبيهم ، وهو يدعُوهم إلى ربهم ؟
 فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ
 فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

(١) في طبقات ابن سعد : « حملوا على من بق من الرماة فقتلوه ، وقتل أميرهم عبد الله
 ابن جبير ، وانتفضت صفوف المسلمين » .

(٢) في ١ : « يقتلون » (٣) العري وهير : صنادق لقريش .

(٤) في ١ : « . . . » (٥) كذا في ج . ٠ وفي ١ : « ستة » .

(٦) السية . طرف القوس (٧) الرباعية : السن التي بين الثانية والثالثة

(٨) آية ١٢٨ من سورة آل عمران .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قيمته جرح وجنته، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ على بن أبي طالب بيده، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما، ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري، الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم] ازدرده، فقال صلى الله عليه وسلم : من مس دمه دمي لم تمسه النار .^(١)

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو : لما غشي القوم رسول الله

- ١٠ صلى الله عليه وسلم قال : من رجل يشتري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن [في خمسة من الأنصار ، وبعضهم يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السكن] . فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . ثم فاءت فئة المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات ، وخذه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ١٥ قال : وقالت أم عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذ ، فحدثت وقد سئلت عن خبرها ، فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فاتميت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أباشر القتال وأذب عنه بالسيف ، حتى خلصت الجراحة إلى . وكان على عاتقها جرح أجوف له غور ،

(١) ساقطة من أ . (٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قمئة ^(١) ، أقماه ^(٢) الله ، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على عهد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضر بني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ^(٣) ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه ، حتى كثُر فيه النبل . ورمى سعد ابن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيتُه يناولني النبل ويقول : إرم فذاك أبي وأمي ، حتى إنه ليأولني السهم ما له من نصل ، فيقول : إرم به . قال : وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجته ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما . قال : وانتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل . قال أنس بن مالك : لقد وجدنا به سبعين ضربة ، وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فمه فهيم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، فأصابه بعضها في رجله فعرّج .

(١) كذا في ج . وفي أ : « أمية » ، محريف . (٢) أقاه : أذله .

(٣) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « ولقد على ذلك ضربته ضربات » وفيها تقديم

وتأخير وصوابه عن الطبقات . (٤) في أ : « حتى ألقوا » .

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كعب بن مالك، قال كعب: عرفت عينه تهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأشار إلى: أن أنصت، قال: فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا [به] ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين مجد؟ لا نجوت إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجال منا؟ قال رسول الله: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، قال: فلما أخذها انتفض منا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة في عنقه تداداً منها عن فرسه مرارا؛ وكان أبي بن خلف قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: إن عندى العود - فرسا - أعلقه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم فيه، فقال: قتلتني والله مجد؛ قالوا: ذهب والله فؤادك! والله إن بك

(١) تهران: تضيئان. وفي ج: « تهران من تحت المغفر ».

(٢) أسند: سعد.

(٣) تطايرنا عنه: بعدنا. وفي هامش ج: « الشعراء: ذباب له لدغ ».

(٤) تداداً: تدرج.

(٥) الفرق: مكيل بالمدينة يسع ستة عشر رطلا.

بأس ، قال : إنه قد قال لي بمكة : أنا أقتلك ، [والله]^(١) لو بصق علي لقتلني . فمات

عدو الله بسيرف وهم قافلون إلى مكة ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :^(٢)

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبي يوم بارزه الرسول

أتيت إليه بحمل رم عظم * وتوعدته وأنت به جهول^(٣)

وقد قتلت بنو النجار منكم * أمة إذ يغوث : يا عقيل^(٤)

وتب ابناربيعة إذ أطاعا * أبا جهل ، لأثمهما الهبول^(٥)

وأقلت حارث لما شغلنا * بأسر القوم ، أسرته قليل

وقال حسان أيضا فيه :

الامن مبلغ عنى أبا * فقد أقيت في سحق السعير^(٦)

تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسم أن قدرت مع النذير

تمنيك الأمانى من بعيد * وقول الكفر يرجع في غرور

فقد لاقيت طعنة ذي حفاظ * كريم البيت ليس بذى فجور^(٧)

له فضل على الأحياء طرا * إذا نابت ملبات الأمور

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قم الشعب نرجح على بن

أبي طالب حتى ملأ درقته من الماء ، فغاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه وغسل عن وجهه الدم .

(١) ساقطة من أ ، وفي ابن هشام : « فوالله » . (٢) صرف : وضع على ستة أميال من

مكة ، وقيل سبعة ، وقيل غير ذلك ؛ تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم سموية بنت الحارث .

(٣) الرم : البالي . (٤) يغوث : يقول : واغوثاه .

(٥) تب : هلك . والهبول : الفقد . وفي المواهب اللدنية : « رأهما » .

(٦) سحق : البعد والعمق . (٧) الحفاظ : الذب عن المحارم .

(٨) الدرقة : الترس إذا كان من جنود ليس فيه خشب .

قال : وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، وكان على تلك الخليل خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم [إنه] لا ينبغي لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن^(٢) وظاهر بين درعين ، فلم يستطع ، فلبس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها^(٣) . قال ابن هشام : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

قال ابن إسحاق : ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أُنعمت^(٤) فعال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فاجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلنا في الجنة ، وقتلناكم في النار ؛ فقال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إيته فانظر ما شأنه ؛ فاتاه ، فقال له أبو سفيان :

(١) ساقطة من أ .

(٢) بدن : ضعف . ظاهر : طايق .

(٣) كذا في السيرة . وفي الأصول : « عليه » .

(٤) أُنعمت فعال : كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب على أحدهما

« نعم » ، وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الصنم ويحبل سهامه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج

سهم « لا » امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذلك

قوله لعمر رضي الله عنه : أُنعمت فعال ، أي أجابت بنعم فتجاف عنها ، ولا تذكرها سوء ، يعني آلتهم .

هذا ما ذكره صاحب اللسان . وهناك أقوال أخرى تجددها في ٢ صفحة ٥٧ من المواهب اللدنية .

(٥) لا سواء : لا نحر سواء ؛ أي لا نستوى .

أشُدك الله يا عمر ، أقتلنا مجدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك
الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قتيبة وأبرّ - لقول ابن قتيبة لهم :
إني قتلت مجدا - قال : واسم ابن قتيبة عبد الله .

وروى البخارى عن البراء قال : وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم مجد ؟
فقال : لا تجيبوه ، قال : أفي القوم ابن أبي حنيفة ؟ قال : لا تجيبوه ، قال :
أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم
يملك عمر - رضوان الله عليه - نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله لك
ما يُخزيك . قال أبو سفيان : أعلُّ هبل^(١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أجيبوه ، فقالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل ؛ قال أبو سفيان :
لنا العزى ولا عُزى لكم^(٢) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا :
ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم ؛ قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ،
والحرب سجال ، وتجدون مثلة لم أمر^(٣) [بها] ولم تُسؤنى .

قال ابن سعد : ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه : إن موعدكم بدر العام القابل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل له : نعم هو بيننا
و بينك موعد . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال :
أخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا^(٤)
الخييل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم

(١) هبل : اسم صنم كان في الكعبة .

(٢) العزى : اسم صنم كان لقريش .

(٣) الزيادة من البخارى . ويقال : مثلت بالقتيل ، إذا جدعت أنفه وأذنه أو شيئا من أطرافه .

(٤) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم
لأنأجرتهم^(١) . قال عليّ : فخرجت في آثارهم فرأيتهم قد جنّبوا الخيل وامتنطوا الإبل ،
وتوجهوا إلى مكة .

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ،

- وما فعلته هند بنت عتبة ، وما قالتها من الشعر ، وما أجيبت به
- كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قد قتل من ذكركنا من المشركين
آنفاً ، ومثّر به سباع بن عبد العزى العبشاشي ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة :
هلم إلى يابن مقطعة البُصور^(٢) — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب
الثقفى ، وكانت ختانة بمكة — فلما اتقيا ضربه حمزة فقتله . فقال وحشى غلام
جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ،
فوالله إنى لأتهدأ أريده ، وأسترم منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه
سباع ، فلما رآه حمزة قال له ما قال ، فضربه حمزة فقتله ، فهزرت حربى حتى
إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته^(٣) ، حتى خرجت من بين رجله ،
وذهب لينوء نحوى فغلب^(٤) ، فتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حربى ،
ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، فلم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتله لأعتق .

٣٦
١٥

قال ابن إسحاق : ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتل
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجذعن الآذان والآنف ، حتى

(١) المناجزة والقتال : المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يبارز الفارسان فيبازسا حتى يقتل كل واحد

منها صاحبه أو يقتل أحدهما . (٢) فى أ : « ذكر مقتل » .

(٣) البصر : لغة فى البظر . (٤) التنة : أسفل البطن .

(٥) بنوء : بهض بجهد رشقة . (٦) يجذعن : يقطعن .

اتخذت هند من آذان الرجال وآتهم قلائد وخداما ، وأعطت قلائدها وخدمها
وقرطها وحشياً ، وبقرت عن كيد حمزة فلا كتبها فلم تسطع أن تُسيغها ، فلفظتها ،
ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، ثم قالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذاتُ سر
ما كان عن عتبة لي من صبر * ولا أنحى وعمه وبكرى
شفت نفسي وقصبت وترى * شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمري * حتى ترم أعظمى في قبرى^(٣)

فأجابتها هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب فقالت :^(٤)

تحزبت في بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر^(٥)
صبحك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى^(٦)
إذ رام شيب وأبوك غدري * نفضاً منه ضواحي النحر^(٧)
* ونذرك السوء فشر نذر *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجبت بمثله ، وتركها ذلك اختصاراً .

(١) خدما : خلاخيل .

(٢) الوتر : الثأر . وفي السيرة ، والمواهب اللدنية ، وأسد الغابة : « نذرى » .

(٣) ترم : تبلى . (٤) كذا في ابن هشام ، والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة .

وفي الأصول : « ابن عبد المطلب » .

(٥) وقاع : يفتاب الناس . (٦) يفرى : يقطع .

(٧) شيب : تريد شيبة . ضواحي النحر : ما ظهر من الصدر .

قال ابن إسحاق: ومرو الحليس بن زبَّان أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش بأبي سفيان، وهو يضرب في شدق حمزة بُزجُ الرمح، ويقول: ذُقْ عُقُقْ^(٢). فقال الحليس: يا بني كئانة، هذا سيد قريش يصنع بأبن عمه ما ترون لحماً؛ قال: ويحك! اكتمها عني، فإنها كانت زلة. قال ولما فرغ الناس لقتلاهم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده، وجُدع أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صفةً ويكون سنة من بعدى لتركتك حتى تكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمتن بثلاثين رجلاً منهم، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لثمتن بهم مثلة لم يمثله أحد من العرب. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٤) قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر. ونهى عن المثل^(٥).

- ١٥ (١) كذا في سيرة ابن هشام، والطبرى. وفي الأصل: «الحليس بن ريان». وقال ابن إسحاق: «الحليس بن علقمة بن أروان زبَّان» (ج ٢: ٧٤٣).
- (٢) عقق، أى ياعاق. (٣) لحاء، أى ميتا. (٤) آية ٢٦ — ٢٨ سورة النحل.
- (٥) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعريثين، قلنا: في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً. وثانيهما، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع
- الروض الأضف ج ٢ ص ١٤٢.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أُصابَ بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا! ثم قال: جاءني جبريل عليه السلام فأخبر أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببرد^(١)، ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. قالت: وأقبلت صفيّة بنت عبد المطلب لتتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير ابن العوام: القها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال [لها]: يا أمّاه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله عز وجل، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن. قال: واحتمل ناس [من المسلمين^(٧)] قتلاهم إلى المدينة، فدفنهم بها. ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: ادفنهم حيث صرّعوا.

(١) سجي: غطي. (٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما - ضعف إسناد هذا الحديث. وثانيهما - أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شيء من معازيه إلا هذه الرواية. راجع الروض الأنف ج ٢ ص ١٤٢. (٣) ساقطة من أ. (٤) في ابن هشام: «فا أرضانا». (٥) في أ: «أصبرن». (٦) ساقطة من أ. (٧) ساقطة من أ.

ذكر [تسمية] ^(١) من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق : استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، كان منهم من المهاجرين من بني هاشم : حمزة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، وقد تقدم خبر مقتله . ومن بني أمية : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بني أسد بن خزيم ^(٢) قتلته أبو الحكم بن الأحنس بن شريق . ومن بني عبد الدار بن قصى : مصعب ^(٣) ابن عمير ، قتلته عبد الله بن قنينة الليثي . ومن بني مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان قتلته [أبي] ^(٤) بن خلف .

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة .

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ابنا الهذيب ، من بني سعد بن ليث ، ووهب بن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عقبة ^(٥) ابن قابوس . وزاد الثعلبي سعدا مولى عتبة ، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد ، بل عدّ المهاجرين خمسة .

واستشهد من الأنصار ، من بني عبد الأشهل اثنا عشر رجلا ، وهم : عمرو بن معاذ بن النعمان أخو سعد ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، وأخوه عمرو بن ثابت ، وأبوهما ثابت ، ورفاعة [بن] ^(٦) وقش ، واليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وأسمه حسيل بن

(١) ساقطة من أ . (٢) في الأصول : « خزيم » تحريف .

(٣) كذا في الروض الأنف ، ويرثه ، وأسد الغابة ، والاستيعاب ، والطبقات .

وفي الأصول : « الحكم » . (٤) ساقطة من أ .

(٥) كذا في الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وفي الأصل : « الربيع » .

(٦) ساقطة من أ .

جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه^(١)، فتصدق ابنه حذيفة بيده على المسلمين، وصيفي بن قيطي، [وخباب^(٢) ابن قيطي]، وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ.

ومن أهل رايح ثلاثة نفر، وهم: إياس بن أوس بن عتيك، وعبيد بن التيمان، ويقال: عتيك بن التيمان. وحبيب بن زيد بن تيم. ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. ومن بني عمرو بن عوف، رجلان، وهما: أبو سفیان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن النعمان، وهو غسيل الملائكة، وكان قد ألتقى هو وأبو سفیان، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم لتغسله الملائكة. فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الحاتفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لذلك غسّته الملائكة. وقال شداد بن الأسود حين قتل حنظلة:

لأحميت صاحبي ونفسي * بطعنة مثل شعاع الشمس

ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. ومن بني ثعلبة بن عمرو ابن عوف رجلان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جبير

(١) يديه: يدفع دية.

(٢) ساقط من أ. وجاء في الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب: «خباب

أرحباب».

(٣) رايح: أطم من أطام المدينة.

(٤) في أ: «بن يزيد».

(٥) في الأصول: «عبد زيد». وما ذكرناه رواية ابن هشام، والإصابة، وأسد الغابة.

(٦) كذا في الأصول، ورواه صاحب أسد الغابة بالياء والياء.

- ابن التَّمان ، وهو أمير الرِّماة . ومن بنى السَّلم بن امرئ القيس بن مالك :
 حَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ . ومن حلفائهم من بنى العَجَلان : عبد الله بن
 سَلَمَةَ . ومن بنى معاوية بن مالك رجُلان ، وهما : سُبَيْعُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ
 الحارث ، ويقال : سُوَيْبِقُ بْنُ الحارث ^(١) . ومالك بن ثَمِيلَةَ ، حليف لهم من مُزَيْنَةَ .
 ومن بنى التَّجارثم من بنى سواد بن مالك خمسة نفر ، وهم : عمرو بن قيس بن
 زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن
 مُحَمَّد ، ومالك بن إياس . ومن بنى مبدول رجُلان ، وهما : أبو هُبَيْرَةَ بْنُ الحارث
 ابن علقمة ، وعمرو بن مُطَرَفِ بْنِ علقمة . ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار
 رجُلان ، وهما : أوس بن ثابت بن المنذر ، وهو أخو حسان ، وإياس بن عدى .
 ١٠ ومن بنى عدى بن النجار رجل واحد ، وهو : أنس بن النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمِ بْنِ زَيْدِ
 ابن حرام بن جُنْدَبِ بْنِ عامر بن عدى بن النجار ، وقد تقدّم خبره . ومن بنى
 مازن بن النجار رجُلان ، وهما : قيس بن مُحَمَّد ، وكَيْسَانَ عَبْدَ لَهُمْ . ومن بنى
 دينار بن النجار رجُلان ، وهما : سُليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . ومن
 بنى الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم : خارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر ، وسعد
 ١٥ ابن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر — حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ،
 أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك
 يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ^(٢) ، قال الأنصاري :

- (١) كذا في ابن هشام والاستيعاب وأسد الغابة . وذكر في الإصابة : أن سوبيقاً هذا هو سبيع
 الذي تقدم ذكره . وفي الأصل : « سويق » وهو تحريف .
 ٢٠ (٢) كذا في ج . وفي أ : « ومن بنى النجار من بنى سويد » .
 (٣) في الاستيعاب : « مطرف أو مطاروف » .
 (٤) الرق : بقية الروح .

فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُليص إلى نبيكم وفيكم عين تطريف . قال الأنصارى : ثم لم أبرح حتى مات ؛ فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وأوس بن الأرقم بن زيد . ومن بنى الأبيجر ، وهم بنو خُدرة ، ثلاثة نفر ، وهم : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبد [بن] الأبيجر ، وهو أبو أبي سعيد الخُدري ، وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبيجر ، وعُتبة بن ربيع ابن رافع بن معاوية . ومن بنى ساعدة بن كعب بن الحارث رج رجلان ، وهما : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ، وثقيف بن فروة بن البدى . ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عبادة رجلان ، وهما : عبد الله بن عمرو بن وهب ، وشمرة حليف لهم من جُهينة . ومن بنى عوف بن الخزرج خمسة نفر ، وهم : نوفل ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجدد ابن زياد ، حليف لهم من بلي ، وعبادة بن الحساس . ومن بنى الحلي ، رفاة

(١) تطرف : تطبق أحد جفنيها على الآخر .

(٢) الزيادة من ابن هشام ، وفي أسد الغابة والاستيعاب : « عبيد بن الأبيجر » .

(٣) كذا في الأصول . وفي رواية للإصابة . وفي ابن هشام : « ثقف » . وفي الإصابة ،

وأسد الغابة ، والاستيعاب : « ثقب أو ثقيب » . وفي القاموس : « ثقف ، ثقب » .

(٤) في أ ، ج : « يعمر بن مالك بن ثعلبة » . ولم نعثر في المراجع التي بأيدينا على هذا الاسم

عن استنهد من المسلمين يوم أحد . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، وأسد الغابة ، والإصابة ،

والاستيعاب .

- ابن عمرو، ومن بنى سَلَمَةَ^(١) ثم من بنى حرام أربعة نفر، وهم : عبد الله بن عمرو ابن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وغلاد بن عمرو بن الجموح ، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح^(٢) . ومن بنى سَواد بن غَم ثلاثة نفر ، وهم : سُليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين . ومن بنى زُرَيْق [بن عامر]^(٤) ، وهما : ذَكْوَان بن عبد قيس ، وعُبيد بن المعلّى بن لَوْذَان . ومن بنى خَطْمَةَ من الأوس : الحارث بن عَدِي بن خَرَشَةَ بن أمية . ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

- قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا : من بنى عبد الدار بن قصي^(١) أحد عشر رجلاً — وهم أصحاب اللواء — طلحة بن أبي طلحة ، قتله علي بن أبي طالب ، وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، ويقال : علي . وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة^(٧) بن أبي طلحة ، قتله عاصم ابن ثابت بسهم ، والجلاس بن طلحة ، قتله عاصم أيضا كما تقدم ، وكلاب بن طلحة والحارث بن طلحة ، قتلهما قُزَمان حليف لبني ظَفَر ، وأرطاة بن عبد بن شَرْحَبِيل ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة ، ويقال : قتله علي ، وأبو زيد ابن عمير بن هاشم ، قتله قُزَمان ، وصوّاب غلام لهم حبشي ، قتله قُزَمان ، والقاسط

(١) في أ : « مسلمة » . (٢) في أ : « أبو يمن » .

(٣) في الأصول : « سهيل » . والتصويب من سيرة ابن هشام - والاستيعاب ، وأسد الغابة .

(٤) زيادة من سيرة ابن هشام . (٥) في الأصول : « عامر بن ذكوان » . والتصويب

من سيرة ابن هشام : والاستيعاب ، وأسد الغابة والإصابة .

(٦) في أ : « مسلمة » . (٧) في أ : « نبع » .

(٨) كذا في الأصول . وفي ابن هشام : « أبو يزيد » .

ابن شريح بن هاشم ، قتله قزمان . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله
ابن محمد بن زهير بن الحارث بن أسد : قتله علي بن أبي طالب . ومن بنى زهرة
ابن كلاب رجلان ، وهما . أبو الحكم بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى — واسم
عبد العزى عمرو بن فضلة بن غبشان — حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة كما تقدم .
ومن بنى مخزوم أربعة نفر ، وهم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد
ابن العاص بن المغيرة ، قتله قزمان أيضا ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ،
قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعمى حليف لهم ، قتله قزمان . ومن بنى
بُحج رجلان ، وهما : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ،
وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبوا — وكان قد أسر يوم بدر ،
فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقه كما ذكرنا ، فقال : لا أكثر عليك جمعا ؛
فلم يف ، وخرج يوم أحد مع المشركين فأسر ، ولم يؤسر يومئذ غيره ، فقال : من
علي يا محمد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ،
لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك ، تقول : سحرت مجداه مرتين ، ثم أمر عاصم بن ثابت
ابن الأفلح فضرب عنقه — وأبي بن خلف بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده كما تقدم . ومن بنى عامر بن لؤي رجلان ، وهما : عبيدة بن جابر
وشسيبة بن مالك بن المضرب ، قتلها قزمان ، ويقال : قتل عبيدة بن جابر
عبد الله بن مسعود .

(١) في الطبقات : « سحرت بمحمد » .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « عيد » .

(٣) في الأصول : « قتل عبيدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود » . وما أثبتناه رواية ابن هشام .

قال محمد بن سعد في طبقاته : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من أحد. فصلى المغرب بالمدينة ، وسميت عبد الله بن أبي بن سلول والمناققون بما نيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن ينالوا منّا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن . قال : وبكت الأنصار على قتلاهم ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء فبكى ، وقال :
 لكن حمزة لا بواكي له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيّد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرانساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين ، فقال : ارجعن يرحمك الله ، فقد آسيتن بأنفسكن .
 ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يومئذ] عن النوح .

١٠

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعو لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بمجد الله كما تحبين ؛ قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بمدك جَلَلٌ ، رضي الله عنها .

١٥

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت فاطمة - رضي الله عنها - تغسل جرحه ؛ وعلى يسكب الماء عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، عمدت إلى قطعة من حصر فأحرقتها ، وألصقت ذلك على الجرح فاستمسك الدم ، ولم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلا تلك

٢٠

الليلة ، ثم أصبح فجر في طلب العدو إلى حمراء الأسد ، على ما ذكره إن شاء الله .

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من القرآن في غزوة أحد ، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران ، أول ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النعالي النيسابوري - رحمه الله - في تفسيره المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن : إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت للنصف من شوال ، وأنه صلى الله عليه وسلم جعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القيدح ، إذا رأى صدرا خارجا قال : تأخر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ تفشلا ، أى تجبنا وتضعفا وتختلفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما بنو سلمة بن الخزرج ، وبنو حارثة بن الأوس ،

(١) في ١ : « ما نزل » .

(٢) تبوي المؤمنين : اتخذ لهم مقاعد ومنازل .

(٣) في ١ : « ابن إسحاق » . وهو تحريف .

(٤) زيادة عن ج .

- وكانا جناحى المسكر، وذلك أن عبد الله بن [أبي بن سلول] لما انخزل بثلت الناس كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه : (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ) ؛ هم بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه ، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا ، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكّرهم الله تعالى عظيم نعمته ، فقال : (وَأَنَّ اللَّهَ وَآيَاتِهِ) أى ناصرها وحافظهما (وَعَلَى اللَّهِ فليتوكّل المؤمنون) ثم ذكّرهم الله منته عليهم إذ نصرهم ببدر ، فقال : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) إلى قوله : (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) قوله : (لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ) . «لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا» أى يهلك طائفة «أَوْ يَكْبِتُهُمْ» أى يهزمهم «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» أى لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم .
- قوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ غَافِلُونَ) .

- اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية ، فقال عبد الله بن مسعود : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد ، وكان عثمان بن عفان منهم ، فتمناه الله تعالى عن ذلك ، وتاب عليهم ، وأنزل هذه الآية . وقال عكرمة ، وقنادة ، وميّمس : أدمى رجلٌ من هُذَيْل يقال له : عبد الله ابن قنمة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان حنقه أَنَّ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَيْسًا فَنَطَحَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَبَجَّ عُنْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَأْسَهُ وَكَسَرَ رِجْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدعا عليه وقال : اللهم

- (١) في الأصل : «ابن سلام» . وهو خطأ ، إذ أن الذى انخزل بثلت الناس هو عبد الله بن أبى ابن سلول ، وهو الذى قدم ذكره ، وأما عبد الله بن سلام فهو برى . من ذلك . راجع تاريخه فى الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٥ . (٢) فى ج : «هت» . (٣) فى : «نصرهم الله» .

(١) لا يُجَلِّ عليه الحَوْلُ حتى يموت كافراً [قال : فما حال الحَوْلِ حتى مات كافراً] فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عليه هذه الآية . وقال الربيع والكلبي : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقد تُشِّجُ في وجهه وأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، فَهَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَلْعَنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذه الآية ، لَعَلَّهُ فِيهِمْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ قيل : أمثال . وقيل : أئم .
والسنة الأمة ، قال الشاعر :

ما عَيْنَ النَّاسِ مِنْ فَضْلِ كَفَضْلِهِمْ * وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ
وقيل : أهل سُنَنٍ ؛ وقيل : أهل شَرَائِعٍ ؛ قال : معنى الآية : قد مضت وسَلَفَتْ مَتَى فِيمَنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبَةَ الْكَافِرَةَ سُنَنٌ بِإِمهَالِي وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ فِيهِمْ أَجَلِي الَّذِي أَجَلْتُ — لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِي — وَأَهْلَكْتُمُ .
﴿ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ أَي مِنْهُمْ ، فَأَنَا أَمَّهُلُهُمْ وَأَسْتِدْرَجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلِي الَّذِي أَجَلْتُ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ وَأَوْلِيَائِهِ وَهَلَكَ أَعْدَائِهِ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قال :
هذه الآية تعزية من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد ، وحثُّ منه إِيَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْعِجْزِ

(١) كذا في أ ، ج . وفي الكشف والبيان : « لا يحول » . (٢) ما بين القوسين لم يذكر في أ . (٣) ساقطة من ج . (٤) الإدالة : الغلبة والنصرة ؛ أي غلبة أنبيائِي ونصرتهم ، كما سيوضح بعد في تفسير بقية الآية . وفي أ : « لا ذالة » . وفي الكشف والبيان للعلبي : « لا ذالة » وهما محرفان . (٥) هذه الكلمة ساقطة من ج .

والفشل، فقال تعالى: «وَلَا تَهِنُوا» أى لا تضعفوا ولا تجبنوا من جهاد أعدائكم^(١) [بما نالكم يوم أحد من القتل والقرح . «وَلَا تَحْزَنُوا» على ظهور أعدائكم] ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى لكم تكون العاقبة^(٢) بالنصر والظفر «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .

- قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أى جرح يوم أحد فقد مسَّ القومَ جرح مثله يوم بدر . ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يعنى إنما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين آمنوا — يعنى منكم — ممن نأفق، فيميز بعضهم من بعض . وقيل: المعنى «وليُعلمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بأفعالهم موجودة كما عليها منهم قبل أن كلّفهم . «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» يُكرِّمُ أقواما بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا: أرنا يوما ١٠ كيووم بدرٍ فقاتل فيه المشركين وثلّثتم الشهادة . فلَقُوا المشركين يوم أحد، فاتَّخِذَ اللهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ .

٤١
١٥

- قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ يعنى يطهر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ» يفنيهم ويهلكهم وينقصهم . ثم عزّاهم الله تعالى فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِينَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقَلْبَمُ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُجْزَىٰ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

(١) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٢) فى أ : « والنصر » .

وذلك أنه لما قتل عبد الله بن قيس مصعب بن عمير، وصرخ صارخ — يقال : هو إبليس، لعنه الله — ألا إن محمدا قد قُتل . وانهمز الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي — يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان . وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم . وقال أناس من أهل النفاق : إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول . فقال أنس بن النضر : يا قوم، إن كان قد قُتل محمد فإن ربَّ محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه ؛ ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء — يعنى المسلمين — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — يعنى المنافقين — ثم قاتل حتى قُتل . ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانحدر إليه طائفة من أصحابه، فلما هم صلى الله عليه وسلم على الفرار، فقالوا : يا نبي الله، فدينناك بأبائنا وأمهاتنا أمانا الخبر بأنك قُتلت فرُعبت قلوبنا فولينا مدبرين . فانزل الله تعالى : ” وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَمْ عَلَىٰ غُرَابٍ مَّا يُنْقَلِبُ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ” أى رجعت إلى دينكم الأول الكفر ” وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ” فيرتد عن دينه ” فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا ” بارتداده، وإنما يضر نفسه ” وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ” أى المؤمنين .

قوله تعالى : ” وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ” قيل : الربيون الألوفا والربة الواحدة عشرة آلاف . وقيل : الربيون العلماء والفقهاء . وقيل : الأتباع

- (١) كذا في الأصول وابن هشام، والذي في المواهب اللدنية عن ابن إسحق : « ألقوا ما بأيديهم . »
 (٢) في ج : « يقول . » (٣) في أ : « فرعت . » (٤) كذا في لسان العرب .
 وفي الأصل : « الرية » . ولم نثر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى . وفي القرطبي (٤ : ٢٤٠) عن أبان بن ثعلب : « الرية عشرة آلاف » وعليه فربيون جمع ربة .

وقيل : الربانيون الولاء ، والربيون الرعية . وقيل : الربيون الذين يعبدون الرب تعالى . قال : ومعنى الآية ، فما ضَعُفُوا عن الجهاد ” لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ “ لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب ، وما عجزوا بقتل نبيهم ” وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا “ قال قتادة والربيع : يعنى وما آرتدوا عن بصيرتهم ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى . قال السدى : وما ذُلُّوا . وقال عطاء : وما تضرعوا . وقال مقاتل : وما آستسلموا وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا على أمر ربهم ، وطاعة نبيهم ، وجهاد عدوهم ” وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ “

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [قال : معنى الآية ، ” قَوْلُهُمْ “ عند قتل نبيهم ” إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا “ يعنى خطايانا ” وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا “ لتلا نزول ” وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ “] .

قوله تعالى : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ يعنى النصر والنعمة ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الجنة ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال على ، رضى الله عنه : يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم ، وأدخلوا فى دينكم . ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ أى ترجعوا على أول أمركم الشرك ﴿ فَتَنَقَّبُوا خَاصِرِينَ ﴾ أى فتنصروا مغبونين ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ أى ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ .

٢٠

(١) وفى تفسير الطبرى عن قتادة والربيع : « نصرتهم » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ . (٣) فى أ : « بالجنة » .

قوله تعالى : ﴿سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال السدي : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا ، وقالوا : بئس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى^(١) في قلوبهم الرعب ، حتى رجعوا عما هموا به ، فأنزل الله تعالى : ﴿سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بمعنى الخوف ﴿يَا أَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي حجة وبيان وعذرا وبرهانا ، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم ، فقال : ﴿وَمَا وَهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي مقام الكافرين .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال مجاهد بن كعب القرظي : لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة ، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ [فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي الذي وعد بالنصر] والظفر ، وهو قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ الآية . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [للزامة] : ﴿لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ فَلَن نَزَالَ غَالِبِينَ مَا بَيْتُمْ مَكَانَكُمْ﴾ وقوله [تعالى] : ﴿إِذْ تُحْسِنُونَ بِيَادِهِ﴾ أي تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا ، وذلك عند هزيمتهم كما تقدم . قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ « فِشَلْتُمْ » : أي جبتم وضعفتم « وَتَنَازَعْتُمْ » أي اختلفتم . وهو ما وقع بين الزامة ، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدم ، فكانت الهزيمة بسبب ذلك . قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ﴾

(٢) ساقطة من جـ .

(٤) ساقطة في أ .

(١) ساقطة في أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٥) زيادة للإيضاح .

٤٢
١٥

٥

١٠

١٥

٢٠

وهو الظفر والنعمة . قوله : (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ^(١)) يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ) يعنى الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا . قوله : (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ) أى ردكم عنهم بالهزيمة (لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) أى فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) .

قوله تعالى : (إِذْ تُصْعِدُونَ) يعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هارين (وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) . ثم رجع إلى الخطاب ، فقال : (وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ) قال يقال : أصعدت إذا مضيت حيال وجهك ، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره ، والإصعاد : السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب ، والصمود : الارتفاع على الجبال وغيرها . وقال المبرد : أصعد إذا أبعده في الذهاب . قال الشاعر :

ألا أيهذا السائلِ أين أصعدت * فإن لها في أهل يثرب موعدا

وقال الفراء : الإصعاد الابتداء في كل سفرٍ ، والانحدار الرجوع منه . وقوله : " وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ " يعنى ولا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم ، ولا يلتفت بعضهم إلى بعض هربا وفرارا ، قال الكلبي : " على أحد " يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم . (وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ) يعنى في آخركم ومن ورائكم : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فأنا رسول الله ، من يكرهه الجنة . (فَأَنَابَكُمْ) أى فجازاكم ، جعل الإنابة بمعنى العقاب ، كقوله : " فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " ، يعنى الآية : أى جعل مكان الثواب الذى كنتم ترجون (عَمَّا يَغْمُونَ) قال الحسن : يعنى بغم المشركين يوم بدر . وقال غيره : غمًا على غم . وقيل : غمًا متصلًا بغم ، فالغم الأول ^(٢) ما فاتهم من الغنيمة

٢٠

(١) زيد في أ في هذا الموضع : « ومنكم من يريد الآخرة » .

(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس . وفي ديوانه : « أين يمت » .

(٣) في أ : « على ما فاتهم » .

والظفر، والغنم الثاني ما نالهم من القتل والمهزيمة . وقيل : الغنم الأول ما أصابهم من القتل والجراح ، والغنم الثاني ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فأنساهم الغنم الأول . وقيل : غير هذه الأقوال . والله أعلم . قوله تعالى : ﴿ لِيَكِلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ أى من الفتح والغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من القتل والمهزيمة ؛ هذا أنسأكم ذلك الغنم ، وههنا ما أتم فيه عما كان قد أصابكم قبل . وقال المفضل : « لا » صلة . معناه : لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم إياه ، وترككم المركز ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَنَمِ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم ، والله إني لأسمع قول مُعْتَبِ بْنِ قُشَيْرٍ وَالنَّعَّاسِ يَغْشَانِي مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ يَقُولُ : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . أمهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف ، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام . وعن أنس عن أبي طلحة قال : رفعت رأسي

يوم أحد ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس . قال أبو طلحة : وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه النعاس يومئذ ، فكان السيف يسقط من يدي فأخذه ، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه من النوم . « وَطَائِفَةٌ » يعنى المنافقين [معتب بن قشير وأصحابه] ^(٢) « قَدْ أَهْمْتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ » أى حملتهم على الهم « يظنون بالله غيرَ الحق » أى لا ينصر مجدا ، وقيل : ظنوا أن مجدا صلى الله عليه وسلم قد قتل . « ظنَّ الجَاهِلِيَّةَ » أى كظن أهل الجاهلية والشرك « يَقُولُونَ هَلْ لَنَا » أى ما لنا ، لفظه استفهام ومعناه بمجد « مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » يعنى التصرف « قُلْ إِنْ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض : لو كانت لنا عقول لم نخرج مع مجد إلى قتال أهل مكة ، ولم يقتل رؤسائنا . فذلك قوله تعالى : « يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا » فقال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - قل لهم : « لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ » أى لخرج « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » أى مصارعهم « وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ » أى ليختبر الله « مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيَلْمِزْكُمْ » أى يخرج ويظهر « مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » أى بما فى القلوب من خير أو شر .

١٥ قوله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ** » أى انهزموا منكم يا معشر المؤمنين « **يَوْمَ التَّنْعِ الْجَمْعَانِ** » جمع المسلمين وجمع المشركين « **إِنَّمَا أَسْتَرْهَمُ الشَّيْطَانَ** » أى

(١) الحجفة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ . وقال القرطبي : « وكانوا خرجوا طمعا فى الغنيمة وخوف

المؤمنين ، فلم يقسمهم النعاس ، وجعلوا يتأسفون على الحضور ، ويقولون الأقرابيل » .

(٤) كذا فى ج . وفى أ : « وشر » .

حملهم على الزلل . وقال الكلبي : زين لهم أعمالهم ﴿بِعِضِّ مَا كَسَبُوا﴾ أى بشؤم ذنوبهم . قال المفسرون : بتركهم المركز . وقال الحسن : بما كسبوا قلوبهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة . ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى المنافقين

عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ فى النفاق ، وقيل : فى النسب .

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرًّا﴾

غزاة فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعنى قولهم وظنهم

﴿حَسْرَةً﴾ وحرنا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ والحسرة : الاغتمام^(١) على فائت كان يقدر^(٢) بلوغه .

قال الشاعر :

فوا حسرتى لم أقض منك لُبَاتى * ولم نتمتع بالجمور وبالأسرب^(٣)

ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله ، سبحانه ، لا يتقدمان لسفر ولا يتأخران لحضر

فقال عز وجل : ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَأَنْتَ قُنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِمَّ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أى فى العاقبة

﴿وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ﴾ أى من النوائم ﴿وَأَنْتَ مِمَّ أَوْ قُنْتُمْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحْشِرُونَ﴾

أى فى العاقبة .

قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أى سهلت لهم أخلاقك ، وكثرة

احتمالك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ أى جافيا

سَيِّئَ الْخَلْقِ قَلِيلَ الْإِحْتِمَالِ . ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قال الكلبي : فظا فى القول ، ذليظ

(١) فى ١ ، ج : « والحسرة والاعتمام » وهو تحريف .

(٢) فى ١ : « يقدر على بلوغه » .

(٣) فى القرطبي : « أقض منها ... ولم أتمتع » .

القلب في الفعل (لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ) أى لتفترقوا عنك ، وأصل الفِض الكسر ،
ومنه قولهم : لا يَفْضُضُ اللهُ فَآكَ . قال أهل الإشارة في هذه الآية : منه العطاء
ومنه الثناء . (فَاعُفْ عَنْهُمْ) أى عَمَّا أتوا يوم أحد (وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) حتى أشفك
فيهم (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أى استخرج آراءهم ، واعلم ما عندهم ، وهو مأخوذ
من قول العرب : شُرْتُ الدابة وشَوْرْتُهَا إذا استخرجت جريها ، وطلبت خبرها ،
قال : ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد ، ويدل عليه قراءة
ابن عباس "وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" . قال الكلبي : يعنى فأظهرهم في لقاء العدو ،
ومكايذة الحرب عند الغزوة . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله :
"وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال مقاتل وقتادة
والربيع : كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم ، فأمر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم في الأمر ، فإن ذلك أعطف لهم عليه ، وأذهب
لأضغانهم ، وأطيب لأنفسهم ، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم . قال :
(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى لا على مشاورتهم . وقرأ جعفر الصادق ، وجابر
ابن زيد ، "فإذا عزمتم" بضم التاء ، أى عزمتم لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على
الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

قوله تعالى : (إِنَّ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ) أى يعنكم ويمنعكم من عدوكم (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)
مثل يوم بدر (وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ) أى يترككم ولا ينصركم ، والخذلان القعود
عن النصر ، والإسلام للهلكة والمكروه ، قال : وقرأ عبيد بن عمير "وإن يخذلكم"
بضم الياء وكسر الذال ، أى يجعلكم مخذولين ، ويجعلكم على الخذلان والتخاذل ،

(١) المعنى : أن الله تعالى هو الذى أعطى رسوله الرحمة ، وهو الذى مدحه بها . وفي تفسير الثعلبي :

« البناء » . (٢) الإسلام : من أسلمه إذا ألقاه في الهلكة .

كما فعلتم بأحد (**فَمَنْ دَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ**) أى من بعد خذلانه (**وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون**) .

قوله تعالى : (**أولمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ**) أى بأحد (**قَدْ أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا**) بدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين رجلا، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين (**قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**) أى من أين لنا هذا القتل والهزيمة ، ونحن مسلمون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، والوحي ينزل عليه ، وهم مشركون ؟ وقد تقدم في قصة أسارى بدر خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم ، ويقتل منهم مثلهم في العام القابل ، واختيارهم الفداء ، وذلك قوله : (**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**) أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل ، (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) .

قوله تعالى : (**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ**) أى : أحد من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة (**فَيَذَنْ اللَّهُ**) أى بقضائه وقدره وعلمه (**وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**) وليعلم الذين نأفقوا (**أى ليعيز ، وقيل : ليرى . وقيل : لتعلموا**) أن الله قد علم نفاقهم ، وأنتم لم [تكونوا] تعلمون ذلك . (**وَقِيلَ لَهُمْ تَدَّالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) أى لأجل دين الله وطاعته (**أَوْ أَدْفَعُوا**) أى عن أهلكم وبلدكم وحريمكم ، وقيل : أى كثروا سواد المسلمين ورابطوا إن لم تقاتلوا ، ليكون ذلك دفعا وقعا للعدو (**قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ**) وهو قول عبد الله بن أبي وأصحابه الذين أنصرفوا معه ، كما تقدم من خبرهم عند آتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع . قال الله تعالى : (**هُمُ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**) وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر ، فبين الله تعالى نفاقهم (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**) .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ قيل : في النسب لا في الدين ،
 وهم شهداء أحد . ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾
 وأنصرفوا عن عهد ، وقعدوا في بيوتهم ﴿ مَا قَاتَلُوا ﴾ قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَ يَأْمُرُ
 ﴿ قَادِرُوا ﴾ أى فادفعوا ﴿ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن الحذر يفتى
 عن التدر .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أُصيب إخوانكم يوم أُحد جعل الله أرواحهم
 في أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح من الجنة
 حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم
 ومطعمهم ومشريهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : يا ليت قومنا
 يعلمون ما نحن فيه من النعم ، وما صنع الله عز وجل بنا ، كي يرغبوا في الجهاد
 ولا ينكثوا عنه . فقال عز وجل : أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم . ففرحوا بذلك
 وأستبشروا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآيات ،
 [إلى] قوله « أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقال قتادة والربيع : دُكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، قالوا : يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

- ٢٠ . (١) في ج : « طير » . (٢) في ج : « قال الله » .
 (٣) ساقطة من أ . (٤) في ج : « من أصحاب النبي » .

وعن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال: جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطلع الله عز وجل إليهم اطلاعةً فقال: هل تستهون شيئاً فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ ثم اطلع إليهم الثانية، فقال: هل تستهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ ثم اطلع إليهم الثالثة، فقال: هل تستهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نحب أن تعيدنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك؟ قال: لا؛ قالوا: فتقرئ نبيتنا منا السلام، وتخبره بأن قد رضينا، ورضى عنا؟ فأبى الله، عز وجل هذه الآية.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قُتل أبي يوم أحد، وترك علي بنات، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أبشرك يا جابر؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ قال: إن أباك حيث أصيب بأحدٍ أحياء الله تعالى وكلمه كفاحاً؛ فقال: يا عبد الله سألني ما شئت؛ فقال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً؛ فقال: يا عبد الله، إني قضيت ألا أعيد إلى الدنيا خليفة قبضتها؛ قال: يا رب، فمن يبلغ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال الله تعالى: أنا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد روى أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معونة؛ وقيل: في شهداء بدر. والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد، والله أعلم.

(١) في ج: «يا نبي الله».

(٢) كفاحاً: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

ذكر غزوة حمراء الأسد^(١)

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من أحد، قال ابن سعد :
لثمان خلون من شوال على رأس آتئين وثلاثين شهرا من مهاجره . وقال ابن إسحاق :
كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال . وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم
في غزوة أحد .

- قال ابن سعد وغيره : لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد
مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون
يدارون جراحاتهم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد أمر
بلالا أن ينادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب عدوكم ، ولا يخرج
معنا إلا من شهد القتال بالأمس . فقال جابر بن عبد الله : إن أبي خلفني يوم أحد
على أخوات لي ، فلم أشهد الحرب ، فأذن لي أسير معك^(٢) ، فأذن له ، فلم يخرج معه
أحد ممن لم يشهد أحدًا غيره . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوانه ، وهو معقود
لم يحل ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق
رضى الله عنه . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مجروح ، وحشد أهل^(٤)
العوالي حيث أتاهم الصريح ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج الناس
معه ، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم ، فلحق آثنان منهم القوم
بحمراء الأسد — وهى من المدينة على عشرة أميال — وهم يأترون بالرجوع ،

(١) كذا ضبط في الأصل ، والقاموس ، والطبرى ، وطبقات ابن سعد . وفي معجم البلدان :

« حمراء الأسد » بضم الهذبة وسكون السين . (٢) في طبقات ابن سعد : « أن أسير » .

(٣) في ج : « وخرج صلى الله ... » . (٤) حشد أهل العوالي : أجابوا مسرعين .

وصفوان بن أمية ينههم عن ذلك، فبصروا بالرجلين، فقطعوا عليهما قتلوهما، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكر بجمرات الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليلالي خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى عدوهم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليلال، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

وقال محمد بن إسحاق، ورفعه الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : إن رجلا من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي، وقال لي : أفقوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما لنا دابة نركبها، وما لنا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جرحا من أخي، فكان إذا غلب حملته عقبية ومشى عقبية، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال : وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ هم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح، إلى قوله : ﴿ فَأَتَقَلَّبُوا يَنْعَمَةَ مِنْ اللَّهِ وَقَضِيَ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قطن — وهو جبل بناحية قيد، به ماء لبني [أسد بن] خزيمة — في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهران مهاجرة .

(١) عقبه : نوبة . (٢) ساقطة في ١ .

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم، أن طليحة وسامة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث أبا سامة وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إيلًا وشاء^(١)، ولم يلقوا كيدا، فأنحدر أبو سامة بذلك كله إلى المدينة .

٥ ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سفیان بن خالد الهذلي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وذلك أنه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، أن سفیان بن خالد بن نبيح الهذلي^(٢) ثم اللخمياني — هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته .

- ١٠ وقال ابن إسحاق : خالد بن سفیان بن نبيح قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه . وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . قال ابن سعد . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال قال عبد الله ابن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفیان الهذلي جمع الناس ليغزوني وهو بخلة أو بعرة فأتته فاقبله . فقلت يا رسول الله أنته لي حتى أعرفه؛ قال : إنك إذا رأيته أذ كرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه

(١) شاه : جمع شاة، والكيد : الحرب .

(٢) في أ : « خالد نبيح » .

(٣) في ج : « إنى » .

(٤) في أ : « أبا سفیان » .

٢٠

(٥) عرة؛ قال في المواهب اللدنية : موضع بقرب عرفة، أو قرية بوادي عرفة .

أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيْرَةً . قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا بِسِنْفِيْ ، حَتَّى دُفِعْتُ
 [إِلَيْهِ] ^(١) وهو في طَعْنٍ يَرْتَدُّ مِنْ مَنزَلًا ، وذلك وقت العصر ، فلما رأيته وجدت له
 ما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأقبات نحوه ، وخشيت أن يكون بطني وبينه
 مجاورة تشغلي عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت ^(٢)
 إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل
 بجأك لذلك . قال : أجل ، أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئًا حتى إذا أمكنتني
 حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركته طعائنه مُنَجَّاتٍ عليه ، فلما قدمت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفلح الوجه ؟ قلت : قد قتلته ؛ قال صدقت .
 ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك . قال :
 فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي ، فقالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لِمَ ذلك ؟
 قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بطني
 وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ ، قال : فقَرَنها عبد الله
 ابن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فُضِّمَتْ في كفته ،
 ثم دُفِنَا جميعًا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحِوَارِ وحِوَلِهِ * نَوَاحٍ تُقْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدِّدٍ ^(٤)
 تَنَاولَتْهُ وَالطَّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ * بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهْنَدٍ ^(٥)

(١) ساقطة في ١ . (٢) في ١ : « مجادلة » .

(٣) المتخضرون : المتوكلون على المخاصر ، وهي العصي ، وأحدتها مخصرة .

(٤) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيراً . تقري : تقطع .

(٥) أبيض : سيف . مهند : مطبوع من حديد الهند .

- عَجُومٌ لِهَامِ الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهُ * شِهَابٌ غَضِيٌّ مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ^(١)
 أَقُولُ لَهُ وَالسِّيفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ * أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارِسًا غَيْرَ قُفُودٍ^(٢)
 أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُتَزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ * رَحِيبٌ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مَرْزُودٍ^(٣)
 قَقَلْتُ لَهُ حُذَّهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ * حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ^(٤)
 وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ * سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

ذِكْرُ سَرِيَّةِ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو السَّاعِدِيِّ إِلَى بَيْتِ مَعُونَةَ

٤٧
١٥

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجرة .

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براءٍ ملاعب الأُسنة الكلابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهدى له فلم يقبل منه ، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم ، ولم يبعده ، وقال : لو بعثت معي نفرا من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك . قال : أخاف عليهم أهل نجد ، قال : أنا لهم جار . فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من الأنصار شببة يسمون القراء ، وأمر

(١) عجوم : عضوض . الهام : الرموس . الشهاب : القطعة من النار . الغضي : شجر خشبه من أجود الوقود . (٢) القفود : الجبان اللثم القاعد عن المكرم . (٣) المزند : الضيق البخل . (٤) الحنيف : الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .

ملاحظة : زيد في أبعاد الأبيات : « والله ولي المتقين وهو خير الناصرين » .

(٥) الأُسنة : جمع صنان وهو فصل الرمح . وسمى ملاعب الأُسنة لأن أخاه طفيليا الذي كان يقال له : فارس قرزل ، أسله وفر في يوم سوبان ، وهو يوم كان بين قيس وتميم ، فقال شاعر :
 فرزت وأسلت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى ملاعب الرماح ، وملاعب الأُسنة .

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحتين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا قبل هدية مشترك . (٧) في رواية لابن هشام : « ولم يبعده من الإسلام » . (٨) رواية ابن إسحاق أربعون ، والصحيح ما هنا كما قال السهيلي ، وهي رواية البخاري ومسلم . وشببة : شبان . (٩) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم . وفي شرح المواهب : أنهم كانوا يصلون بعض الليل ، ويدرسون بعضه ، ويختطبون ، ويبعون بعضه يشترون به طعاما لأهل الصفة والفقراء ، وبعضه يأتون به الحجر الشريفة .

عليهم المنذر بن عمرو ، فساروا حتى نزلوا بئر معوية - وهي بين أرض بني عامر وحرّة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بنى سليم أقرب - فلما نزلوها سرحوا ظهرهم ، وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى عامر بن الطفيل ، فوثب على حرام فقتله ؛ واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا ، وقالوا : لا نُخْفِرُ جوار أبي براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم ، عَصِيَّةٌ ورِعْلًا وَدَكْوَانٌ ، فنضروا معه . واستبطن المسلمون حراما ، فأقبلوا في أثره ، فلقبهم القوم فأحاطوا بهم ، وكاثروهم فاقتتلوا ، فقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم سليم بن ملحان ، والحكم بن كيسان .

قال ابن إسحاق : فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فإنهم تركوه ، وبه رمق بين القتلى ، فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق . قال : وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار - قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح - فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشفانا ؛ فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، والخليل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ؛ قال الأنصاري : ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِلَ فيه المنذر بن عمرو ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، وأخذ عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

(١) لا تخفر : أى لا تنقض . (٢) كاثروهم : كانوا أكثر منهم .

(٣) فى ١ : « لهذا » . (٤) فى ١ : « أخبره » .

نخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة^(٢) أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه ، وكان معهما عقْد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما تُؤرة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أُبت من بينهم» ! ثم أخبره بقتل العاصرين ، فقال : «بئس ما صنعت ، قد كان لهما مني أمان وجوار ، لأديتهما» ! وبعث بديتهما إلى قومهما ، وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الصبح يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَانٍ وَعُصَيَّةٍ وَبَنِي لِحْيَانٍ .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قرأنا بهم قرآنا زمانا ، ثم إن ذلك رفع أو نسي : « بلِّغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا غرضي عنا وأرضانا» . وقال أنس ابن مالك : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة .

قال ابن سعد : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصاباً خبيب بن عدى ومن معه ، فدعا رسولاً

(١) هي قرقرة الكدر ، قال الواقدي : موضع بناحية المدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : ماء لبني سليم . (راجع معجم البلدان في كدر) .

(٢) قنات : واد يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر .

(٣) قال السهيلي : « ثبت هذا في الصحيح ، وليس عليه روث الإجماز ، فيقال : إنه لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن » .

(٤) وجد : حزن .

الله صلى الله عليه وسلم على قتلهم بعد الركعة من الصبح ، فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسني يوسف ، اللهم عليك بنبي لحيان وعَضَل والقارة وزَعْب وِرْعِل وذَكْوَان وعُصَيَّة ، فإنهم عصوا الله ورسوله » .

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رهط من عَضَل والقارة ، وهم إلى الهُؤن بن خزيمة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفرا [من أصحابك] يفقهونا ويقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنة ، وخالد بن البكير اللبيثي ، وعبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأمه . وأمر عليهم عاصما ، وقيل : مرثدا ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع — وهو ماء لهذيل بناحية الجحاز — غدروا [بهم] واستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم

(١) قال في المواهب اللدنية : « ذكر صاحب شرف المصطفى أنه صلى الله عليه وسلم لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحى إليه ، فقال لها : اذهبي إلى رعل وذكوان وعصية ، عصت الله ورسوله ، فأتتهم ، فقتلت منهم سبعمائة رجل ، بكل رجل من المسلمين عشرة » .

(٢) ساقطة في أ . (٣) ضبط في المواهب اللدنية : بفتح الـ دال وكسر الـ تاء مع فتح النون المشددة . وزاد البرهان : وقد تسكن الـ تاء . وضبطه صاحب القاموس ، بكسر الـ تاء مع فتح النون المخففة .

(٤) كذا في الطبرى ، والإصابة ، وأسد الغابة والاستيعاب . وفي الأصل : « أبو بكير » . وفي الطبقات : « أبو البكير » . ورجحنا ما ذكرناه لأن المؤلف ذكره في موضع آخر من هذه الفزرة موافقا لما أثبتناه . (٥) هو عبد الله بن طارق كما في الطبقات . (٦) ساقطة في أ .

- إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسياهم ليقاتلوا ، فقالوا :
 إنا ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله
 وميثاقه ألا نقتلكم . فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت،
 ومعتب بن عبيد ، فقالوا : والله لا تقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا . وقاتلوا
 حتى قُتلوا، رضى الله عنهم . وأما زيد بن الدثنة وخُيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ،
 فرغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعهم بها ،
 حتى إذا كانوا بمز الظهران اترع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه^(٢)
 واستأخر عنه القوم ، فرموه بالمحجارة حتى قتلوه ؛ فُقبر هناك . وأما خُيب بن عدى^(٣)
 وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة ، فأباعوهما من قريش بأسيرين من هُدَيل كانا^(٤)
 بمكة ، فابتاع خُبَيْبًا حُجْر بن أبي إهاب التيمي ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث
 ابن عامر بن نوفل ليقته بأبيه . وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ،
 ليقته بأبيه أمية بن خلف ، وبمنه مع مولى له يقال له : نِسْطاس ؛ إلى التميم ،
 فأخرجوه من الحرم ليقته ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن
 حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقته : أَسُدُّكَ اللهُ يا زيد ، أتحب أن محمدا
 عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلِكَ ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا^(٥)
 عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلِكَ ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا

(١) مر الظهران : الظهران ؛ واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا
 الوادي ، فيقال : مر الظهران . (معجم البلدان) . (٢) القرآن : الجبل الذى يشد به الأسيران .
 (٣) أباعوهما : عرضوهما للبيع . (٤) كذا فى الأصل ، وفى رواية للإصابة فى الحديث عن
 مارية مولاته . وفى طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والنوهاب اللدنية ، والإصابة ، وأسد النجابة ،
 والطبرى : « حجبر » .

(٥) التميم : موضع بمكة فى الحبل ، وهو بين مكة ومصر على فرسخين من مكة .

(٦) فى ج : « الآن عندنا » .

الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلى . فقال أبو سفيان :
 ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب مجد مجدا ؛ ثم قتله نسطاس .
 وأما خبيب بن عدى فرؤى عن ^(١) ماوية مولاة حُجْر بن أبى إهاب ، وكانت قد
 أسلمت ، قالت : كان خبيب قد حبس في بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما وإن
 في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا
 يؤكل ، قالت : وقال لى حين حضره القتل : ابشى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ؛
 فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ؛ قالت :
 فوالله ما هو إلا أن قد ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ما صنعتُ ! أصاب والله الرجل
 ناره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدية أخذها من يده
 ثم قال : لعمرك ، ما خافت أمك غدركى حتى بعثك بهذه الحديدية ! ثم خلى سبيله ^(٢)
 ويقال : إن الغلام ابنها . ^(٣)

قال ابن إسحاق : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال : إن
 رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ركعتين . [فركع ^(٤)
 ركعتين] أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى
 إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سنن ^(٥)
 هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبته ، فلما أوثقوه ، قال :

(١) كذا في الأصول . وفي روايات كثيرة : « مارية » .

(٢) في ١ : « فقتل » . (٣) في ١ : « سبيلها » .

(٤) في ١ : « أصلي » . (٥) ما بين القوسين ساقط من ١ .

- (١) اللهم إنا قد بلغت رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا .^(٢) ثم قتلوه ، رحمه الله ورضى عنه .^(٣)
- قال ابن هشام^(٤) : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .
- وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب :^(٥)

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع^(٦)
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل مُمنع^(٧)
وكلهم يمدى العداوة جاهدا * على لآني في وثاق بمضجع^(٨)
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما جمع الأحزاب لي عند مضرعي
فذا العرش صبرني على ما أصابني * فقد بضعوا الحمي وقد ضل مطمعي^(٩)

٤٩
١٥

- ١٠ (١) أحصهم عددا : أى أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد .
- (٢) بددا : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء جمع بدة ، وهى الحصاة والنصيب ، أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويرى بالفتح ، أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد من التبديد . وفى الأصول : « مددا » . وهو تحريف .
- (٣) قال فى الروض الأنف : « فإن قيل : هل أجبت فيهم دعوة خبيب ؟ . قلنا : أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ، ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب بدعائه ، ومن قتل منهم بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بددا ، غير معسكين ولا مجتمعين ، ففقدت الدعوة على صورتها ، وفيمن أراد خبيب رحمه الله » .
- (٤) فى أ : « قال هشام » .
- (٥) قال ابن هشام : « بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .
- (٦) ألبوا : جموا ورحضوا .
- ٢٠ (٧) فى ابن هشام : « جموا » . وقد ذكر هذا البيت بعد البيت الذى يليه .
- (٨) ويرى البيت :
- وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لآني فى وثاق مضجع
- (٩) بضوا : قطعوا . وفى سيرة ابن هشام : « بأس مطمعي » .

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ * يبارك على أوصالِ شلُوٍ مُمزع^(١)
 وقد عرّضوا بالكفر والموتُ دونه * وقد ذرّفت عيناى من غير مدّمع^(٢)
 وما بي حذارُ الموتِ ، إني لميتٌ * ولكن حذارى حرّ نارٍ ترفع^(٣)
 فليست بمبيدٍ للعدوّ تخشعاً * ولا جزعاً إني إلى الله مرجعى
 ولست أبالى حين أُقتلُ مسلماً * على أى حال كان في الله مضجعى
 وفى رواية ابن شهاب :

• على أى جنب كان في الله مصرعى *

قالوا : وُصّل بالتّنعيم ، وكان الذى تولى صلبه عقبة بن الحارث ، وأبو هيرة العدوى .^(٤)

ذكر غزوةِ بنى النّضير

غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، سنة أربع ، على رأس
 سبعة وثلاثين شهرا من مهاجره .

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد ، ومحمد بن إسحاق ،
 وعبد الملك بن هشام ، دخل حديث بعضهم في بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، نرح إلى بنى النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العاصريين اللذين قتلهما
 عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعمينك بما أحببت . وكان

(١) أوصال : أعضاء . شلو : جسد .

(٢) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام ، وفي المواهب اللدنية كما يأتي :

وقد خبروني الكفر والموت دونه * وقد همت عيناى من غير مجزع

(٣) كذا في الأصول ، وعليه فهي تلفع بحذف إحدى التامين أى تشتل ؛ يقال : تلفع بالنوب

إذا أشتل به . وفى ابن هشام والمواهب : « جم نار تلفع » . والحج : الملتب ، ومنه الحميم .

(٤) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء خبيب ص ١٨٦ ج ٣ من سيرة ابن هشام طبع الحلبي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، وهو في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، رضوان الله عليهم ، فخلا بعض بني النضير إلى بعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن حِمْشَاش^(١٢)

أَبْنِ كَعْبٍ ، أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا لَذَلِكَ ؛ فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ : لَا تَفْعَلُوا ، وَاللَّهِ لِيُخْبِرَنَّ بِمَا هَمَّمْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّهُ لَنَقُضَ لِلْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ . وَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، فَهَضَّ مَسْرَعًا كَأَنَّهُ يَرِيدُ الْحَاجَةَ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ قَامُوا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقُوا رَجُلًا مَقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُمْ قَدْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ . فَأَقْبَلَ أَصْحَابَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَوْهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَتَلْتُمْ وَلَمْ تَشْعُرُوا . قَالَ : هَمَّتْ يَهُودُ بِالْغَدْرِ فَأَخْبَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ فَقَتَلْتُمْ . ثُمَّ بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ : « أَنْ أَخْرِجُوا مِنْ بَلَدِي فَلَا تَسَاكُنُونِي بِهَا ، وَقَدْ هَمَّمْتُمْ بِمَا هَمَّمْتُمْ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ ، وَقَدْ أَجَلْتُمْ عَشْرًا [أَيْ مِنَ الْأَيَّامِ]^(١٤) فَمَنْ رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ ضَرْبَ عُنُقِهِ » . فَكَشَرُوا أَيَّامًا يَتَجَهَّزُونَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى ظَهْرِهِمْ بَنِي الْحَدَرِ^(١٥)

وَتَكَارَرُوا إِبِلًا مِنْ نَاسٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي : أَنْ أَقِيمُوا فِي حَصُونِكُمْ ، وَلَا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ، فَإِنَّ مَعِيَ أَلْفِينَ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حَصْنَكُمْ فَيَمُوتُونَ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ ، وَتَمَدُّكُمْ قُرَيْظَةً وَحَلْفَاؤَكُمْ مِنْ غَطَفَانَ . وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ وَدَيْعَةَ بَنِي مَالِكِ بْنِ أَبِي قَوْقَلٍ ، وَسُوَيْدَ وَدَاعِسَ ، وَقَالُوا

(١) في أ : « دخل » وهو تحريف . (٢) ضبط بكسر الجيم وتخفيف الحاء في الطبري ، وطبقات

ابن سعد ، وابن هشام . وضبط في المواهب اللدنية بفتح الجيم وتشديد الحاء . (٣) في أ : « فرأوا » .

(٤) هذا التفسير غير موجود في ج . (٥) ذو جدر : مسرح على ستة أيام من المدينة بناحية قباء .

(٦) كذا في الأصل ، وفي المواهب والروض الأنف . وفي الطبري : « وديعة ومالك بن أبي قوقل » .

لهم : إن قوتكم نصرناكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ؛ فطمع حُيَّ بن أخطب فيما قال ابن أبيّ ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر المسلمون لتكبيره ، وقال : حاربت يهود . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وسار في أصحابه ، وعلى بن أبي طالب يحمل لواءه ، فصلى العصر بفناء بنى النضير ، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم ، وقاموا عليها معهم النبل والحجارة ، وأعتزلتهم قريظة فلم تُعنهم ، وخذلم عبد الله بن أبيّ ومن واقفه فلم ينصروهم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست ليال ، ثم أمر بقطع التخييل وتحريقها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ! وكان الله عز وجل أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقالوا : نخرج من بلادك . فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دِمَاؤُكُمْ وما حملت الإبل إلا الحلقة ^(١) . فزلوا على ذلك .

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوماً ، وولى إخراجهم محمد بن مسامة ، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعائة بعير ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف ^(٢) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان من أشرفهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكانه بن الربيع ابن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بنى المغيرة في قريش . وحزن المنافقون [عليهم] ^(٣) حزنا شديداً ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة خمسين

(١) الحلقة : الدرع ، وقيل السلاح كله ، وهو المراد هنا .

(٢) النجاف : التبة .

(٣) ساقطة من أ .

(١) درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفا، وكانت بنو النضير صفيًا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خالصة له حُبسا لنوابه، لم يَحْمَسها ولم يُسَمَّ منها
 لأحد، إلا أنه أعطى ناسا من أصحابه، ووسع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله،
 صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر [الصدِّيق] (٢) رضى الله عنه، أعطاه بئر حجر،
 وعمر بن الخطاب بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سِوَالَة، وصُهيب بن سنان
 الصراطة، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة، وسهل بن حنيف (٣)
 وأبو دُجَانَة مالا، يقال له: مال ابن خَرَشَة. حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

قال: ولما أُجِّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير، قال: امضوا فإن
 هذا أول الحشر وإنا على الأثر.

١٠. وأُنزل الله عز وجل في بنى النضير سورة «الحشر» بكاملها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
 وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾.

١٥. (١) صفيًا: أى مختارة. (٢) حبسا: وقفا. (٣) ساقطة فى أ.

(٤) كذا فى أ، والطبقات. وفى ج: «حرم».

(٥) كذا فى ج. وفى أ: «المراطة». وفى الطبقات: «الصراطة».

(٦) البؤيلة: مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب. ويقال

لها أيضا: «البؤيرة». شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٩٩

٢. وقال صاحب معجم البلدان، فى «النضير»: «لم أر أحدا من أهل السير ذكر أسماء منازل

بنى النضير فبحثت فوجدت منازلهم التى غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادى بطحان والبؤيرة».

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النعلبي النيسابوري ، رحمه الله :
 « أهل الكلاب » بنو النضير « من ديارهم » التي كانت بيثرب « لأوّل الحشر »
 قال الزمري : كانوا من سببط لم يصبههم جلاء فيا مضى ، وكان الله عز وجل قد
 كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، قال : وكانوا أوّل حشر
 في الدنيا حشر إلى الشام . وقال الكلبي : إنما قال : « لأوّل الحشر » لأنهم أوّل
 من حُسر من أهل الكلاب ، ونفوا من الحجاز . وقال مرة الهمداني : كان هذا أوّل
 الحشر من المدينة ، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات
 وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعلى يديه . وقال قتادة :
 كان هذا أوّل الحشر ، والحشر الثاني : نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ،
 تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيّل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف .
 « ماظنتم » أيها المؤمنون « أن يخرجوا » من المدينة « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم
 من الله » حيث دزبوها وحصنوها « فاتاهم الله » أي أمر الله وعذابه « [من]
 حيث لم يحتسبوا وقدف في قلوبهم الرعب » قيل : بقتل سيدهم كعب بن الأشرف .
 « يخرجون بيوتهم بأيديهم » قال ابن إسحاق : وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف
 أبوابهم . وقال ابن زيد : كانوا يقتلعون العمدة ، وينقضون السقوف وينقبون
 الجدران ويقلعون الخشب ، حتى الأوتاد ، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسدا
 منهم وبفضا . وقال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها
 لتتسع لهم المقاتل ، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي

(١) السبط : ولد الولد . والسببط من اليهود كالتقبيلة من العرب .

(٢) كذا في الأصول ، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي : « وكان أوّل حشر حشروا في الدنيا
 إلى الشام » . (٣) كذا في الأصول ، ومعجم البلدان . وفي القاموس : « أريحا » كليلياء وكربلاء .
 (٤) ساقطة من أ . (٥) في أ : « الأخشاب » . (٦) في أ : « دارهم » .

بعدها ، فتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : كان المسلمون يجربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من باطنها ، فذلك قوله عز وجل :
 ” يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ “ .

ثم قال تعالى : (وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الآية . ” الجلاء ” عن الوطن
 ” لَعَدَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا “ ، بالقتل وبالسبي (١) كما فعل بنى قريظة ” وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُسَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ “ .

قوله تعالى : (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِيَدْنِ اللَّهِ وَلِيخْزِي الْفَاسِقِينَ) قال ابن إسحاق : اللينة : ما خالف العجوة من النخل . وقال

ابن هشام : ما لم تكن برنية ولا عجوة . وقال عكرمة وزيد بن رومان وقاتدة : النخل
 كله لينة ما خلا العجوة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، اللينة : النخلة والشجرة .
 وقال سفيان : هي كرام النخل . وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وقال
 مقاتل : هو ضرب من النخل ، يقال لثمرها : اللون ، وهو شديد الصفرة ، يرى
 نواه من خارج ، يغيب فيه الضرس ، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم ، وكانت
 النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف ، وأحب إليهم من وصيف ، فلما رأوا ذلك يقطع
 شق عليهم . قال : وجمع اللينة لين . وقيل : لِيَانٌ (٦)

(١) في ج : « والسبي » .

(٢) « شاقوا الله » : أى عادوه وخالفوا أمره .

(٣) البرنية : واحدة البرنى ، وهو ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر .

(٤) كذا في الأصول . وفي المواهب اللدنية ، والقرطبي « لثرها » .

(٥) الوصيف : العبد والخادم .

(٦) في الأصل : « لِيَان » . وفي لسان العرب : جمع اللية ، لين ولون وليان .

قال الثعلبي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، وتحصنوا في حصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أمن الصلاح قطع النخيل ، وعقر الشجر ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فسادا ، واختلف المسلمون في ذلك ، فقال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما أفاء الله علينا . وقال بعضهم : بل نغيظهم بقطعها . فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهي عن قطعه ، وتحليل من قطع من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى .

وفي قطع نخيل بنى النضير يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبؤيرة مستطير

وقوله تعالى : « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » أي وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم .

قوله تعالى : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » « أَفَاءَ اللَّهِ » أي ردَّ على رسوله ورجع إليه ، ومنه فاء الظل [منهم] أي من بنى النضير من الأموال « فَمَا أَوْجَفْتُمْ » أوضعتم^(٣) « عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ » وهي الإبل ، يقول : لم تقطعوا إليها شقة ، ولم تتالوا فيها مشقة ، ولم تكلفوا مؤنة ، ولم تلقوا حربا . وإنما كانت بالمدينة فشوا إليها مشيا ، ولم يركبوا خيلا ولا إبلا إلا النبي

(١) في ١ : « يكن » .

(٢) ساقطة من ١ ، ج .

(٣) أوضعتم : أسرعتم .

(٤) المؤنة : القوت .

صلى الله عليه وسلم ، فإنه ركب جملا فافتتحها صلحا ، وأجلهم عنها وخرن أموالهم فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة ، فأنزل الله عز وجل الآية ، فجعل أموال بني النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث يشاء ، فقسما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دُجانه سَمَّاك بن خُرشة ، وسهل بن حنيف ، والحارث بن الصَّمة . قال : ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان ، أحدهما سفيان ابن عمير بن وهب ، والثاني سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما . روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينفق على أهله منه نفقة سنته ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عُدّة في سبيل الله .

قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : القرى هي قريظة والنضير ، وهما بالمدينة ، وفدك ، وهي من المدينة على ثلاثة أميال ، وخيبر ، وقري عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، يحكم فيها ما أراد ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية . قال : و«القرى» قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب . وقوله : « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » أى بين

(١) كذا في ج ٠ رفا ١ : « ما لم يرجف » .

(٢) الكراع : أى جماعة الخيل .

الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعَهَا لنفسه، وهو المِرباع، ثم يصطفي منها أيضا بعد المِرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم :

لك المِرباعُ منها والصفايا * وحكك والنشيطُ والفضول^(١)

بفعل الله تعالى [هذا]^(٢) لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها .

وقوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » أي ما أعطاكم من الفئء والغنيمة « وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ » من الغلول وغيره « فاتوها » .

قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ) يعني كى لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أي فى إيمانهم . قال قتادة : هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ورسوله ، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة ، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها .

وعن سعيد بن جبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قالوا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة ، يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة .

(١) النشطة : ما يغمه الغزاة فى الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذى قصدوه . الفضول : ما فضل

من الغنائم حين تقسم . وفى أ : « البسيطة » .

(٢) زيادة عن القرطبي يتطلبها المعنى .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قال : قوله «تبوءوا» توطنوا «الدار» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة ، وهم الأنصار ، أسلموا في ديارهم وأبتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحسن الله الثناء عليهم . وقوله : «مَنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم ، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أى حزاة وغیظا وحسدا «مِمَّا أُوتُوا» أى مما أعطى المهاجرين من الفیء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بنی النضیر بین المهاجرین ، ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم ، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أى فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون ، وذلك أنهم قاسمهم ديارهم وأموالهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار : «إن شتمت قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شيء من الغنيمة» فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها . فأنزل الله عز وجل . «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والشح في كلام العرب : البخل ومنع الفضل .

(١) في ١ : « المهاجرين » ، وهو خطأ .

(٢) في ج : « من أموالنا وديارنا » .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ قال ابن أبي ليلي : الناس على ثلاث منازل : الفقراء المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم سيفتنون . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالهم لبني النضير وعودهم عنهم ، كما تقدم آنفا ، وقوله : « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ » يقول : رهبونكم أشد من رهبتهم الله تعالى . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرِ بِاسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ مَحْصَبٌ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال ، ولا يقاتلونهم إلا في قري محصنة ، أو من

(١) في أ ، ج : « غفور » وهو خطأ . (٢) في الأصل : « جدار » . وهي قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن كثير ، وابن محيصن ، وأبو عمرو .

٥٣
١٥

وراء جدار « باسمهم ينتم شديد »^١ يعني بعضهم فقط على بعض ، وبعضهم عدو لبعض ، وعداوتهم بعضهم بعضا شديدة . وقيل : باسمهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد ، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله . « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » قال قتادة : أهل الباطل مختلفة [أهواؤهم ، مختلفة شهاداتهم ، مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق . وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^{١٠} يعني مثل هؤلاء اليهود « كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » وهم مشركو مكة « ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ » يوم بدر . قال مجاهد وقال ابن عباس : يعني بنى قَيْتُقَاعَ ؛ وقيل : مثل قريظة كتل بنى النضير . ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود في تخاذلهم فقال تعالى : ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^{١١} وهى قصة برصيصا العابد مع الشيطان .

ذكر قصة برصيصا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : « كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ » الآية . قال :
 كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا ، قد تعبد فى صومعة له سبعين سنة ، لم يعض الله فيها طرفة عين ، وإن إبليس أعياه فى أمره الخيل ، فلم يستطع له بشيء ، بجمع ذات يوم مرده الشياطين ، فقال : ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض ، وهو صاحب الأنبياء ، وهو الذى تصدى لرسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين التوسين ساقط من أ . (٢) فى أ : « تعبد الله » .

وسلم ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي ، فجاء جبريل حتى دخل بينهما ، فدفعه بيده دفعة هينة ، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند . فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك . فانطلق قترين بزينة الرهبان ، وحلق وسط رأسه ، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصة ، فناداه ، فلم يجبه برصيصة ، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في عشرة أيام^(١) ، ولا يفطر إلا في عشرة أيام ، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته ، فلما أفتل برصيصة اطاع من صومعته ، فرأى الأبيض قائما منتصباً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان ، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم يَ عنه فلم يجبه ، فقال له : إنك ناديتني وكنت مشغولاً عنك ، فحاجتك ؟ قال : حاجتي أني أحببت أن أكون معك فأناذب بك ، وأقتبس من علمك ، ونجتمع على العبادة ، فتدعوني وأدعوك ؛ قال : إني لني شغل عنك ، فإن كنت مؤمناً فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي . ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلي ، فلم يلتفت إليه برصيصة أربعين يوماً بعدها ، فلما انفتل رآه قائماً يصلي ، فلما رأى برصيصة شدة اجتهاده ، وكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلمه ، وقال له : حاجتك ؟ قال : حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك . فأذن له ، فارتفع في صومعته ، فأقام الأبيض معه حولا يتعبد ، لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً [ولا يفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً^(٣)] مرة ، وربما مد إلى الثمانين ؛ فلما رأى برصيصة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه^(٤) ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصة : إني منطلق ، فإن لي صاحبا

٢٠ (١) في ج : « في كل عشرة أيام » . (٢) كذا في الأصل . وفي القرطبي : « ما حاجتك ؟ » .

(٣) ما بين القوسين لم يذكر في أ . (٤) تقاصرت نفسه : تضاءلت .

- غيرك، ظننت أنك أشدَّ اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت . قال :
- فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض : إن عندي دعواتٍ أعلمكمها تدعو بهن، فهن خير لك مما أنت فيه، يشفى الله بها السقيم، ويعافى بها المبتلى والمجنون؛ قال برصيصا : إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلا، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة؛ فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال : قد والله أهلكت الرجل . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لرجل نحفته، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعالجه؟ فقالوا : نعم؛ فقال لهم : إني لا أقوى على جنته، ولكني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى؛ فقالوا له : دلنا . قال : انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعي به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان . وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لحرارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكا فمات فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطبب، فقال لهم : أعالجه؟ قالوا : نعم . فعالجهما فقال : إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تتقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها^(١) صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا : ومن هو؟ قال : برصيصا؛ قالوا : وكيف لنا أن يقبلها منا ويحبينا إلى هذا؟ هو أعظم شأنا من ذلك . قال : انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تسرفوا عليه، ولتكن
- (١) كذا في الأصل، ولعل صواب العبارة : «تردونها صحيحة وقد ذهب عنها شيطانها» بتأخير الواو.

هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته ، فإن قبلها وإلا نضعونها في صومعتها ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك ، فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك ، فأبى عليهم ، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الحارية في صومعتها ، وقالوا له : يا برصيصا ، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله ، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها . ثم انصرفوا ، فلما انفصل برصيصا عن صلته عين تلك الحارية وما بها من الجمال ، فأسقط في يده ، ودخل عليه أمر عظيم ، قال : بجاءها الشيطان نخفتها ، فلما رأى برصيصا ذلك انفتل عن صلته ، فدعا بتلك الدعوات ، فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلته ، ثم جاءها الشيطان نخفتها ، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها] لبرصيصا ، وجاءه الشيطان ، فقال : ويحك ! واقعها فإن تجرد مثلها ، فستتوب بعد ، فتدرب ما تريد من الأمر الذي تريد ؛ فلم يزل به حتى واقعها ، فاقترشها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك ! قد اقتضحت ، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب ؟ فإن سألوك فقل : جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه . قال : ففعل . فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ، فجاءه الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها ، فبقي طرف إزارها خارجا في التراب ، ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلته ، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهم ، وكانوا يميثون في بعض الأيام يسألون عنها ، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : جاء شيطانها فذهب بها ولم أطلقه . قال : فصدقوه وأنصرفوا . فلما أمسوا وهم مكرويون ، جاء الشيطان إلى كبيرهم

(١) كذا في الأصل . ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف . (٢) أسقط في يده : تحيز .

(٣) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ : ٣٨) .

- في المنام ، فقال له : ويحك ! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا . فقال الأخ : هذا حلم وهو من عمل الشيطان ، برصيصا خير من ذلك . قال : فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر ، فأنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك ، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر ، فلم يخبر به أحدا ، فأنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر : وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا ، فأنطلقوا بنا إلى برصيصا ، فاتوه ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها ! فكأنكم اتهمتموني . فقالوا : لا والله لا تهكم . فاستحيوا منه وأنصرفوا عنه ، فجاءهم الشيطان فقال ، ويحكم ! إنها لمدفونة في موضع كذا ، وإن طرف إزارها خارج من التراب . قال : فأنطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم ، قال : فمشوا في مواليمهم ، ومواليهم معهم الفؤس والمساحي^(١) ، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كنفوه وأنطلقوا به إلى الملك ، فأقر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أتاه فقال : تقتلها ثم تكبر ، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة ، اعترف . فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أتاه الأبيض عيانا ، وذلك أن إبليس لعنه الله ، قال للأبيض : وما يغني عنك ما صنعت ؟ إن قتل فهو كفارة لما كان منه . فقال الأبيض : أنا أكفيك . فاتاه فقال : يا برصيصا ، أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ، ويحك ! أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها ، وأنتك أعبد بنى إسرائيل ! أما استحييت ! أما راقبت الله في دينك ! فلم يزل يعيره ويوبخه ، ثم قال له في آخر ذلك : ألم يكفك

(١) المساحي : جمع مسحة ، وهي الحجر من الحديد .

ما صنعت حتى أقورت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس ! فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، وأخذ بأعينهم ، وأخرجك من مكانك . قال : وما هي ؟ قال : تسجد لي . قال : أفعل . فسجد له ، فقال : يا برصيصا ، هذا الذي أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إني برىء منك ، إني أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا ﴾ يعنى الشيطان وذلك الإنسان .
﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يجلي بنى النضير من المدينة ، فدس المنافقون إليهم فقالوا : لا تجيبوا محدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم ، فإن قاتلكم كما معكم ، وإن أخرجتم نخرجنا معكم . قال : فاطاعوهم ، فذبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فناصره الحرب ، يرجون نصر المنافقين ، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قوله : « اتَّقُوا اللَّهَ » أى فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » يعنى يوم القيامة .

قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)
 « نَسُوا اللَّهَ » أى نسوا حق الله وتركوا أوامره « فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » [يعنى حظ
 أنفسهم] أن يقدموا لها خيرا « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
 وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » .

- فقد أتينا — أكرمك الله — على تفسير ما أنزل من القرآن فى شأن بنى النضير
 مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار ، ولم نتعرض إلى ما سوى
 ذلك من التفسير .

ذكر غزوة بدر الموعد

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئلا ذى القعدة ، على رأس خمسة
 وأربعين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم . حكاها محمد بن سعد .
 وقال محمد بن إسحاق : كانت فى شعبان . وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع ،
 فتكون على رأس اثنين وأربعين شهرا من الهجرة ، والأشبه ما قاله ابن سعد ، لأن
 الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد ، وغزوة أحد كانت فى شوال على
 ما اتفقا عليه ، ولم يختلفا فى الشهر وإنما فى أيام ذكرناها هناك .

- قال محمد بن سعد : لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج ، وقدم نعيم بن
 مسعود الأشجعى مكة ، فقال له أبو سفيان : إني قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقى
 ببدر ، وقد جاء ذلك الوقت ، وهذا عام جذب ، وإنما يصلحنا عام خصب غيذاق ،
 وأكره أن يخرج محمدا ولا أخرج فيجترئ علينا ، فنجعل لك عشرين فريضة يضممها
 (٢) (٣) (٤) (٥)

- (١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) فى ج : « إلى » . (٣) غيذاق : مخصب .
 (٤) الفريضة : البعير المأخوذ فى الزكاة ، سمي فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع
 فيه حتى سمي البعير فريضة فى غير الزكاة . (٥) فى أ : « يضمها » .

إليك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتدخل أصحاب مجد . قال : نعم .
فخلوه على بعير ، فأسرع السير حتى قدم المدينة ، فأخبرهم بجمع أبي سفيان ^(١) لهم]
وما معه من العدة والسلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى
بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد .

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة ،
والخيل عشرة أفراس ، وحمل لواءه على بن أبي طالب ، وخرج المسلمون ببضائع
وتجارات لهم ، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه العرب ، وسوقاً تقوم للال
ذى القعدة إلى ثمان تخلو منه ، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم .

فاتتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذى القعدة ؛
وقامت السوق صبيحة الهلال فأقاموا بها ثمانية أيام ، وباعوا ما خرجوا به من
التجارات ، فربحوا للدرهم درهما ، وانصرفوا ، وقد سمع الناس بمسيرهم ، وخرج
أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش ، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى
اتموا إلى بجنة ^(٢) — وهى مرّ الظهران — ومنهم من يقول : بلغوا عسفان ^(٣) . ثم
قال : ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب غداق ، نزعى فيه الشجر ونشرب
اللبن ، وعامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا . فسمى أهل مكة هذا
الجيش جيش السويق ، يقولون : خرجوا يشربون السويق . قال : وقدم معبد
أبن أبي معبد الخزاعى مكة بنجر مسير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ،
فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان : قد نهبتك يومئذ أن تعبد القوم وقد اجترأوا
علينا ورأوا أن قد أخلقناهم .

(١) ساقطة فى ١٠ (٢) كذا فى الأصل . وفى المواهب : « بجنة : ناحية الظهران » . وفى معجم
الهدان : « وقال الأصمى : وكانت بجنة بمر الظهران » . (٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

وقال عبد الله بن رواحة :

وَعَدْنَا أَبَا سَفْيَانَ وَعَدَا فَلَمْ نَجِدْ * لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا ^(١)
 فَأَقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِينَا * لِأَبْتِ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا ^(٢)
 تَرَكَاهُ بِأَوْصَالِ عُتْبَةَ وَابْنَهُ * وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَاهُ نَاوِيَا ^(٣)
 عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَّ لِدِينِكُمْ * وَأَمْرَكُمْ السُّيِّئَ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا ^(٤)
 فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلٌ * فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
 أَطْعَمَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بَغْيِيرَهُ * شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة .

وأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا فِي شَأْنِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
 فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
 عَظِيمٍ) .

قال السُّدِّيُّ : لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للسير إلى بدر

لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا : نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج

إليهم فعصيتمونا، وقد أتوكم في دياركم [فقاتلوكم] وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم

لا يرجع منكم أحد . فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فالناس في هذه الآية أولئك

المنافقون . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان، فقالوا : قد جمعوا لكم جموعا

(١) في سيرة ابن هشام : « بدر » . (٢) الموال : جمع مول، وهو القريب

والجار والحليف . (٣) ناوريا : مقيما . (٤) السي : المنكر . (٥) ساقطة في أ .

كثيرة فآخشوهم ؛ فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فأنزل الله عز وجل « الَّذِينَ
 قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ « يعني أبا سفيان وأصحابه » قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ »
 تخافوهم واحذروهم فإنه لاطاقة لكم بهم « فزادهم إيماناً »^(١) يعني تصديقاً و يقيناً وجرأة
 وقوة . وقوله : « فَاتَّقَبُوا » فانصرفوا ورجعوا « بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ » أى بعافية لم يلقوا
 بها عدواً ، وبرأت جراحهم « وَفَضِيلٌ » أى ربح وتجارة ، وهو ما أصابوا من السوق
 فربحوا « لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ » لم يصيبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه « وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ » فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا : هل
 يكون هذا غزواً ؟ فأعظامهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم . « وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » .
 [ثم] قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنَّا إِن كُنتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴾)^(٥) يعنى ذلك الذى قال لكم : إن الناس قد جمعوا لكم فآخشوهم ؛ من فعل
 الشيطان السقى فى أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم « يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ » أى يخوفكم^(٦)
 بأوليائه ، يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين ، قال السدى : يعظم أوليائه فى صدوركم
 لتخافوهم . وقرأ عبد الله بن مسعود « يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ » قال : وكان أبى بن كعب
 [يقرأ] « يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ » « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنَّا » فى ترك أمرى « إِن كُنتُمْ
 مُؤْمِنِينَ » مصدقين بوعدى فإنى متكفل لكم بالنصر والظفر .

(١) فى ج : « فزادهم ذلك إيماناً » . (٢) فى أ : « وهم » .

(٣) فى أ : « لا ينلهم » . (٤) فى أ : « رسول الله » .

(٥) ساقطة من أ . (٦) فى أ : « يخوفوكم » .

(٧) ساقطة من أ .

ذكر غزوة ذات الرقاع^(١) ، وخبر صلاة الخوف

وقصة غورث بن الحارث المخاربي، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع ، قليل : جبل فيه بقع حمر وبيض وسود .

وقيل : لأنهم رقعوا راياتهم . وقيل : ذات الرقاع ، شجرة بذلك الموضع . وفي صحيح

البخارى أنهم نَقِبَت أقدامهم ، فلقوا عليها الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع .^(٢)
والله أعلم .

قال محمد بن سعد : كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة

صلى الله عليه وسلم . وقال ابن إسحاق : كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة

بني النضير في جمادى الأولى ، فتكرن على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة ،

واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال : عثمان بن عفان . ولم يقل ابن سعد
غير عثمان رضى الله عنه .^(٣)

وذلك أن قادمًا قدم المدينة يجلب ، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،^(٤)

أن أنمارا وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة ، ويقال : سبعمائة من أصحابه ،

فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع — وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد

وبياض — فلم يجد في محالهم أحدا إلا نسوة ، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ،

وهربت الأعراب إلى رعوس الجبال ، وحضرت الصلاة ، تخاف المسلمون أن

يغفروا عليهم ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

(١) غزوة ذات الرقاع : هي غزوة محارب ، وغزوة بني ثعلبة ، وغزوة بني أنمار ، وغزوة صلاة

الخوف ، لوقوعها فيها ، وغزوة الأعاجيب ، لما وقع فيها من الأمور العجيبة .

(٢) نَقِبَت أقدامهم : رقت جلودها من المشى .

(٣) في أ : « عن » . (٤) الجلب : ما جلب من خيل وإبل ومتاع .

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ، ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو ، فجاءوا فصلى بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم . وروى عنه أيضا من طريق آخر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين ، وركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين . هكذا روى عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع .

وروى ابن هشام أيضا بسنده إلى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، في صلاة الخوف ، ولم يذكر ذات الرقاع ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربي^(١)

لما أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فخماه الله منه وأمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من عدوه وعفوه عنه

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب :

الأقتل لكم مجدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أنتك به . وكان رسول

(١) كذا ضبط في ج ، وراقفه على ذلك صاحب شرح المواهب اللدنية . وقع عند الخطيب

بالكاف بدل اللام . وحكى الخطابي : غويرث بالتصغير .

(١) الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها، فأتاه فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فأرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ومن رواية الخطابي: أن غورث ابن الحارث المحاربي أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، متضياً سيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اكفنيه بما شئت». فانكب غورث من وجهه من زلزلة زلخها بين كتفيه، وندر سيفه من يده، وقيل: فيه نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية. وقيل: نزلت في غير هذه القصة.

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة، واستغفار النبي

صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف، فلما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلت الرقاع تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مالك يا جابر؟» قلت: يا رسول الله، أبطأ عليّ جملي هذا؛ قال: «أنخه»؛ فأنخته، وأناخ رسول الله صلى الله

(١) اخترط السيف: استله من غمده. (٢) متضياً: مستلاً. (٣) في هامش ج: الزلزلة: ووجع الظهر. وفي لسان العرب: يقال: رمى الله فلاناً بالزلزلة، بضم الزاي وتشديد اللام ونحوها، وهو وجع يأخذ في الظهر لا يحرك الإنسان من شدته، ويروى بخفيف اللام. وفي الأصل: «زلزلة» وهي رواية خطأها صاحب اللسان. (٤) ندر: سقط. (٥) نخل: موضع نجد من أرض غطفان وهو في طريق الشام من ناحية مصر. (٦) في ابن هشام: «أبطأ بي جملي».

عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة ؛ قال : ففعلت . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج — والذي بعثه بالحق — يواثق ناقته مواهقة .^(١)

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتبعني جملك هذا يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : « لا ، ولكن بعنيه » ؛ قال : قلت : فسمنيه ؛ قال : « قد أخذته بدرهم » ؛ قلت : لا ، إذا تعبني^(٢) يا رسول الله ! قال : « فبدرهمين » ؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ؛ قلت : فقد رضيت ؟ قال : « نعم » ؛ قلت : هو لك ؛ قال : « أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد » ؟ قلت : نعم يا رسول الله ؛ قال : « أتيسا أم بكرا » ؟ قلت : بل ثيبا ؛ قال : « أفلا جارية تلاعها وتلاعبك » ؟ قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن وتقوم عليهن ؛ قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعت بنا ، فنقضت نمارقها » . قلت : يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كئيبا » . فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت :

(١) يواثق ناقته : أى ياريتها فى السير ويماشيها . (٢) فى ١ : « تعنى » وهو تحريف . وفى الروض الأنتف : « تعبني » . (٣) فى ١ : « يدفع » . (٤) كذا فى ١ ، ج . وفى ابن هشام : « أفقد رضيت يا رسول الله » ؟ . (٥) فى ١ : « قد » . (٦) صرار : بئر على ثلاثة أميال من المدينة كما ساقى للزلف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

فدونك، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنحتَه على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ثم جلستُ في المسجد قريبا منه، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فرأى الجمل، فقال : « ما هذا ؟ قالوا : هذا جمل جاء به جابر، قال : « فأين جابر ؟ فدُعيتُ له، فقال : « يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك » ودعا بلالا فقال له : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » . قال :

فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال ينمي عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ؛ يعني يوم الحزرة .

وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جابرا عن دين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة نحسا وعشرين مرة . قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعال بن سُراقَة بشيرا إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين ، وقدم صرارا يوم الأحد لخمس بقين من المحرم — وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على طريق العراق — وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال ؛ سميت بدومى بن إسماعيل لأنه كان نزلها ، وهي غير دومة التي بفتح الدال .

- (١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) يشير إلى وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد ابن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى . راجع الروض الأنف ج ٣ ص ١٨٤ (٣) كذا في ابن سعد والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة . وفي القاموس وابن هشام والطبرى « جميل » . راجع الاختلاف في هذا الاسم في الإصابة وأسد الغابة . وفي الأصول : « جوال » . وهو تحريف .
- (٤) كذا في الأصول ، والمواهب اللدنية . وفي معجم البلدان : « سميت بدومى بن إسماعيل ، وقال الزجاجي : دومان بن إسماعيل . وقيل : كان لإسماعيل ولد اسمه دما ، ولعله مغير منه . وقال ابن الكلبي : دوما بن إسماعيل » .

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجره، وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرتبهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة — وهي طَرْف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة — فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الغفاري، وخرج نحو خمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكُنُّ النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له : مذكور ؛ فلما دنا منهم إذاهم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورِعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب . وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل ، ففترقوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم ، فلم يجد بها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث سرايا وفرقها ، فرجعت ولم تصب منهم أحدا وأخذ منهم رجل واحد ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهُمْ ؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يلق كيدا .

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عِيْنَةَ بنِ حِصْنِ أن يعرى بتغلبين وما والاها إلى المراض ، والمراض على مسنة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق الزبدة .

(١) في : أ «أنه» . (٢) المراد بالنعم هنا الإبل . (٣) كذا في الأصول . وفي رواية للواهب الدينية : « ولم يصب منهم أحد » . (٤) كذا في الطبري ، وطبقات ابن سعد ، ومعجم البلدان ، والقاموس . وفي الأصل : « بتغلبين » وهو تحريف « وتغلبين من المراض على ميلين » . (٥) زيد في ابن سعد في هذا الموضع ما يأتي : « وكان ما هناك قد أخضب ، وبلاد عينة قد أجذبت » .

ذكر غزوة بني المصطلق^(١)، وهي غزوة المرئسيع

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة خمس من الهجرة . حكاه محمد بن سعد .

وقال ابن إسحاق : كانت في شعبان سنة ست ؛ وجعلها بعد غزوة ذي قرد .

- وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتجهزوا للسير ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر ، فاتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، فنذب صلى الله عليه وسلم الناس ، فأسرعوا في الخروج ، وقادوا الخيول ، وهي ثلاثون فرسا ، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأنصار ، وخرج معه خلق كثير من المنافقين ، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها ، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة . وقال ابن هشام : استعمل عليها أباذر الغفاري . قال : ويقال : ثميلة بن عبد الله الليثي . قال ابن سعد : وكان معه صلى الله عليه وسلم فرسان : لزاز ، والظرب ، وخرج يوم الاثنين لليتين خلنا من شعبان ، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففترق عنه من كان معه من العرب وخافوا خوفا شديدا ، و انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرئسيع — وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين القرع نحو من يوم ، وبين القرع والمدينة ثمانية برد — قتل به وضرب قتيته ، ومعه صلى الله عليه وسلم من نسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عائشة ، وأم سامة ، وتجهزوا للقتال ، وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر
- (١) المصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو ، لقب بذلك لحسن صوته ، وكان أول من غنى من خزاعة .

الصدّيق رضى الله عنه ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد ، فأفلت من القوم إنسان ، قتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، وسبيت النساء والذّراري ، وغنمت النعم والشاء ، ولم يستشهد من المسلمين إلّا رجل واحد ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى فكُتفوا ، واستعمل عليهم بريدة بن الحُصيب ، وأمر بجمع الغنائم فجمعت ، واستعمل عليها سُقران مولاة ، وقسم السبي والنعم والشاء ، فعدلت الجزور بعشر من الغنم ، وبيعت الرثة^(١) فيمن يريد ، قال : وكانت الإبل ألقى بغير والشاء خمسة آلاف شاة ، والسبي مائتي أهل بيت ، وصارت جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له^(٢) : فكتابها على تسع أواق من ذهب ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها ، فأدى عنها ، وتزوجها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكان من السبي من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، ومنهم من أفدى ، فاقتديت المرأة والذرية بست فرائض ، وقدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلهم فاقتدوهم ، فلم تبقى امرأة من بنى المصطلق إلّا رجعت إلى قومها . وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور أمت^(٣) ؛ وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً ، وقدم المدينة للال رمضان .

(١) الرثة : ردى ، المتاع ، وأسقاط البيت من الخلقان . (٢) في الطبقات : « يزيد » .
 (٣) في أ : « التي تنير » وهو تحريف . (٤) في أ : « لها » .
 (٥) في ج : « فأداها » . (٦) كذا في ابن سعد . وفي الأصول : « فاقتدت » .

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبي بن سلول^(١) بالمنافق بما تكلم به من قوله :
 ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ﴾ . ووقع حديث الإفك ، وقد
 قدما ذكر ذلك كله في حوادث السنين بعد الهجرة ، في حوادث السنة الخامسة .

ذكر غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذى القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 حكاها ابن سعد . وقال ابن إسحاق : كانت في شوال .

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام ، رحمهم الله تعالى ،
 دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما أجلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنى النضير وساروا إلى خيبر ، خرج نفر من أشرفهم ووجوههم ، منهم
 سلام بن أبي الحقيق ، وحُيَيُّ بن أخطب ، وِكْنَانَةُ بن الربيع بن أبي الحقيق ،
 وهودبة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى
 وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا
 مكة على قريش ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا
 سنكون معكم عليه حتى نستأصله ؛ فقالت قريش لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل

الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومجد ، أفديننا خير أم دينه ؟
 فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله تعالى
 فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
 وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

(١) في ١ : « ابن أبي سلول » . (٢) في ١ : « لنا » . (٣) في ١ : « فديننا » .

الله ومن يلين الله فلن نجد له نصيراً . أم لم نصيب من الملك فإذا لا يؤتوت
 الناس نصيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم
 الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه
 وكفى بجهنم سعيراً ﴿ قالوا : فلما قالت اليهود [ذلك] لقريش سرهم ونشطوا لما
 دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجتمعوا لذلك ، ثم خرج
 أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسلياً ، ودعوهم إلى حرب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وأعلموهم أن قريشاً قد بايعوهم على ذلك ، فأجابوهم ^(٣) واجتمعوا
 معهم ، فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، وكانوا أربعة
 آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ،
 وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير ، وخرجوا يقودهم
 أبو سفيان بن حرب ، وواقفهم بنو سليم بمر الظهران ، وهم سبعمائة ، يقودهم
 سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي
 كان مع معاوية بصقين ، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي ،
 وخرجت غطفان وفزارة ، معهما ألف بعير ، يقودهم عيينة بن حصن بن حذيفة ^(٤)
 ابن بدر ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة
 المزني ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعر بن ربيعة بن نؤيرة بن طريف ،
 وخرج معهم غيرهم .

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فأعلموهم » . (٣) في أ : « فأجابوا » .

(٤) عيينة هذا هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « الأحق المطاع » . لأنه كان يتبعه عشرة آلاف

فأنة ، وقال فيه أيضا : « إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره » . وفي رواية : « إن أداريه لأنى

أخشى أن يفسد على خلقا كثيرا » . وسمى عيينة لشره كان يعينيه ، واسمه حذيفة . راجع المواهب

ج ٢ ص ١٢٥ . (٥) في الطبقات ، وشرح المواهب : « مسعود » وقد ذكر الطبري الوجهنين .

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة
 عساكر ، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فصولهم من مكة نذب الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ،
 فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى سفح سلع ، وجعل سلعا خلف ظهره ، وكان المسلمون يومئذ
 ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ضرب الخندق
 على المدينة ، وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر ، فعملوا
 وجدوا في العمل ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين
 في ذلك العمل رجال من المنافقين ، وجعلوا يوزون بالضعف من العمل ، ويتسألون
 إلى أهليهم بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الرجل من المسلمين إذا
 نأبته النائبة من الحاجة ، ذكرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه ، فيأذن
 له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق ، فأنزل الله تعالى في أولئك من
 المؤمنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
 عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى في المنافقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) فصولهم : خروجهم . (٢) في الأصول : « نذر » وهو تحريف .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . (٤) كذا في ج . وفي أ : « ودأبوا في العمل » .

(٥) يوزون بالضعف من العمل : أى يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف .
 وفي المواهب : « بالضعف عن العمل » .

(٦) في هامش ج : « الواذ : الاستنار بالشيء عند الحرب » .

يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ثم قال تعالى: ﴿الْأَلْبَانُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ .

قال : وعمل المسلمون فيه حتى أحكوه . روى محمد بن سعد [بسند] ^(١) يرفعه إلى سهل بن سعد قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » . وعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب يتقل معنا التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُولَى لَقَدْ بَغَوْنَا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْبْنَا ^(٤)

[أَيْبْنَا] ^(٦) يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته ، ومنها ما يتعين ذكره ها هنا ، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فقال رسول الله » .

(٣) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « والمهاجرين » . وهذا القول من كلام عبد الله ابن رواحة ، تمثل به عليه الصلاة والسلام . راجع الروايات المختلفة في صيغته ، وفي كونه شعرا أو غير شعر في ج ٢ ص ١٢٧ من المواهب . (٤) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف .

وفي الأصول : « اللهم » . والشعر لعبد الله بن رواحة ، ارتجز به النبي صلى الله عليه وسلم . (٥) في الأصول : « قد » . وما أثبتناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي هذه الآيات روايات كثيرة تجدها في ج ٢ ص ١٢٨ من المواهب اللدنية .

(٦) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي المواهب : أنه كان يمد صوته باللفظة الأخيرة لا بالجمع .

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُدِيَّة^(١) ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فتنفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لآهتالت حتى عادت كالكتيب^(٢) ، لا ترد فأسا ولا مسحاة .

٦٢
١٥

قالوا : وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام ، وكانوا يعملون فيه نهارا وينصرفون ليلا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان في الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان مضين من ذي القعدة ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة . وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها ، واجتمع إليها بعد فراغ الخندق ، فصار الخندق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وظهور المسلمين إلى مسلح ، وخرج حُيَّي^(٣) ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ، فألقى كعب دون حُيَّي باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَّي : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك ! إنك أمرؤ مشثوم ، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . فعاوده مرارا ، وهو يأبى عليه حتى [قال له حُيَّي^(٤)] : والله إن^(٥) أغلقت دوني إلا عن جيشيتك أن آكل معك^(٦) .

(١) الكدية : الحجر الصند الضخم ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين ، والأرض التليظة .

(٢) في ١ : « عاد » . (٣) في ١ : « صاحب » . (٤) مابين القوسين ساقط من أ .

(٥) في ١ : « إني » . (٦) الجيشية : واحدة الجيش ، وهو أن تلحن الحنطة طحنا

جليلا ، ثم تصب به القدر ويلقى عليها لحم أر تمر فيطبخ ، ويقال لها : دثيشة .

(٧) كذا وردت هذه العبارة في أ ، ج . وفي المواهب : « والله إن أغلقت دوني إلا تخوفا على

جيشيتك أن آكل معك منها » .

(١) فأحفظه ذلك، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر ويجري طام^(٢)،
 جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم يجتمع الأستيال^(٣)، [ومن دونه]
 غطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب^(٤) تقمى على جانب أحد، وقد
 عاهدوني وعاهدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل مجدا ومن معه. فقال له كعب:
 جئتني والله بذل الدهر، ويجها^(٥)م قد هراق ماءه، يرد ويبرق، ليس فيه شيء،
 ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من مجد إلا صدقا ووفاء. فلم
 يزل به حيي حتى سمح له^(٦)، أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش
 وغطفان ولم يصيبوا مجدا أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض
 كعب بن أسد عهده^(٧)، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وصح ذلك عنده
 كبر، وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قال: وتَجَمَّ النِّفَاقُ وَفِشَلِ النَّاسِ،
 وعظم البلاء، وأشدت الخوف، وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله
 تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حازمة في ثلاثمائة يحرسون المدينة
 ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة، وكان

(١) أحفظه: أغضبه. (٢) طام: مرتفع؛ يريد كثرة الرجال.

(٣) التصويب من المواهب، وفي الأصول: «من رومة» وهو تحريف. (٤) في أ:

«في قمي» وهو تحريف. (٥) الجها: السحاب لا ماء فيه. (٦) كذا وردت

هذه العبارة في الأصل. وفي المواهب: «وأعطاه عهدا على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا

مجدا أن أدخل معك في حصنك، يصيبني ما أصابك». (٧) كذا في الطبري، وابن هشام.

وفي الأصل: «راشا».

عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجه العدو لا يزولون يعتقدون خندقهم ويحرسونه ، والمشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما ، ويغدو خالد بن الوليد يوما ، [ويغدو عمرو بن العاص يوما] ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوما ، فلا يزالون يجيئون خيلهم ، ويجتمعون مرة ويتفرقون أخرى ، ويتناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمون رماهم فيرمون ، فرمى جبان بن العريفة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكتفه ^(٢) ، فقال : خذها وأنا ابن العريفة . ويقال : رماه أبو أسامة الجشمي .

- ١٠ قال ابن هشام : ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، بخري [بينه و] بينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمر تجبه فصنعه ، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم ^(٤) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد

٢٠ (١) ما بين القوسين ساقط من ١ . (٢) الأكل : عرق في وسط الذراع يكثر فصدده .
(٣) ساقطة من ١ . (٤) كالبوكم أي اشتدوا عليكم .

كأنحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرأوا^(١) أو بيعا، أخين^(٢) أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذلك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فحما ما فيها من الكتاب، ثم قال: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما، فغدوا جميعا ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مضييقا من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقبل لهم: إن معه رجلا فارسيا، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمن هناك إذا، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون، فعبّر منه عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود^(٤) [بفعل عمرو بن عبد ود] يدعو إلى البراز، ويقول:

ولقد بيحنت من النداء * لجمعهم هل من مبارز

وكان ابن سبعين سنة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه؛ قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك؛ قال: فإني أدعوك إلى التزال؛ قال: يابن

(١) القراء: ما يقدم للضيف من الطعام. (٢) في ١، «أخين».

(٣) كذا في ١، ج. وفي ابن سعد: «يقتحمون منه خيلهم».

(٤) ما بين القوسين ساقط من ١. (٥) ساقطة من ج.

أخى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ؛ فقال له عليّ : ولكنني والله أحب أن أقتلك ؛ فحَمَى عمرو عند ذلك ، فافتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلاً وتجاوِلاً ، فقتله عليّ رضى الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة حتى افتحمت من الخندق . وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو . فقال حسان بن ثابت :

فر وألقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليل^(١) * يم ما إن تجور عن المعدل^(٢)
ولم تلق ظهرك مستانسا * كأن قفاك قفا فرعل^(٣)

قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضر به فشقه بأثنين ، ثم أعدوا أن يغدوا من الغد ، فباتوا يعثون أصحابهم ، وفرقوا كتابهم ، ونحوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومهم ذلك إلى هوى من الليل ، ما يقدر أن يزولوا من موضعهم ، ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم الله تعالى ، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين ، وكر خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غرّة من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشي ، فزرق الطفيل بن النعمان يمزراقه فقتله وانكشفوا ، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته فأمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم بعد

(١) الظليم : ذكر النعام . (٢) كذا في ابن هشام . وفي ج : « وما إن تجور » .

(٣) في هامش ج : « الفرعل : صغير الضباع » . (٤) في أ : « إلى أن يندوا » .

(٥) كذا في ج . وفي أ : « فيأتون » . (٦) هوى من الليل : ساعة به ، أو نحو ذلك أو ربه .

ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال :
«شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملائكة الله أجوافهم وقبورهم نارا» .
ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل
طمعا في الفِزَّة ، قال : وحُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة
ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عاصم بن أنيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة بن الأشجع^(١)
ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني
قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فُزِنِي بما شئت ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : «إنما أنت فينا رجل واحد ، نَغْدِلُ عَنَا ^(٢) إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ الْحَرْبُ
خُدْعَةٌ» . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال :
يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقت ،
لست عندنا بمتهم ؛ فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأتمم ، البلد بلدكم ، به أموالكم
وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقدرن على أن تجلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان
قد جاءوا لحرب مجد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأمواهم ونسأؤهم
بغيره ، فليسوا كأتمم ، فإن رأوا هزرة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم^(٣)
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم
حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم ، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم^(٤)
مجا حتى تنجزوه ؛ قالوا : لقد أشرت علينا بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا ،

(١) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة ، والإصابة . وفي ابن هشام : «حلاوة» . وجاءت الروايتان
في الطبري . (٢) نغدل عنا أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا . (٣) الهزرة :
انتهاز الشيء وهو اختلاسه . (٤) في أ : «ببلادكم» . (٥) في ج : «رهنا» .

فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت منه على حقا أن أبلغكوه نصيحا لكم ، فاكنتموا عني ؛ قالوا : نفعل ؛ فما هو ؟ قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن تأخذ [لك] من القبيلتين : قريش وخطفان ، رجالا من أشرافهم ، ونعطيكمم فترضب أعناقهم ، ثم تكون معك على من بق منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى خطفان ، فقال : يا معشر خطفان ، إنكم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تتهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ؛ قال : فاكنتموا عني ؛ قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثلها قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورعوس خطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل ، فى نفر من قريش وخطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخلف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ فيما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئا ، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش

(١) ساقطة من أ . (٢) حذف نون الرفع هنا وهو جائز على قلة .

(٣) ضرستكم أى نالت منكم كما يصيب ذو الأضرار بأضراره .

(٤) تشمروا : أى تقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

وَعَطْفَان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة :
 إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فخرجوا
 فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم
 ابن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا ، فإن رأوا فرصة آتتهزوها ، وإن
 كان غير ذلك أشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل . فأرسلوا إلى قريش
 وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا . فأبوا عليهم ، وقال أبو سفيان :
 ألا أراني أستعين بإخوة القردة والخنازير ! فوقع الاختلاف والخذلان بينهم ،
 وبعث الله عز وجل عليهم ريحا في ليلة شاتية شديدة البرد ، فكفأت القدور
 وطرحت الأبنية .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل
 حذيفة بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال حذيفة : دعاني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون
 ولا تحدثن شيئا . فذهبت فدخلت فيهم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ،
 لا تقتر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ، لينظر
 أمرؤ من جلسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت :
 من أنت ؟ فقال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله
 ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع^(١) والخف ، وأخلفنا بنو قريظة ، وبلغنا
 عنهم الذي نكره ، ولقيت من شدة الريح ماترون ، فأرتحلوا فإني مرتحل . ثم قام
 إلى جملة وهو معقول يجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق
 عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث شيئا

(١) الكراع : الخيل .

حتى آتية ، ثم لو شئت ، لقتله بسهم . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر . وسمعت غطفان ما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح . وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حم لا ينصرون) .

ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه : لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزوهم . فكان كذلك .^(٢)

قال ابن سعد : وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس . وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل ، قتله خالد بن الوليد ، وعبد الله بن سهل الأشهلي ، وثعلبة بن عمنة بن عدى ، قتله هيرة بن أبي وهب ، وكعب بن زيد

(١) « لو » ساقطة من ج و ابن هشام ؛ وما أثبتناه عن أ .

(٢) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل ، وهو جائر على قلة . وقال الدماميني : إنه شاذ . وقال في الجمع : لا يقاس عليه في الاختيار .

(٣) كذا في أسد الغابة ، والاشتيا ب ؛ والطبقات وفي كلا الأصلين : « سهل » .

(١) من بنى دينار ، قتله ضرار بن الخطاب . وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد بنى قريظة ، والطَّفِيل بن النعمان بن جُشم .

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم : عثمان بن أمية بن مُنبه بن عبيد بن السَّباق من بنى عبد الدار بن قصي ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وعمرو بن عبد وُد ، ويقال : وابنه حسُل بن عمرو ، قتلها على بن أبي طالب رضى الله عنه .

ذِكْرُ مَا أُتْرِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ وَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ

أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَمْرِ الْخَنْدَقِ وَالْأَحْزَابِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قال أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله : قوله : « إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » يعنى الأحزاب : قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير . « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا » قال : وهى الصَّبا . قال عكرمة : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى بنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل ؛ وكانت الريح التى أرسلت

(١) روى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم فقطع أكله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانفخت يده وزفه الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى فى بنى قريظة . فاستمسك عرقه ، فاقطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه ، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسيب نساؤهم وذريتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . فلما فرغ من قتلهم اتفقت عرقه فات رحمه الله .

(٢) الصبا : هى الريح الشرقية ، ويقال لها : القبول ، لأنها تقابل الشمال ، والشمال : الريح العقيم التى لا خير فيها . (٣) كذا فى الأصلين . وفى المواهب ج ٢ ص ١٤٦ : « إن الحرائر لا تهب بالليل » . وفى القرطبي ج ١٤ ص ١٤٤ : « إن محوة لا تسرى بليل » ومحوة من أسماء الشمال ؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به .

عليهم الصبا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتُ عَادَ
بِالدَّبُورِ » . قوله : « وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » هي الملائكة ، ولم تقا تل يومئذ ، قال
المفسرون : بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحا باردة ، وبعث الملائكة فقلعت
الأوتاد ، وقطعت أطناب الفساطيط ، وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وجات
الخليل بعصمها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب
عسكرهم حتى كان سيد كل حمى يقول : يا بنى فلان ، هلم [إلى] ، فإذا اجتمعوا
عنده قال : التباء التباء ، أيتم . لما بعث الله عليهم من الرعب ، فانهزموا من
غير قتال ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ قال : قوله : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ »
يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق ، عليهم مالك بن عوف النصرى ، وعينه
آبن حصن الفزارى فى ألف من غطفان ، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدى
فى بنى أسد ، وحجى بن أخطب فى يهود بنى قريظة . « وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » يعنى من
بطن الوادى من قبل المغرب ، وهو أبو سفيان بن حرب فى قريش ومن تبعه ،
وأبو الأعور السلى من قبل الخندق . وقال ابن إسحاق : الذين جاءوا من فوقهم
بنو قريظة ، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان . « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ »
أى مالت وشخصت « وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ » زالت عن أماكنها حتى بلغت
الخلوق من الفزع . « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا » قال : أما المنافقون فظنوا أن محمدا
صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيغلبون ويستأصلون ، وأما المؤمنون فأيقنوا أن
ما وعدهم الله حق ، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ قال: أى آخْتَبَرُوا وَمَحْصُوا ، لِيُعْرِفَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ « وَزُلْزِلُوا » : حُرِّكُوا وَخُوفُوا « زِلْزَالًا » تحريكًا « شَدِيدًا » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ قال : يعنى معتب بن قشير وأصحابه « وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى شَكٌّ وَضَعْفُ اعْتِقَادٍ . وقد قدمنا فى أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن قشير فى هذه الغزوة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . « قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ » أى من المنافقين ، وهم أوس بن قيطى

وأصحابه ، قال مقاتل : هم بنو سالم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين : ما الذى يجعلكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه ! فارجعوا إلى المدينة . « وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ » فى الرجوع إلى منازلهم بالمدينة ، وهم بنو حارثة بن الحارث « يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ » أى خالية ضائعة ، وهى مما يلى العدو، وإنا لنخشى عليها العدو والسراق ،

قال : وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي « عَوْرَةٌ » بكسر الواو، يعنى قصيرة الحدران فيها خلل وفُرْجَةٌ . وأخبر تعالى أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفْطَارِهِمْ سَمِيلَةٌ أُنْفِتْتَهُمْ لَتَوَهَّأُوا وَتَابَسُّوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ قال : يقول : لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة « مِنْ آفْطَارِهِمْ » جوانبها ونواحيها « ثُمَّ سَمِيلُوا الْفِتْنَةَ » الشرك « لَتَوَهَّأُوا » أى لجاءوها وفعالوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا « وَمَا تَابَسُّوا » وما آحتبسوا

(١) « لَأَتَوْهَا » من غير مد قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (أى لجأوها) .

عن الفتنة «إِلَّا يَسِيرًا» ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال : هذا قول أكثر المفسرين .

وقال الحسن والفراء : وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هلكوا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ

- **اللَّهِ مَسْئُولًا** ﴿ قال : « عَاهَدُوا اللَّهَ » أى من قبل غزوة الخندق « لَا يُولُونَ » عدوهم « الدُّبَارَ » قال يزيد بن رومان : هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها ، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم .

وقال قتادة : هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى

- أهل بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : ائن أشهدنا الله قتالا لثقتان . فساق الله تعالى ذلك إليهم فى ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي : هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة العقبة وقالوا له : اشتراط لربك ولنفسك ما شئت ؛ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى

- مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم» . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فإنا يا رسول الله؟ قال : «لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة» . قالوا : قد فعلنا . فذلك عهدهم ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ أى عنه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) قال : أى الذى كتب عليكم ^(٢) « وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا »

- إلى آجالكم، والدنيا كلها قليل .

(١) فى ١ : « قل » . (٢) كذا فى كلا الأصلين . وفى الكشف والبيان ما يأتى :

« قل لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ » الذى كتب عليكم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أى نصره ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : « الْمُعَوِّقِينَ » المشبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا » ودعوا مجدا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك « وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ » الحرب « إِلَّا قَلِيلًا » دفعا وتمعذيرا .

قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما مجد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحما لآلتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقال مقاتل : نزلت في المنافقين ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا : ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه ! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ، وإنا لنشفيق عليكم ، أتم إخواننا وجيراننا ، هَلُمَّ إِلَيْنَا . فأقبل عبد الله بن أبى وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه ، وقالوا : ما ترجون من مجد؟ فوالله ما يرفدنا بخير ، وما عنده خير ، ما هو إلا [أن] يقتلنا هاهنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا . يعنى اليهود ، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا وأحسابا .

وقال ابن زيد : لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه ، بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال : أنت هاهنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ! فقال : هلم إلى هذا ، والذى يحلف به لا يستقبلها مجد أبدا ، فقال : كذبت والذى

(١) أكلة رأس : أى هم قليل يشبههم رأس واحد . شرح القاموس (مادة أكل) .

(٢) يرفدنا : يعيننا . (٣) تكلمة من الكشف والبيان . (٤) فى : « يزد » .

يُخاف به — وكان أخاه من أبيه وأمه — أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ قال : « أَشِحَّةً »

- بجلاء « عَلَيْكُمْ » بالخبر والتفقه في سبيل الله ، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل .
- « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ » في رءوسهم من الخوف والجبن ، أى كدوران [أعين] الذى يُغْتَشَى عليه من الموت « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ » أى عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذرية ، وأصل السلق : الضرب .
- قال قتادة : يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة ، يقولون : أعطونا أعطونا ، فإننا قد شهدنا معكم القتال ، ولستم بأحق بالغنيمة منا ؛ وأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق . « أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ » يعنى الغنيمة « أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا » .

- قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَعْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ يعنى هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم ، وقد انصرفوا جُبنا منهم وفرقا (وَإِنْ يَأْتِ الْأَعْرَابُ) أى يرجعوا إليهم كرامة ثانية (يُوَدُّوا) من الخوف والجبن (لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ) أى خارجون إلى البادية (فِي الْأَعْرَابِ) أى معهم (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) أى يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم ، وما آل إليه أمركم (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) يعنى رياء من غير حسيبة ، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ قال : قوله : « أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » أى سنةٌ صالحة ، [أن ^(١)] تنصروه وتوازره ، ولا تخلفوا عنه ، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو ، إذ كُسرَت رِباعيته وجُرح ، وقُتِلَ عمه حمزة ، وأُوذِيَ بضروب الأذى ، فواساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أتم أيضاً كذلك ، واستنوا بسنته ^(٢) « لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » أى فى الرخاء والبلاء ، ثم ذكر المؤمنين بوعد الله تعالى ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » الآية ، قال : ووعد الله إياهم قوله : « أَمَّ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا » ^(٣) والبُغَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ قال : قوله : « صَدَقُوا » أى وفوا به . « فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ » يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد . والنجب : النذر ، والنجب أيضاً : الموت ، قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَجْبَهُ فِي مَلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبِرِ ^(٣)

(١) زيادة عن الكشف والبيان .

(٢) فى ١ : « استنوا » ، وهو تحريف .

(٣) ساقطة من ١ . قال ابن هشام : « هوبر من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد

ابن هوبر » .

أى مات ، قال مقاتل : قضى نحبه ، أى أجله ، فقتل على الوفاء ، بمعنى حمزة وأصحابه الذين استشهدوا بأحد ، رضوان الله عليهم . وقيل : قضى نحبه ، أى بذل جهده فى الوفاء بمهده ، من قول العرب : نَحَب فلان فى سيره يومه وليلته ؛ إذا مَدَّ فلم ينزل ، قال جرير :

بِطِخْفَةٍ جَالَدْنَا الْمَلُوكَ وَخَيْلَنَا عِشِيَّةً بِسَطَايِمِ جَرِينٍ عَلَى نَحْبِ^(١)

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » قال ابن إسحاق : ينتظر ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على [ما] مضى عليه أصحابه . « وما بدلوا تبديلا » أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ يعنى قرىشا وغطفان ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أى بالملائكة والريح ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، وبيده الفضل والمنة .

ذكر غزوة بنى قريظة

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجره .

وقال ابن إسحاق : فى سؤال منها .

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد ، دخل حديث بعضهما فى بعض ، قال :

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون ،

(١) طخفة بكر الطاء . وفتحها : جبل أحمر طويل حذاه آبار ومنزل ، قال صاحب اللسان :

« ويقال : جرير على نذر » . (٢) لم تذكر فى ج .

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ — عليه السلام — النبيَّ صلى الله عليه وسلم معتجراً بعمامة من استبرق، على بغلة عليها رحالة ^(١) عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعتُ إلا من طاب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فأني عامد إليهم فزلزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا العصرَ إلا في بني قريظة . واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بني قريظة، فسار [على] حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: أظنك سمعت منهم لى أدنى؛ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نِقْمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً . ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا؛ ويقال: بئر أنى؛ وتلاحق به الناس، فأنى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الانتجار بالعمامة : هو أن يلفها الرجل على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه . (٢) الرحالة : مريح من جلود لا خشب فيها تحمّل للركض الشديد . (٣) في ج: « بالسير » . (٤) ساقطة من أ . (٥) كذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أقوال في ضبطه (انظر المواهب ٢ : ١٥٤) . (٦) في أ : « عشاء » .

وسلم . لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة . فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا بني قريظة ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، وتخوف ناس فوت الصلاة فصلوا ، فما عتف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين ، ولا عابهم الله تعالى في كتابه .

- قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف
والخيل ستة وثلاثون فرسا ، فحاصرهم خمسة عشر يوما . قاله ابن سعد .
- وقال ابن إسحاق : نحسا وعشرين ليلة أشد حصارا حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . وكان حُيَّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :
يا معشر يهود ، قد نزل بكم ما ترون ، وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، نخذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ^(١) [و] نصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فثامنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛
قال : فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نُخرج إلى مجد وأصحابه رجالا مُصلتين السيوف ، لم تترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فاعمرى لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا :
نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ^(٢) ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون مجد وأصحابه قد أمّنوا فيها ، فأنزّلوا علينا نصيب من مجد وأصحابه غيرة ؛ قالوا : تفسد علينا سبتنا ، وتحدث فيه ما لم يحدث

(٢) في ١ : « خير في العيش » .

(١) ساقطة من ١ .

من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يتخف عليك من المسخ ؛ قال : ما بات
 منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة [واحدة] من الدهر حازما . ثم بعثوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا ؛ فأرسله
 إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ،
 فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن تنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار
 بيده إلى حلقه ، أى إنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدماى من مكانهما
 حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم أنطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال :
 لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على . قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو كان جاءنى لأستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل
 فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فأنزل الله تعالى فيه : « وَآخِرُونَ
 اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسِيئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ » . قالت أم سلمة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من السحر وهو يضحك ، فقلت : مم تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله ؟ .
 قال : تيب على أبى لبابة . قالت : فقلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال :
 بلى ، إن شئت . فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب ،
 فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه
 فقال : لا والله ، حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده ؛ فلما مرّ عليه خارجا
 إلى صلاة الصبح أطلقه .

(١) ساقطة من أ . (٢) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم .
 (٣) جهش : فرع وأسرع . (٤) كذا فى الأصول . وفى ابن هشام والمواهب اللدنية
 والطبرى : « ما زالت » .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجُدع ستَّ ليالٍ ، تأتيه امرأته في كلِّ وقت صلاة ، فتحلّه للصلاة ، ثم تعود فتربطه .

هذا ما كان من أمر أبي لبابة ؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعِيَةَ ، وأسيد بن سَعِيَةَ ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من هَدَل ، قال ابن إسحاق : ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى القرظي - فرتَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سَعْدَى - وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ؛ ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه ، فلم يدر أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق . والله أعلم .

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وسؤال الأوس فيهم ؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم

بحكم الله تعالى وقتلهم

قال : ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت

(١) كذا في ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والاستيعاب ، والطبرى . وفي الأصول : « أسعد » .

(٢) كذا في الأصول : وفي بعض نسخ ابن هشام : « إقالة عثرات الكرام » .

في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت . يعنون بنى قينقاع لما أطلقهم صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي بن سلول^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فذاك سعد بن معاذ . وكان سعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رُفيدة ، كانت تداوى الجرحى محتسبة ، فأناه قومه فحملوه على حمار ، ووطنوا له بوسادة من آدم ، ثم أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون له : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولأك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه [من قومه]^(٤) إلى دار بنى عبد الأشهل ، فعنى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، لكلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيديكم " . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ والأنصار يقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وعلى من ها هنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد :^(٥) فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء . فقال

(١) في أ : « أطلقهم رسول الله » . (٢) في أ : « أبي سلول » . (٣) في أ : « وليك »

(٤) ساقطة من أ . (٥) الذراري : الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .^(١)
 أى من فوق سبع سموات ، ويقال : إن اليهود سألوا أن يتزلوا على حكم سعد بن معاذ .
 والله تعالى أعلم .

قال : ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع
 خلون من ذى الحجة ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة ، فحبسهم في دار بنت الحارث
 امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ،
 فحفر بها خنادق ، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا ،^(٢)
 فضربت أعناقهم ، وفيهم حُيِّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، واختلف في عددهم
 فقيل : كانوا ستمائة أو سبعمائة . وقيل : بين الثمانمائة والتسعمائة ؛ قال : وقالوا
 لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
 يا كعب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي
 لا يترع ، وأنه من ذهب [به] منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! قال : وأتى يحيى^(٤)
 ابن أخطب ، وعليه حلة [له] ففأحياه فدشقها عليه من كل ناحية قدر أنملة ،^(٥)
 لئلا يُسألها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يُخذل الله يُخذل ، ثم أقبل^(٦)

(١) سبعة أرقعة : قال ابن دريد : أرقعة : (جمع رقيع) بتذكير العدد على معنى السقف ، إذ السماء
 مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد . وسميت السماء رقيعا لأن بعضها كان يرقع بعضا . وبعضهم
 يجعل الرقيع السماء الدنيا لاغير ، وكأنها رقت بالنجوم .

(٢) في ١ : « فأدخلهم » . (٣) أرسالا : أفواجا وفرقا .

(٤) ساقطة من أ . (٥) ساقطة من أ . (٦) ففأحياه : أى بلون الورد حين هم

أن يفتتح . وفي الأصل : « تفأحياه » وهو تحريف .

على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبت
على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبيل بن جَوال النعلبي :
لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يَحْدِلِ الله يُحْدِلِ
لجَاهِدِ حتى أبلغ النفس عُدْرَهَا * وَقَلْقَلِ يَبْنِي الْمَرْكَلِ مُقْلَقِلِ^(١)

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها أنها قالت :
لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي ،
وتضحك ظهرا وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ،
إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ؛ قلت لها : ويلك !
مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق
بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ،
وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال الواقدي : واسم تلك المرأة : بِنَانَةُ^(٢)
امرأة الحكم القرظي ؛ وكانت قتلت خلاد بن سويد ، طرحت عليه رَحِيًّا ، فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقها بخلاد بن سويد . قال : وكان علي بن أبي طالب
والزبير بن العوام رضی الله عنهما يضربان أعناق بني قريظة ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس هناك .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى
أبا عبد الرحمن — وكان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية [يوم بعثت]^(٣)
أخذه بجز ناصيته ثم خلى سبيله — بجاءه ثابت يوم قريظة ، وهو شيخ كبير فقال :
^(٤)

(١) قلقل : تحرك . (٢) في ١ : « ضرب » .

(٣) كذا في الطبري ، والاستيعاب ، والقرطي ، وأسد الغابة . وفي الأصول : « رماة » .

(٤) ساقط من ١ . (٥) في ١ : « بجاء » .

- يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثل مثلك؟ قال: إني قد
 آن أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، قد كانت للزبير عندي يد،
 وله على منة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي
 دمك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أهله وولده؛ قال: هم لك. فأتاه فقال:
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؛ قال:
 أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ماله؛ فقال: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأت وجهه
 امرأة صينية يترأى فيه عذارى الحى^(١)، كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل
 سيد الحاضر والبادى حبي بن أخطب؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل مقدمتنا إذا
 شددنا، وحاميتنا إذا كررنا، عزال بن سمول^(٢)؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل
 المجلسان؟ يعني بنى كعب بن قريظة، وبنى عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا وقتلوا؛
 قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش^(٤)

(١) في سيرة ابن هشام: «فيها» .

(٢) كذا في ج، والطبري . وفي أ، وفي هامش ج: «قدرنا» وفي ابن هشام: «فرزنا» .

(٣) كذا في إمتاع الأسماع، وفي سيرة ابن هشام . وفي الأصل: «سمول» وقد ذكر في الطبري

بروايات مختلفة، وراجع القسم الأول ٣، ٤ ص ١٤٩٦ .

(٤) كذا في ج، وسيرة ابن هشام . وفي أ: «بيدك عندي» .

بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قبلة^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدمه ثابت فضرب عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا .

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس :

وَقَتَّ ذِمَّتِي أُنِّي كَرِيمٌ وَأُنِّي * صَبُورًا إِذَا مَا الْقَوْمَ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ^(٢)
وَكَانَ زَيْرٌ أَكْبَرُ النَّاسِ مِثْنَةً * عَلِيٌّ فَلَمَّا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ^(٣)
أُنَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا أَفْكُهُ * وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ بَجْرًا لَنَا يَجْرِي

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مز : أَنْبَتَ مِنْهُمْ ؛ فسألته سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سَلَيْطِ بْنِ قَيْسٍ — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد صلت معه القبلتين ، وبايعته ببيعة النساء — على رفاة بن سموع القرظي ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفها ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاة بن سموع ، فإنه قد زعم أنه سيصلني ويأكل لحم الجمل . فوهبه لها ، فاستحيتته .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم بجمعت ، فأصطفى لنفسه رِيحَانَةَ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ خُنَافَةَ إِحْدَى نِسَاءِ عَمْرٍو بْنِ قَرِيظَةَ ، ثم أخرج الخمس من

(١) قبة دلو ، أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبا في الحوض ثم بصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة . وذكر أبو عبيد الحديث قال : « قال الزبير : يا ثابت ، ألقى بهم ، فلت صابرا عنهم إفراغة دلو » .

(٢) في أ : « عادوا » .

(٣) كذا في ج . وفي أ : « كوعاه » .

المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكانت السهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة، وهى السقط من متاع البيت.

وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أحد بنى عبد الأشهل بسبايا من سببايا بنى قريظة إلى نجد، فأبتاع له بهم خيلاً وسلاحاً.

وأستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصارى الخزرجى، طرحت عليه رعى فشدخته شداً شديداً، ومات أبو سنان ابن محضن بن حنثان، أخو بنى أسد بن خزيمه.

٧٢
١٥

وأزل الله عز وجل في شأن بنى قريظة قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ قال: قوله: « الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ » يعنى قريظة ظاهروا قريشا وغطفان « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » أى حصونهم ومعقلهم، واحدها صيصية « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ » وهم الرجال « وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » وهم النساء والذراري « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا » قال يزيد بن رومان [وابن]

(١) كان من مهاجرة الحبشة، فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنعام.

(٢) ساقطة من أ.

زيد ومقاتل : يعني خبير . وقال قتادة : كنا نحدث أنها مكة . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

ذكر سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق النضري بنجيير

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت هذه السرية بعد غزوة بني قريظة . فتكون في ذي الحجة سنة خمس من الهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في ذي الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بنجيير .

قال محمد بن إسحاق : لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر ، وهم : عبد الله ابن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم .

قالوا : وكان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام . وفي الطبقات : « الأسود بن خزاعي » .

(٢) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « قال » .

فَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ ، وَنَهَاہُمْ أَنْ يَقْتُلُوا وَلِيدًا
 أَوْ امْرَأَةً ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا خَيْرَ فِكْنُونَا ، فَلَمَّا هَدَاتِ الرَّجُلُ جَاءُوا إِلَى مِثْلِهِ
 فَصَعَدُوا دَرَجَةً لَهُ ، وَقَدَمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْتُنُّ بِالْيَهُودِيَّةِ ، فَاسْتَفْتَحَ
 وَقَالَ : جِئْتُ أَبَا رَافِعٍ بَهْدِيَّةً . فَفَتَحَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحَ أَرَادَتْ
 أَنْ تَصْبِيحَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالسَّيْفِ فَسَكَتَتْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَلَّوْهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، قَالَ
 ٥ ابنُ أَنَيْسٍ : وَكُنْتُ رَجُلًا أَعْشَى لَا أَبْصِرُ ، فَاتَّكَأْتُ بِسَيْفِي عَلَى بَطْنِهِ حَتَّى سَمِعْتُ خَشَّةً
 فِي الْفَرَاشِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ [قَدْ] قَضَى ، وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَضْرِبُونَهُ جَمِيعًا ، ثُمَّ زَلَّوْا
 وَصَاحَتْ امْرَأَتُهُ ، فَتَصَابَحَ أَهْلُ الدَّارِ . قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ [عَتِيكٍ]
 سَيِّئَ الْبَصَرِ ، فَوَقَعَ مِنَ الدَّرَجَةِ فَوَثَّتْ يَدَهُ وَثَثًا شَدِيدًا ، قَالَ ابنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ :
 ١٠ رَجُلُهُ ، قَالُوا : لَحْمَلْنَاہُ حَتَّى أَتَيْنَا مِنْہَا مِنْ عِيُونِهِمْ — وَالْمَنَاهِرُ ؛ وَاحِدَتُهَا مَنْهَرَةٌ ، وَهُوَ
 فِضَاءٌ يَكُونُ بَيْنَ أَفْنِيَةِ الْقَوْمِ يَلْقَوْنَ فِيهَا كُنَّاسَتَهُمْ — فَدَخَلْنَا فِيهِ .

قال محمد بن سعد : وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم
 يطلبونهم بالنيران ، فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن
 الطلب . قال ابن إسحاق : فقلنا : فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ فقال
 ١٥ رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، فوجده ورجل
 من يهود حوله ، وامرأته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحادثهم وتقول : أما
 والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت [نفسي] وقلت : ابن عتيك بهذه البلاد !

(١) كذا في ج . وفي أ : « فعلوه سيافهم وهو تصحيف » . (٢) ساقطة من أ .

(٣) في الأصول : « عبد الله بن أنيس » . والتصويب من ابن هشام ، وأسد الغابة ، والمواهب

اللدنية ، والطبري .

٢٠

(٤) الوث : صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظام فيرم ، وقيل : هو توجع في العظم من غير كسر .

(٥) تكلمة من ابن هشام .

ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول : ^(١) فآظ وإله يهود . قال : فما سمعت كلمة كانت
ألد في نفسى منها ؛ وجاء فأخبرهم بالخبر ، قالوا : فاحتملنا صاحبنا ، وقدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ،
كلنا يدعيه ، فقال : هاتوا أسيافكم . فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله
ابن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

٧٣
١٥

قال الشيخ شرف الدين [عبد المؤمن] ^(٢) بن خلف الذمياطى رحمه الله في سيرته :
وفى حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، قال : وهو الصواب .
والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى فى قتل سلام بن أبي الحقيق وابن
الأشرف :

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف	لله در عصابة لاقيتهم
مرحاً كأسدٍ فى عرين مغريف ^(٤)	يسرون بالبيض الخفاف إليكم
فسقوكم حنفاً ببيض ذفف ^(٥)	حتى أتوكم فى محل دياركم
مستصغرين لكل أمرٍ مجحف ^(٧)	مستصغرين لنصر دين نبيهم ^(٦)

(١) فى ج : « ثم قالت » . (٢) فآظ : مات .

(٣) تكلمة من ج .

(٤) فى رواية : « بالبيض الرقاق » يعنى السيوف . مرحا : نشاطا . عرين مغريف : قال أبو ذر
الخشنى فى شرح السيرة ج ٢ ص ٣٢٦ : « العرين : غابة الأسد . ومغريف ملتف الأغصان » .

(٥) ذفف : سرية القتل .

(٦) فى ديوان حسان : « مستصغرين » .

(٧) ومجحف : ذاهب بالنفوس والأموال .

ذكر سرية محمد بن مسleme إلى القُرطاء ، وهم بنو قُرط وقرَيْط من بني كلاب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم ، على رأس تسعة وخمسين شهرا من مهاجرة في ثلاثين راجا إلى القُرطاء ، وهم يتزلون بناحية ضرية وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، فقتل نفرا منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نعاما وشاء ، ولم يعرض للظعن ، وانحدر إلى المدينة ، فغمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، وقص ما بقى على أصحابه ، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا ، والغنم ثلاثة آلاف شاة . وغاب سبع عشرة ليلة ، وقدم لليلة بقيت من المحرم .

١٠ ذكر غزوة بني لحِيان بناحية عُسفان^(١)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة على ما أورده محمد بن سعد . وقال محمد بن إسحاق : في جمادى الأولى سنة ست .

١٥ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه — أصحاب الرجيع — وجدا شديدا ، فأظهر أنه يريد الشام .

قال ابن سعد : وعسكر لفة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ، معهم عشرون فرسا ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن عُمران ، وبينها وبين عُسفان خمسة أميال ، حيث كان مصاب

(١) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية ، وانظر ج ٢ : ١٧٣

٢٠ (٢) ضرية : قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب .

(٣) عُسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة .

أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت [بهم] ^(١) بنو لحيان، فهربوا في رهوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدروا على أحد، ثم نرح حتى أتى عسفان، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهو يقول: "آيون تائبون عابدون، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال". وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قرد ^(٢)

وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من

مهاجره .

قالوا: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لُقحة ^(٤) ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فأستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر .

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غفار وامرأة [له] ^(٥)، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة [في اللقاح] ^(٥). وجاء الصريح، فنودي: الفرع الفرع! فنودي:

(١) سافطة من أ .

(٢) في أ: « فهربت » .

(٣) قرد: بفتح القاف والراء، وحكى الضم فيهما، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه .

(٤) اللقحة: الناقة ذات اللبن القرية المهذب بالولادة .

(٥) زيادة عن ابن هشام .

«ياخيل الله اركبي» ؛ وكان أول مانودي بها ؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 نخرج غداة الأربعاء ، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو ، وعليه الدرع والمِغْزِر
 شاهرا سيفه ، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء في رمحه ، وقال : امض
 حتى تلحقك الخيول ، وأنا على أثرك . واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخلف سعد بن عبادَةَ في ثلثمائة من قومه
 يجرسون المدينة . قال المقداد : نخرجت فأدركت أحرثات العدو ، وقد قتل
 أبو قتادة الحارثُ بن ربيعٍ حبيبَ بن عَينَةَ بنِ حِصْنٍ ، وغشاه برده ، فلما أقبل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، فرأوا حبيبا مسجىً يبردُ أبي قتادة [فاسترجع
 الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس
 بأبي قتادة] ، ولكنه قتل لأبي قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .
 وقال ابن سعد : إن الذي قتل حبيبا هو المقداد بن عمرو ، قتله وقتل قِرْفَةَ بن
 مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة ، فأعطاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرسه وسلاحه ، وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار ،
 وهما على بعير واحد ، فقتلها . واستشهد من المسلمين يومئذُ محرز بن نضلة ، قتله
 مسعدة ، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه ، بفعل رُامِيهم بالنبل
 ويقول :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٦)

(١) مسجى : مغطى . (٢) ما بين القوسين ساقط من أ . (٣) كذا في ابن سعد ،
 والمواهب اللدنية ، والطبرى . وفي الأصل : « قرة » . (٤) في ابن سعد : « أثار » . بضم
 الهمزة . (٥) كان شجاعا راميا يسبق الفرس ، وما كذب قط . (٦) يوم الرضع : يعنى يوم
 هلاك الثمام ، من قولهم : لئيم راضع ، أى رضع اللثوم في بطن أمه . وقيل : معناه اليوم يعرف من ارتضعته
 الحرب من صفته وتدريبها ، ويرف غيره . راجع المواهب ج ٢ : ص ١٨٢ .

حتى انتهى إلى ذى قرد — وهي ناحية خير مما يلي المستنخ — قال سلمة : فلقننا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء ، فقلت : يا رسول الله ، إن القوم عطاش ، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملكت فأصبح » ، ثم قال : « ما منهم الآن ليقرون في غطفان » .^(١) وذهب الصريح إلى بنى عمرو بن عوف ، بفاءت الأمداد فلم تزل الخليل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قرد ، فاستنقذوا عشر لقاح ، وأفلت القوم بما بقي ، وهي عشرة ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قرد صلاة الخوف ، وأقام يوما وليلة يتحسس الخبر ، وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، وقيل : سبعمائة .

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر

غمر مرزوق ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من قيد^(٤)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلا ، فخرج سريعا ، فنذر به القوم فهربوا ، فنزلوا عليا بلادهم ، ووجدوا دارهم خلوا ، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طلعة ، فرأى أثر النعم ، فتحملوا فأصابوا ربيعة

(١) السرح : المال السائم المرسل في المرعى . (٢) ملكت فأصبح ، أى قدرت عليهم فافترقوا وأحسن العفو . (٣) ليقرون : بفتح الراء وضمها من القرى ، وهي الضيافة . وقيل : معنى ضم الراء أنهم يجمعون الماء واللبن . (المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) في الأصول ، وكذا في المواهب : « غمر مرزوق » . وما أئتناه عن الطبقات وفي معجم البلدان : غمر ، فقد جاء فيه ما نصه : « وقال ابن القتيبة : غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد ، أغزهاها النبي صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن » .

(٥) نذر : علم . (٦) أى أصحاب ديارهم غائبين .

(٧) ربيعة : طلعة .

لهم ، فأمنوه ، فدلم على نهم لبني عم له ، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير ، وأرسلوا الرجل ، وحذروا النعم إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذي القصة

- قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة ، وهم بذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة ، وبين ذى القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، طريق الرّبدة ، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم [ليلا] فأحرق به القوم وهم مائة رجل ، فتراموا ساعة من الليل ، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم ، ووقع محمد بن مسلمة جريحا ، يضرب كعبه فلا يتحرك ، وجردهم من الثياب ، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا ، ووجدوا نعاما وشاء ، فساقه ورجع .

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة في أربعين رجلا من المسلمين ، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجدبت ، ووقعت سخابة بالمراس إلى تغلمين ، والمراس على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، فسارت بنو محارب و ثعلبة وأنمار إلى تلك السخابة ، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا — موضع على سبعة أميال من المدينة — فبعث رسول الله

(١) حذروا : ساقوا . وفي أ : « قدروا » . وهو تحريف .

(٢) ساقطة من أ

صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومن معه حين صلّوا المغرب ، فمشوا ليلتهم حتى وافوا
 ذا القصة مع عمّاية الصبح ^(١) — وهى موضع فى طريق العراق ^(٢) — فأغاروا عليهم
 فأعجزوهم هربا فى الجبال ، وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه ، وأخذ نعا من نعمهم
 فاستاقه وريثة من متاعهم . وقدم المدينة بذلك ، فخمسه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم ما بقى عليهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى شهر ربيع الآخر
 سنة ست من الهجرة إلى بنى سليم ، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم — ناحية
 بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد — فأصابوا عليه
 امرأة من مُزينة يقال لها : حليلة ؛ فدلّتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا
 فيها نعا وشاء وأسرى ، فكان فيهم زوج حليلة المُزينة ، فلما قفل زيد بن حارثة
 بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للزينة نفسها وزوجها ، فقال بلال
 ابن الحارث المُزنى فى ذلك :

لعمرك ما أخنى المُسول ولا وئت ^(٤) حليلة حتى راح ركبهما معا ^(٥)

(١) عمّاية الصبح : يقال : لقيته فى عمّاية الصبح ، أى فى ظلمته قبل أن آتيته .

(٢) هذا ما ذكره المؤلف : وفى معجم البلدان ما يأتى : « قال السكونى : ذو القصة : موضع بين
 زباله والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا
 الموضع كانت غزاة أبى عبيدة بن الجراح ، أرسله إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الرثة : السقط من متاع البيت .

(٤) أخنى : أخش . وفى أ : « أخنى » .

(٥) فى أ : « دنت » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لعير قريش

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة ست من مهاجره في سبعمائة راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذى المروة ليلة - وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فِضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزَيْنَب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر: إني قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما علمت بشيء من هذا] قد أجرنا من أجرت. ورد عليه ما أخذ له (١) كما تقدم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطريف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجره إلى الطريف - وهو ماء قريب من المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، طريق البقرة على الحجّة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيدا، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أمت أمت».

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٢) في أ: « ما أخذه ». وفي الطبقات: « ما أخذه منه ».

ذِكْرُ سَرِيَّةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى حَسْمَى ، وَهِيَ وَرَاءَ وَادِي الْقُرَى

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الآخرة أيضا ، وذلك أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابيه ، وقد أجازته وكساه ، ومع دحية تجارة له ، حتى إذا كان بواد يقال له : شتار أو شنان ، أغار عليه الهنيد بن عارض ، وقيل : [ابن عوص ، وأبنة عارض بن الهنيد ، وقيل :] عوص ابن الهنيد ، الضلعيان في ناس من جذام بحسمى ، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه ، فلم يتركوا عليه إلا سميل^(٥) ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضيب — [رهط رفاعة بن زيد من كان أسلم وأجاب — فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فهيم من بني الضيب] النعمان بن أبي جمال حتى لقوهم فاقتتلوا ، وانتهى يومئذ قزة بن أشقر الضفاري ثم الضملي ، فقال : أنا ابن لئبي ، ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته ، وقال : خذها وأنا ابن لئبي ، ولئبي أمه ، ثم استنقذوا لدحية متاعه ، وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية ، فكان زيد يسير الليل ويكن النهار ومعه دليل من بني عذرة ، فأقبل بهم حتى هم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيد

٧٦

١٥

(١) أجازته : أعطاه جائزة . وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفا على ملكه .

(٢) كذا في معجم البلدان والطبرى . وفي الأصل : « شيار » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) الضلع : بطن من جذام .

(٥) سميل ثوب : أى الخلق من الثياب .

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٧) في أ : « الضفدى » .

وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة
ومن النساء والصبيان مائة ، فوحد رفاعه^(١) بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفن إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليال
قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله ، لا تحزم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما .
فقال : كيف أصنع بالقتل ؟ فقال أبو يزيد بن عمرو : يا رسول الله ، أطلق لنا
من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : صدق أبو يزيد ، فبث معهم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم
وبين حرمهم وأموالهم ، فتوجه على رضى الله عنه ، فلقى رافع بن مكيث الجهني بشير
زيد بن حارثة على ناقه من إبل القوم ، فردها على عليهم ، ولقى زيدا بالفحلين^(٢)
— وهى بين المدينة وذى المروة — فأبلغه [أمر]^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرد عليهم كل ما كان أخذ منهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى^(٥)

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد
ابن حارثة إلى وادى القرى أميرا فى شهر رجب سنة ست من الهجرة . ولم يذكر
غير ذلك .

(١) قدم رفاعه هذا على النبي صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية فى جماعة من قومه فأسلموا ،
وعقد له رسول الله على قومه ، وكتب له كتابا إلى قومه فأسلموا . وهذا نص الكتاب : « بسم الله
الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعه بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل
فيهم يدعهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل فى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .
وأجمع شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٢ .

(٢) كذا فى الطبقات ، ومعجم البلدان . وفى الأصل : « بالنخلين » وهو تحريف .

(٣) ساقطة من أ . (٤) فى أ : « فأبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٥) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة .

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١)

قال محمد بن سعد رحمه الله : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من مهاجرة ، فأقعدته بين يديه وعممه بيده وقال : اغزُ بِسْمِ اللَّهِ ، وقاتل في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل^(٢) ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا . وبعثه إلى كَلْبِ بدومة الجندل ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانيا وهو رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن ثُمَاضِر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة ، وهي أم أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بقدك قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بقدك في مائة رجل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار علي رضي الله عنه بمن معه ، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

(٢) في طبقات ابن سعد : « اغز باسم الله وفي سبيل الله » .

(٣) غل : خان كأغل .

(٤) في أ : « إلى دومة الجندل » .

(٥) كذا في أ . وفي ج : « بنت » .

إلى الهمج^(١) - وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال : أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأتنوه فدلّم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبربن عليم، فعزل عليّ رضي الله عنه صفى^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقوفا تدعى الحفيدة^(٣)، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيدا .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى وقتل أم قرفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استقبل زيد بن حارثة، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .

وقال محمد بن إسحاق : إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادى القرى، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه^(٤)، وارتث زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة .

(١) في الأصول : « الفجج » ، وصوابه من الطبقات، وانظر معجم البلدان .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٣) في هامش ج : « الحفدة : السرية » .

(٤) في هامش ج : « استبل ، أى عوقى » . وفى أ : « استقبل » .

(٥) ارتث : حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحاً وبه رث .

قال ابن سعد: نخرج زيد بن حارثة بمن معه فكنوا النهار وساروا الليل، ونذرت^(١) بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذى أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم لحزن بن أبى وهب، قال: وعمد قيس ابن المحسر إلى أم قرفة، وهى عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها^(٢)، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عربا يناجرونه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به.

١٠ ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودى بنخيير^(٤) ^(٥)

كانت هذه السرية فى شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق كما ذكرنا أمرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه عبد الله بن رواحة فى ثلاثة نفر من المسلمين فى شهر رمضان سرا

(١) نذرت بهم: علموا بهم فغذروهم.

(٢) بالحاضر، أى بمن حضر هناك من فرارة.

(٣) فى شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٧ ما يأتى: «ذكر الدولابى: أن زيدا لما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها، وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمدا».

(٤) فى رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٥) فى الأصول: «زارم»، والتصويب من المواهب وابن هشام.

فسأل عن خبره وغيْرته ^(١) ، فأخبر بذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؛ قال : نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؛ قالوا : نعم ؛ فقالوا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك . فطعم أسير في ذلك ، فخرج ونرح معه ثلاثون رجلا من اليهود ، مع كل رجل رديف ^(٢) من المسلمين ، حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار ^(٣) ندم أسير ، قال عبد الله ابن أنيس — وكان في السرية : فأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ودفعت بعيرى فقلت : غدرا أى عدو الله ! فعل ذلك مرتين ، فترلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف ، فأندرت ^(٤) عامة نخذه وساقه ، وسقط عن بعيره وبيده محرش ^(٥) من شوحط ^(٦) ، فضربني به فشجني ^(٧) مأمومة ، وملكنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين . وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه .

١٥

(١) غرته : غفله .

(٢) الرديف : الذى يركب خلف الراكب .

(٣) قرقرة ثبار : موضع على ستة أميال من خيبر .

(٤) أندرت : قطعت .

(٥) المحرش والمحرش : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٦) شوحط : من شجر الجبال تخذه منه القسي .

(٧) شجة مأمومة : بلفت أم الرأس .

٢٠

ذکر سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : قدم نفر من عرنية ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستوثبوا المدينة ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لِقاحه ، وكانت ترمى بذي الجدر — ناحية قُباة قريبا من عَيْر ، على ستة أميال من المدينة — فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا ، فعدوا على اللقاح فاستاقوها ، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر ، فقاتلهم ، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فبعث في أثرهم عشرين فارسا ، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهري ، فأدركهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، فخرجوا بهم نحوه ، فلقوه بالزغابة يجتمع السيول ، فأمر بهم فُقطعت أيديهم وأرجلهم ، وُسِّمَتْ أعينهم ، وُصِّلوا هنالك . وأنزل الله تعالى على رسوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . فلم يسمل بعد ذلك عينا ، وكانت اللقاح خمس عشرة لِقحة غزارا فردوها إلى المدينة ، ففقد منها لِقحة تدعى الحناء ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقيل : نحروها .

(١) استوثبوا : استوثقوا . وفي أ : « استوا » .

(٢) في أ : « وكسروهم » .

(٣) ضبطت في القاموس بضم الزاي ، وفي معجم البلدان بفتحها .

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم

إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد في طبقاته : وذلك أن^(١) أبا سفيان بن حرب قال لنصر^(٢)

من قريش : ألا أحد يفتّر^(٣) عهدا فإنه يمشى في الأسواق؟ فأتاه رجل [من الأعراب]

فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلبا ، وأشدّه بطشا ، وأسرعه شدا ، فإن أنت^(٤)

قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ، ومعى خنجر مثل خافية النسر ؛ قال : أنت^(٥)

صاحبنا ؛ فأعطاه بعيرا وثقفا ، وقال : اطو أمرك ؛ فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا

وصبح ظهر الحزة صبح سادسة ، ثم أقبل فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى دلّ عليه ، فعقل راحلته ، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

في مسجد بنى عبد الأشمل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن هذا

يريد غدرا". فذهب ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغذبه أسيد بن الحضير^(٦)

بداخلة إزاره ، فإذا بالخنجر ، فسقط في يده ، وقال : دمي دمي ! وأخذ أسيد بلبته^(٧)

فدعته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصدقني ، ما أنت؟" قال : وأنا آمن؟^(٨)

قال : نعم ؛ فأخبره بخبره ، فغلى عنه صلى الله عليه وسلم .

١٥ (١) يفتّر ، أى يأتيه على غفلة . وفي الأصول : « يفتّر » ، وصوابه عن المواهب فيما نقله عن

الطبقات . (٢) كذا في - . وفي أ : « فيمشى » . (٣) ساقطة من أ

(٤) كذا في الأصل ، والطبقات . وفي المواهب : « أشدهم ، وأسرعهم » .

(٥) خافية النسر : ريشة صغيرة في جناح النسر دون العشر ريشات التي في مقدم الجناح .

(٦) بداخلة إزاره ؛ أى طرفه وحاشيته من داخل .

٢٠ (٧) سقط في يده : أى ندم . (٨) دعتنه : أى خنقه أشد الخنق . وفي أ ، وح ،

والطبقات : « فدعته » بالبدال المهملة . وفي هامش - : « دعتنه : إذا خنقه أشد الخنق » وهو

محريف . والصواب « دعت » بالبدال المعجمة في الجميع .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم ابن أبي حريش^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبنا منه غيرة فاقنلاه؛ فدخلنا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فراه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، وأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير؛ فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقى عمرو عبدة الله ابن مالك بن عبد الله التيمي [فقتله]^(٢) وقتل آخر من بني الدليل، سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا

ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتحسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، [فقدم به المدينة] فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يضحك؛ هكذا حكى محمد بن سعد .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد مقتل حبيب بن عدي وأصحابه، قال: فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جليلهما بشعب من شعاب ياجج^(٥)، ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبار بن صخر لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصدنا ركعتين؛ قال عمرو: فطفنا وصدنا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل ففرقني، فقال: عمرو بن أمية، والله إن قدمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: النجاء؛ فخرجنا نشتد حتى أصدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يتسوا منا، فدخلنا كهفاً

(١) كذا في الأصول، وفي ابن هشام: «ابن حريش» .

(٢) كذا في الأصول . وفي المواهب، والطبقات: «عبدة الله» .

(٣) ساقط من أ . (٤) تكلة من ج . (٥) ياجج: اسم موضع بمكة .

- في الجبل فبتنا ، وقد رَضَمْنَا^(١) دوننا حجارة ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرس له ، فغشينا ونحن في الغار ، فقلت : إن رأنا صاح بنا فتؤخذ فنقتل ؛ قال : نخرجت إليه فضربته على نديه بمنجر كنت قد أعددت له لأبي سفيان ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، ورجعت فدخلت مكاني ، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخرمق ، فقالوا : مَنْ ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية . ومات لوقته ، ولم يدلّ علينا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبي لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب ، فقال أحدهم : والله مارأيت كالليللة أشبهه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو ؛ قال : فلما حاذى عمرو الخشبة شدّ عليها واحتملها ، وخرجنا شداً ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفاً بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة في الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدرُوا عليه . قال ١٠
- عمرو : وقلت لصاحبي : النجاء ، حتى أتى بعيرك فتقعد عليه ، فإني سأشغل عنك القوم ؛ قال : ومضيت حتى خرجت على صَحْنَان^(٢) ، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفاً ، فبينما أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدليل أعور ، في غُيمَةٍ له ؛ فقال : من الرجل ؟ قلت : من بني بكر ، فمن أنت^(٣) ؟ قال : من بني بكر ؛ فقلت : مرحباً ؛ فاضطجع ، ثم رفع عقيرته فقال : ١٥

ولست بمسلم ما دمت حيّاً * ولست أدِينُ دينَ المسلمانيّ

(١) رضم الحجارة : جعل بعضها على بعض .

(٢) كذا في الأصل . وفي ابن هشام : « نديه » .

(٣) صحنان : اسم جبل قرب مكة .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « فقلت : من بكر . قل : فإني أنت من بني بكر ؟ » . ٢٠

فقلت في نفسي : ستعلم ؛ فأمهله حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سببها في عينه^(١) الصريحة ، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العرج^(٢) ، ثم سلكت ركوبة^(٣) ، حتى إذا هبطت التقيع إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بمتهمنا عينا إلى المدينة يتحسنان ؛ فقات : استأسرا ؛ فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطا ، وقدمت به المدينة .
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية ، في أى شهر كانت ، فاذكره .

ذكر غزوة الحديبية وما وقع فيها من بيعة الرضوان^(٥) ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحديبية في ذى الحجة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهبثوا ، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين ، وركب راحته القصواء^(٦) وخرج ، وذلك يوم الاثنين لهلال ذى القعدة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وقال ابن إسحاق : استعمل على المدينة مُمَيْلَةَ بن

(١) سية القوس : ماعطف من طرفها .

(٢) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالحجاز .

(٣) ركوبة : نية بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) التقيع : موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة .

(٥) الحديبية : بئر سمى المكان بها ، وقيل : شجرة حديبا . سمى المكان بها . وقيل : قرية متوسطة

قرية من مكة .

(٦) القصواء ، لقب ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

- (١) عبد الله الليثي . قال ابن سعد : ولم يُخْرِج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه سلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرب، وساقُ بَدْنًا وساقُ أصحابه بَدْنًا، فصلى الظهر بذي الحُلَيْفَة : ثم دعا بالبدن التي ساق بفلئت، ثم أشعرها في الشقِّ الأيمن وقلدها، وأشعر أصحابه أيضا، وهي موجهات إلى القبلة، وهي سبعون بَدْنَة، فيها جمل أبي جهل الذي غنمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وأحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبي، وقدم عباد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فارسا من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل : ألف وستمائة، ويقال : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجهم، فأجمع رأيهم على صدته عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح (٦) وقدموا مائتي فارس إلى كُراع النعميم (٧)، عليهم خالد بن الوليد، ويقال : عكرمة ابن أبي جهل .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسفان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال : بُسر — فقال :

٨٠
١٥

- ١٥ (١) حذف المؤلف المفعول هنا، والتقدير ولم يخرج معه أحدا .
 (٢) البدن : جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تنخر بمكة .
 (٣) جللت : ألبست ما تصان به .
 (٤) أشعرها : أعلها، وذلك بأن ضرب صفحة السنام التي بمديدة فلصقها بدمها إشعارا بأنها هدى .
 (٥) قلدها : علق في عنقها شيئا ليعلم أنها هدى .
 (٦) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب .
 (٧) كراع النعميم : موضع بين مكة والمدينة .
- ٢٠

يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل ^(١) ،
 قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبدا ،
 وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم . فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ” يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني
 وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله
 عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟
 والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ^(٢) .
 قال محمد بن سعد : ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبّاد بن بشر فتقدم
 في خيله ، فأقام بإزائه وصف أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف ، فلما أمسى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :
 تيامنوا في هذا الموضع العَضَل ^(٣) — موضع منعطف في الوادي — فإن عيون قريش
 بمز الظهران وبضجنان . فسار حتى دنا من الحديدية ، وهي طرف الحرم على تسعة
 أميال من مكة ، فوقفت يدا راحلته على نية تهبط على غائط القوم ، فبركت ^(٤) .

- ١٥ (١) العوذ المطافيل : النسوق التي وضعت أولادها حديثا . يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء
 والصبيان . وفي هامش ج ما يأتي : « حاشية : العوذ : نتاج الناقة القريب المهسد بالولادة .
 والمطافيل : كل ما يتبع أمه من سائر الحيوان » .
 (٢) السالفة : صفحة العتق ، وكنتى بافرادها عن الموت .
 (٣) في حاشية ج : « العَضَل : جمع عضلة ، وهي شجرة إذا أكل منها البعير صلحته » .
 ٢٠ وفي معجم البلدان : « العَضَل : موضع بالبادية كثير الفياض » . وفي ابن سعد وإمتاع الأصماع :
 « في هذا العصل » بالصاد المهملة . والعصل : الرمل المتروى الموج .
 (٤) في ابن سعد : « فوقفت » .

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عيُّنه الخزاعي ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمع لك الأحابيش ، وهم مقاتلون وصادقون عن البيت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين كانوا هم فنصيبهم ؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن يجئوا [تكنن] عتقا قطعها الله ، أو ترون أن تؤم البيت فن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فروحوا إذا ؛ فراحوا ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمناه إلى قوله : أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله . فخرج بهم على طريق وعمر حزن بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا ،

- ١٥ (١) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية .
 (٢) الأحابيش : هم بنو الحون بن خزيمه ، وبنو الحارث بن عبد مائة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له : الحبشى أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم .
 (٣) كذا في ج . ٠ وفي أ : « أعاونهم » .
 (٤) كذا وردت هذه العبارة في أ ، وج . وفي تفسير الكشاف والبيان : « فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن نجوا عتقا قطعها الله » . والتصويب من شرح المواهب ٢ : ٢١٩ .

فقال : والله إنها لَحِطَّةٌ ^(١) التي عرضت على بنى إسرائيل فلم يقبلوها ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : اسلكوا ذات اليمين ، في طريق يخرج على ثنية ^(٢) المَرَارِ على مهبط من أسفل مكة ، فملك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأَت خيل قريش قِترَةَ الجيش ^(٣) ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش يندرونهم ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية ^(٤) المَرَارِ بركت به ناقته ، فقال الناس : حَلَّ حَلٌّ ؛ فقال : ما حل ؛ قالوا : خَلَّاتِ ^(٥) القَصْوَاءُ ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : ” ما خلَّات وما ذاك لها بَحْأَتِي ، ولكن حبسها ^(٦) حابِسُ الفَيْلِ ؛ ثم قال : والذي نفسى بيده لا تدعونى قريش إلى حُطَّةٍ يعظمون بها حرَمَاتِ الله ، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها “ ؛ ثم قال للناس : ” انزلوا “ ، فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء ، وإنما تبرضه الناس تبرضا ، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش ، فترع سهما من كاتته وأعطاه رجلا من أصحابه ، يقال له : ناجية بن عُمر بن يَعْدَر بن دَارِم ، وهو سائق بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل في تلك البئر فغرز في جوفها

(١) الحطة: يشير إلى قول الله تعالى لى إسرائيل: «وقولوا حطة» ومعناه: اللهم حط عنا ذنوبنا.

(٢) في الأصل: «المران» وهو تحريف.

(٣) قتره الجيش: غباره. وفي أ.: «قرة الجيش».

(٤) حل حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. وقال الخطابي: حل واحدة فبالسكون، وإن

أعدتها نوت الأولى وسكنت الثانية. وحكى غيره: السكون فيهما والتونين كظيره في نبح. لكن

الرواية بالسكون فيهما. راجع شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٢١.

(٥) في هامش ج: «الخلا»: حران الإبل.

(٦) حابِسُ الفَيْلِ: أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٧) يتبرضه الناس: أى يأخذونه قليلا قليلا.

بِغَاشِ الْمَاءِ بِالزَّمَى ، حَتَّى صَدُرُوا عَنْهُ ، وَيُقَالُ : إِنْ جَارِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ
(١) بَدَلُوهَا ، وَنَاجِيَةٌ فِي الْقَلْبِ يَمِجُّ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَتْ :
(٢) (٣)

يَايَهَا الْمَائِحُ دَلَّوْى دُونَكَا * إِنْى رَأَيْتِ النَّاسَ يَمَجِدُونَكَا
يُنْتُونُ خَيْرَا وَيُمَجِدُونَكَا * أَرْجُوكِ لِلْخَيْرِ كَمَا يَرْجُونَكَا

فَقَالَ نَاجِيَةٌ :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةٌ يَمَانِيَةٌ * أَنْى أَنَا الْمَائِحُ وَأَسْمَى نَاجِيَةٌ
(٤) وَطُعْنَةٌ ذَاتُ رَشَاشٍ وَاهِيَةٌ * طُعْنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : نَاجِيَةٌ بِنُ جَنْدَبِ بْنِ عُمَيْرِ الْأَسْلَمِيِّ ؛ قَالَ : وَزَعَمَ بَعْضُ

أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي نَزَلَتْ بِسْمِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالتَّلْبِي : رَوَى عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ

عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ : فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخُرَازِمِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ خِرَازِعَةُ عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ، فَقَالَ : إِنْى تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَى وَعَامِرَ

ابْنَ لُؤَى قَدْ نَزَلَا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيدِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ ، وَهُمْ مِقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ

عَنِ الْبَيْتِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْى لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلَ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنَا

مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قَرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةَ

(١) جَاشَ : فَارَ (٢) صَدُرُوا : رَجَعُوا .

(٣) الْمِجَّ : أَنْ تَدْخُلَ الْبُرْقُومُ الدَّلُولَةَ مَاتَهَا .

(٤) الْعَادِيَةُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَمَجِدُونَ أَى يَمْرَعُونَ الْعَدُوَّ .

(٥) عَيْبَةُ نَصْحٍ ، أَى أَنَّهُمْ مَوْضِعُ نَصْحٍ .

(٦) أَعْدَادٌ : جَمْعُ عَدُوٍّ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي لَا يَقْطَعُ لَهُ . وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْكَثْرَةِ فِي الشَّيْءِ .

(٧) مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةً : جَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَدَّةَ تَرَكِ الْحَرْبِ فِيهَا .

ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جءوا^(١)، فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي، أو ليُنْفَذَتَ اللهُ أمره . قال بُدَيْلٌ : سنبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا في أن نتحدثنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم : هاتِ كما سمعته يقول؛ قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم : إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت . فأنهموه وجبهوه وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مَكْرَزَ بنِ حفص بن الأخيْفِ أخا بني عامر ابن لؤي، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر . وفي رواية : « فاجر » . فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ما قال بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة أو ابن زَبَّان^(٤)، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله^(٨) رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً

(١) جءوا : استراحوا . (٢) جهوه : لقوه بما يكره .

(٣) لذا في ج . وفي أ : « ولا يتحدث بذلك العرب عنا » .

(٤) كذا في ابن هشام، والطبري . وفي الأصل : « ابن ريان » .

(٥) في حاشية ج : « التاله : التعب؛ قال رؤبة : ضحك واستهزأ من تألحي » .

(٦) في أ : « سال » . (٧) أو باره : جمع وبر وهو صوف الإبل . وفي أ : « أو تاره » .

(٨) محل الهدى : الموضع أو الوقت الذي يحل فيه نحره .

٥

١٠

١٥

٢٠

لمأ رأى ، فقال لهم ذلك ؛ فقالوا له : يا حُلَيْس ، إنما أنت أعرابي لا علم لك ؛ فقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أَيْصَدَّ عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟ والذي نفس الحُلَيْس بيده لَتُخَلَّنَ بين مجد وبين ما جاء له ، أو لَأَنْفَرَتَ بالأحابيش نفرة رجل واحد ؛ فقالوا له : مَهْ ، كف عنا يا حُلَيْس ، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ؛ قال : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْوَةَ بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى مجد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرقتم أنكم والد وأنى ولد — وكان عُرْوَةَ لِسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أَوْشَابَ النَّاسِ ثم جئت بهم إلى بَيْضَتِكَ لتفضها بهم؟ يا محمد ، رأيت إن استأصابت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يباهدون الله لا تدخلها عليهم عَنَوَةٌ [أبدأ] وإني لأرى وجوها وأوشاباً من الناس خَلِيقًا أن يفترخوا ويدعوك ، وإيم الله ، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غدا عنك . وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال لعُرْوَةَ : امصصْ بظُرِّ اللات ^(١) ، أنحن ننكشف عنه ؟ — واللوات طاغية ثقيف التي كانوا

(١) في حاشية : « أَوْشَاب : أى أخلاط من الناس . وأوشاب : مثل أرباش » .

(٢) بيضتك : أصلك وعشيرتك . (٣) ساقطة من أ .

(٤) في الأصول : « خلقا » ، والتصويب من المواهب .

(٥) أقام أبو بكر رضى الله عنه مبعود عُرْوَةَ ، وهو صنه اللوات مقام أمه ، لأن عادة العرب الشتم

بذلك بلفظ الأم ، فأبدله الصديق باللات ، فنزله منزلة امرأة تحقيرا لمبعوده . وفي أ : « بضر اللوات » .

يعبدونها - فقال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي حُفَافَةَ ؛ قال : أما والله لولا
 يد^(١) كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمُغَيَّرَةُ بن شُعبَةَ واقف على رأس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفُف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل ألا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفضك وما أغلظك ! قال :
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : "هذا
 ابن أخيك المُغَيَّرَةُ بن شُعبَةَ" قال : أى غُدْرَ ، وهل غسلت سواك إلا بالأمس ؟ -
 وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف^(٢) ،
 صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "أما الإسلام فقد قبلناه ، وأما المال فإنه مال غُدْرَ ، ولا حاجة لنا فيه" . قال : ولما
 قتلهم المغيرة تهايج الحيان من ثقيف : رهط القتلى ورهط المغيرة ، فودى عروة
 المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر ، فلذلك قال للمغيرة ما قال -
 قال : ثم كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو ما كلم به أصحابه ، فقام
 من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ
 إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بَصَاقًا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره
 شيء إلا أخذوه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحَدِّثُونَ النظر إليه تعظيماً^(٤)

(١) كان عروة قد تحمل بديه فأعانه فيها أبو بكر بمشرفلائص ، وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث .

(٢) في - : « ما أفضك وأغلظك » .

(٣) كذا في - . وفي ١ : « بنى مالك بن ثقيف » .

(٤) يحذرون : يحذرون .

- له . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، والله لقد وفدتُ على الملوك ؛ وفدت على قيصر في ملكه ، وكسرى في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكا في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب عهد عدا ، والله إن تخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تواضوا كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يجحدون النظر إليه تعظيما له ، ولقد رأيت قوما لا يُسلمونه لشيء أبدا ، فرؤوا رأيكم . وفي رواية قال : وإنه قد عرض عليكم خطة رُشد فاقبلوها .

- قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير . يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له ، فعقروا الجمال وأرادوا قتل خراش ، فنتعته الأحابيش ، فغفلوا سبيله . قال : وبعث قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يطيفوا بمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم ، وخطى سبيلهم ، وكانوا رموا في العسكر بالمجازة والنبل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أبي سفيان ابن حرب وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا

(١) في أ : « ملكا قط في قومه » .

البيت ومعظم حرمة . فخرج حتى أتى مكة ، فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتسبته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا نبرح حتى نناجز القوم " . ودعا الناس إلى البيعة .

ذكر بيعة الرضوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، قال الثعلبي^(١) : وكانت سُمرة . قال : وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال : " لا نبرح حتى نناجز القوم " ؛ ودعا الناس إلى البيعة ، قال : فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وقال عبد الله ابن مَعْقَل : كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم ويدي غصن من السُمرة أذب عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ألا يفترؤا . قال جابر بن عبد الله : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَد بن قيس أخو بني سلمة ، لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته ، مستترا بها عن الناس .

وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له : [أبو] سِنان ابن وهب . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل . واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان ، وهو مبنئ على الاختلاف في عدد

(١) السُمرة : شجرة الطلع . (٢) ساقطة من أ ، وفي اسمه خلاف ، وانظر أسد الغابة : ٥ : ٢٣١

أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم ، لم يتخلف منهم إلا الجَدَّ بن قيس ، قالوا :
ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه
على الأخرى . روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ،
فسأله عن عثمان رضى الله عنه ، أكان شهد بدرا ؟ قال : لا ؛ قال : أكان شهيد
بيعة الرضوان ؟ قال : لا ؛ قال : فكان من الذين تولَّوا يومَ ألتقى أجمعان ؟ قال :
نعم . قال : فانطلق الرجل ؛ فقبل لعبد الله بن عمر : إن هذا يرى أنك قد عبته ،
قال : على به ؛ فأتى به فقال : أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب
له بسهمه [وأجره] ؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان ، وأما الذين تولَّوا يوم ألتقى
الجمعان فقد عفا الله عنهم ، فاجهد على جهْدك .

وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ
قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِيمًا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال
الكلبي : معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة . وقال ابن كيسان :
قوة الله ونُصْرَتُهُ فَوْقَ قُوَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ . ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فِيمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة . وقوله
تعالى فِي السُّورَةِ أَيْضًا : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الصدق والوفاء ﴿ فَأَنْزَلَ السُّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .
قيل : فتح خيبر ؛ روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة " .

(١) ساقطة من أ .

(٢) اجهد جهدك ، أى ابلغ غايتك .

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال : ثم بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو
أخا بني عامر بن لؤي ، فقالوا : لبيتِ هذا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن
يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : "قد سهل أمركم ، القوم مأتون إليكم بأرحامهم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا
المهدي وأظهروا التلبية ، لعل ذلك يُلين قلوبهم" . فلبسوا من نواحي العسكر حتى
ارتجت أصواتهم بالتلبية ، قال : واتبى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتكلم فأطال ، وتراجعا ، ثم جرى الصلح بينهما ، فلما التأم الأمر
ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي بكر الصديق
رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ؟ قال :
بلى ؛ قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا المشركين ؟ قال :
بلى ؛ قال : فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ،
وليس نعصى رأيه ، فاستمسك بفرزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ؛ قال عمر :
أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت نطوف به ؟ قال : بلى ؛ فأخبرك أنك تأتية^(٤)
العام ؟ قال : لا ؛ قال : فإنك آتية ومطوف به . قال : ثم جاء عمر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : ألسنت رسول الله ؟ قال : "بلى" ؛ قال : ألسنا على الحق

(١) الدنية : الخصلة الخسيسة .

(٢) كذا في ١ ، ٢ ، ٣ . وفي الكشف والبيان : « ليس يعصى ربه » .

(٣) فاستمسك بفرزه : أى تمسك بأمره فلا تخالفه ، كالأذى يتمسك بركاب الراكب . والغرز للإبل

بمنزلة الركاب للفرس .

(٤) كذا في ١ ، ٢ ، ٣ . « أنه يأتية » .

وعدونا على الباطل؟ قال : "بلى"؛ قال : فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري" . وفي رواية قال : "إني عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني" . قال عمر : ألسنتي تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : "بلى ، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟" قال عمر : لا؛ قال : "فإنك آتية ومطوف به" . قال عمر : والله ما شككت منذ أسلمت^(١) إلا يومئذ ، فما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت [يومئذ] مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيرا . قالوا :^(٢) ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم"؛ فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم [كما كنت تكتب ، قال المسلمون : لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اكتب : باسمك اللهم"^(٣)] فكتبها ، ثم قال : "اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو" . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله إني لرسول الله وإن كذبتموني"؛ ثم قال لعلي : "أضح رسول الله" . فقال : والله لا أحموك أبدا . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يحسن يكتب فحاه؛ ثم قال : "اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن

(١) ساقطة من أ .

(٢) في أ : « قال » .

(٣) ما بين العلاتين ساقط من أ .

بعض ، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجًا أو معتمرا أو يتنغي من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله ، ومن قدم المدينة من قریش مجتازا إلى مصر أو الشام ، يتنغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه . فاشتد ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ جَاءَهُمْ مِنَّا فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ وَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ عِلْمَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ مِنْ قَلْبِهِ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا “ . وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد عهد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قریش وعهدهم دخل فيه . فتوالت نزاعة فقالوا : نحن في عقد عهد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قریش وعهدهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت [فتطوف به .] “ فقال سهيل : والله لا يتحدث العرب أنك أخذتنا ضغطة ، ولكن لك ذلك من العام المقبل ؛ فكتب : وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل نخرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك ، فأقت بها ثلاثا ، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القرب ، وسلاح الراكب ، وعلى أن هذا الهدى حيثما حبسناه محله ، لا تقدمه علينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” نحن نسوقه وأتم تردون وجوهه “ ! قال : فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ،

(١) عيبة مكفوفة ، أى أمورا مطوية في صدور سليمة ، إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم

من أسباب الحرب وغيرها . (٢) لا إسلال ولا إغلال ، أى لا سرقة ولا خيانة .

(٣) ساقطة من أ . (٤) الضغطة : الإكراه والشدة .

- وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه ، وقال : يا مجد ، قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتك هذا ، وهذا أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا ؛ ثم جعل يمجّزه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يا أبا جندل ، احسب ، فإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحنا ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا نعدّر “ . قال : فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب — ويدنى قائم السيف منه — قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه .

- قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، وزادهم أمرُ أبي جندل شراً إلى ما بهم ، قالوا : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبا بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة أخا^(١) بنى عبد الأشهل ، وميكرز بن حفص بن الأخيف ، وهو مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة . قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه

٨٥
١٥

(١) في ١ : « محمود بن أبي سلمة » .

وسلم من قضيته سار مع الهدى ، وسار الناس ، فلما كان الهدى دون الجبال التي
تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون ، فردوا وجوهه ، فوقف النبي صلى الله
عليه وسلم حيث حبسوه ، وهى الحديدية ، وقال لأصحابه : ” قوموا فانحروا ،
ثم اهلقوا“ . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما
لم يبق منهم أحد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة ، فذكر لها
ما لى من الناس ؛ فقالت له أم سلمة رضى الله عنها : يا نبي الله ، اخرج ولا تكلم
منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حلاقك فيحلقك . فقام صلى الله عليه
وسلم فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حلاقه فحلقه ، وكان الذى
حلقه ذلك اليوم حراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس ذلك قاموا
فانحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمما . قال عبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : حلق رجال يوم الحديدية وقصر
آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يرحم الله المحلقين“ . قالوا :
يا رسول الله ، والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المحلقين“ ؛ قالوا : يا رسول الله ،
والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المحلقين“ ؛ قالوا : يا رسول الله ، والمقصرين ؟
[قال : ” يرحم الله المقصرين“] قالوا : يا رسول الله ، فأيم ظاهرت الترحم على
المحلقين دون المقصرين ؟ قال : ” لأنهم لم يشكوا“ . قال ابن عمر : وذلك أنه تربص
قوم قالوا : لعلنا نطوف بالبيت .

(١) فى ١ : « بعضهم » .

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ١ .

ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ونزول سورة الفتح

قال الزهري : وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

- روى قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حيل بيننا وبين نُسُكنا ، فتحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الآية كلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا كلها " . وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلاً ، فسأله [عمر ^(١)] عن شيء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، قال عمر رضى الله عنه : فخرت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل في قرآن ، فبئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأمت عليه ، فقال : " لقد أنزلت على الليلة آية هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس " . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقد اختلف في الفتح ، ما هو ؟ فقال قتادة عن أنس : فتح مكة ، وقال مجاهد والعمري : فتح خيبر ، وقال آخرون : فتح الحديبية ، ويدل عليه ما روى عن جُمع بن جارية الأنصاري ، — وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن — قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزؤون ^(٢) الأباغر ، فقال بعض الناس لبعض : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجنا نُوجِف ^(٣) ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ساقطة من أ . (٢) في القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩ : « سورة ٥٥ » .

(٣) يهزون الأباغر : ينشطونها بالهداء . لتخف وتسرع في سيرها .

(٤) الإيجاف : سرعة السير .

واقفا على راحلته عند كراع النعميم^(١) ، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم، والذي نفسى بيده إنه لفتح". وقال الشعبي رحمه الله: فتح الحديدية، غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدى محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن حيان: يسرنا لك يسرا بينا. وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلا واحد؛ فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديدية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أى قضينا لك قضاء بيننا (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) فنسخت هذه الآية تلك. قال سفيان الثوري: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فى الجاهلية (وَمَا تَأَخَّرَ) كل شىء لم يعمله. وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسانى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ يعنى ذنب أبويك آدم وحواء ببركك (وَمَا تَأَخَّرَ) ذنوب أمك بدعوتك. وقال الزبائدي: أى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) أى بالنبوة والحكمة (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أى ويثبتك عليه، وقيل: يهدى بك، (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا) غالباً، وقيل: معزاً.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، قال الثعلبي: أى الرحمة والطمأنينة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: بعث الله عز وجل نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم

(١) كراع النعميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة. (٢) فى ١: «البلغ».

الصلاة، [فلما صدَّقوه زادهم الزكاة]، فلما صدَّقوه زادهم الصيام، فلما صدَّقوه زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، ثم أكل لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: (لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) أى تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان . وقال الضحَّاك : يقينا مع يقينهم . وقال الكلبي : هذا فى أمر الحديدية . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على الناس قوله : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) قالوا : هنيئاً مريئاً يا رسول الله ، قد بين الله ما يفعل بك ، فما يفعل بنا ؟ فأنزل الله تعالى : (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) ثم قال تعالى (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) إن لم يُنصر محمد والمؤمنون (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بالذلل والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) إلى قوله : (وَتَسْبُحُوهُ بُكُورًا وَأَصِيلًا) ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة ، وقد تقدمت .

ثم قال تعالى : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّتْمِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) قال ابن عباس ومجاهد : يعنى أعراب غفار ومزينة وجهبينة وأشجع وأسلم والدليل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديدية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ، ليخرجوا معه حذرا من قريش

(١) ما بين الملائين ساقط من أ .

أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً ، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل ، فأنزله الله تعالى : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ) ، الآية . أى إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك (شَغَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم ، وأخبر عن أسرارهم وإضمارهم ، فقال : « يَقُولُونَ يَا لَيْسَتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

قوله تعالى : (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) وذلك أنهم قالوا : إن مجداً وأصحابه أكلة رأس ، فلا يرجعون ، فإن تذهبون ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم . (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) أى هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشيء من الخير . قل تعالى : (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) .

قوله تعالى : (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِنَاخِذُهَا ذُرُوعًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : (الْمُخَلَّفُونَ) أى عن الحديبية (إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ) يعنى غنائم خيبر (ذُرُوعًا تَتَّبِعُكُمْ) أى إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة ، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً . وقال ابن زيد :

هو قوله عز وجل : (فَإِن رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلخُرُوجِ قُلْنَا لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) قال : والأول أصوب ، لأن قوله تعالى : (لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا) نزلت في غزوة تبوك . قال : (كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب : (فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا) أى أن نصيب معكم من الغنائم .

قوله تعالى : (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أَوْ يُبَدِّلُونَ) ، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلي ومجاهد : هم فارس . وقال كعب الأحبار : الروم . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : هوازن . وقال سعيد بن جبير : هوازن وثقيف . وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين . وقال الزهري ومقاتل : بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب . وقال رافع بن خديج : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى : (سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أَوْ يُبَدِّلُونَ) ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة فعملنا أنهم هم .

قوله تعالى : (فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمارة : فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل : (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) يعنى عن التخلف عن الجهاد والقيود عن الغزو (وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) يعنى فى ذلك (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) .

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، وقد تقدم ذكر ذلك آنفا . ثم قال تعالى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَامِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ . وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ يعنى خيبر . وسند ذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر . ثم قال تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ^(١) قال : معناه ووعدهم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم . واختلفوا فيها ، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى لى والحسن ومقاتل : هى فارس والروم ، وقال الضحاک وابن زيد وابن إسحاق : هى خيبر ، وعددها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها . وهى رواية عطية وبازان عن ابن عباس . وقال قتادة : هى مكة . وقال مجاهد : ما فتحوا حتى اليوم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ، قال : يعنى أسدا وغطفان وأهل خيبر . وقال قتادة : يعنى كفار قريش ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ؛ واختلفوا فى هؤلاء ، فقال أنس : إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التعميم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوه ، فأخذهم

(١) فى - : « معناه أى ووعدهم » .

(٢) التعميم : موضع بمكة فى الحل بين مكة ومرف .

٥

١٠

١٥

٢٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما فأعتقهم ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال
عكرمة عن ابن عباس : إن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ،
وأمرهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد قدمنا ذكرهم .
وقال عبد الله بن مغفل : كما مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة ،

٨٨
١٥

- ٥ وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة ، فرفعته عن ظهره ، وعلى بن أبي طالب
رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو ، نخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله عز وجل الآية . وقيل : غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- ١٠ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُورًا
أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ ﴾ الآية . وهى قصة الحديبية وقد تقدم شرحها . وقوله تعالى :
﴿ وَأُولَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ
يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ،
قال : قوله : ﴿ أَنْ تَطَّوَّهُمْ ﴾ أى تقتلوهم ﴿ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، قال
ابن زيد : إثم . وقال ابن إسحاق : عُرم الدية . وقيل : الكفارة ، لأن الله عز وجل
إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله
لإيمانه الكفارة دون الدية . وقيل : هو أن المشركين يعيرونكم ويقولون : قتلوا
أهل دينهم . والمعزة المشقة ، وأصلها من العز وهو الجرب . قال : فلولا ذلك لأذن
لكم في دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك . ﴿ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾

- ٢٠ (١) سلما : قال ابن الأثير : « يروى بكسر السين وفتحها ، وهما لفتان للصلح » . وقال الخطابي :

« إنه السلم بفتح السين واللام ، يريد الاستسلام والإذعان » .

أى فى دىن الإسلام « مَنْ يَسْأُ » من أهل مكة قىل أن تدخلوها . قال : وقال بعض العلماء : قوله « لَعَذْبَتَا » جواب لكلامىن أحدهما « وَلَوْلَا رِجَالُ » والثانى « لَوْ تَزَيَّلُوا » أى تَمَيَّزُوا . وقال قتادة فى قوله : « لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » أى أن الله يدفع بالمؤمنىن عن الكفار كما دفع بالمستضعفىن عن المؤمنىن عن مشركى مكة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذْبَتَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » قال : « هم المشركون من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بعدهم فى عصره ، كان فى أصلابهم المؤمنون ، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرىن لعذب الله الكافرىن عذابا أليما » .

قوله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) ، قال ابن إسحاق : يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وأن محمدا رسول الله . (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا) ، قال : كلمة التقوى يعنى الإخلاص ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » : « لا إله إلا الله » . وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مضرف والربيع والسدى وابن زيد . وقال عطاء الخراسانى : هى لا إله إلا الله محمدا رسول الله . وعن على رضى الله عنه قال : كلمة التقوى : لا إله إلا الله والله أكبر ، وهو قول ابن عمر . وقال عطاء بن أبى رباح : هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وعن الزهري : كلمة التقوى هي
بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا بِفَعَلَلِ مِنْ
دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ ، قال : الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه
• يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام . قوله : « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أي أن الصلاح
كان في الصلح . « بِفَعَلَلِ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا » قيل : صلح الحديبية .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي أنك نبي صادق فيما تنبئ .

- ١٠ ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَنُصِّبَهُمُ الْإِنْجِيلَ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّרْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . قال الثعلبي رحمه الله تعالى : قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ
١٥ الله » تم الكلام هاهنا ، يعني الكلام الأول ، ثم قال مبتدئا : « وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ » أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رافة . « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » أي متعاطفون
متوادون بعضهم على بعض . « يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ » أي يدخلهم جنته .
« وَرِضْوَانًا » يرضى عنهم . « سِيَاهُمْ » علامتهم . « فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ »
واختلف العلماء في هذه السياه ، فقال قوم : هو نور وبياض في وجوههم يوم

القيامة ، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا ؛ وهى رواية العوفى عن ابن عباس . وقال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا . وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون : هو السمّت الحسن والخشوع والتواضع . وقال منصور : سألت مجاهدا عن قوله تعالى : « سَيَأْتُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ » أهو الأثر يكون بين عيني الرجل ؟ قل : لا ، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكْبَةِ البعير ، وهو أقسى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع . وقال ابن جرير : هو الوقار والبهاء . وقال شمر بن عطية : هو التبيح وُصفرة الوجه وأثر السهر . وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى ، وما هم بمرضى . وقال عكرمة وسعيد بن جبيرة : هو أثر التراب في جباههم . وقال عطية الخراساني : دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ » أى ذلك الذى ذكرت « مَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي التَّوْرَةِ » قال : وها هنا تم الكلام . ثم قال : « وَمَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَتْرَجَ شَطَاءٌ » ؛ قال أنس : « شَطَاءٌ » نباته . وقال ابن عباس : سنبله . وقال مجاهد والضحاك : ما يخرج تحت الحِقْلَةِ فينمو ويتم . وقال مقاتل : هو نبت واحد ، فإذا خرج ما بعده فقد شَطَاءه . وقال السدى : هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى . وقال الفراء : الأَشْطَاءُ : الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا . وقال الأَخْفَشُ : فراخه ، يقال : أَشْطَأَ الزرع فهو مشطى إذا فَرَّخَ ، قال الشاعر :

أخرج الشطء على وجه الثرى * ومن الأشجار أفنان الثرى

قال : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب عهد صلى الله عليه وسلم ، يعنى أنهم كانوا يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون . قال قتادة : مثل أصحاب

(١) الحِقْلَةُ ، بالفتح والكسر : ما يبقى من الماء الصافي في الحوض .

- محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر. «فَأَزْرُهُ» قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَزْرَهُ. «فَأَسْتَغْلَظُ»، فغَلِظَ وَقَوَى. «فَأَسْتَوَى» تم وتلاحق نباته وقام. «عَلَى سُوْقِهِ» أصوله. «يُعِجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» يعنى أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ليغيط بهم الكفار. قال الثعالبي بسند يرفعه إلى الحسن في قوله عز وجل: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» قال: محمد رسول الله. وَالَّذِينَ مَعَهُ، أبو بكر. «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» عمر بن الخطاب. «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» عثمان بن عفان. «تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا» على بن أبى طالب. «يَتَنَفَّسُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. «سَيِّئُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»، قال: هم المشركون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» قال: نعمتهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال: الزرع: محمد صلى الله عليه وسلم. «أَخْرَجَ شَطَاةً» أبو بكر الصديق. «فَأَزْرُهُ» عمر بن الخطاب. «فَأَسْتَغْلَظُ» عثمان، يعنى استغلظ عثمان للإسلام. «فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ» على بن أبى طالب، يعنى استقام الإسلام بسيفه. «يُعِجِبُ الزَّرْعَ» قال: المؤمنون. «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد الله سِوَا بعد اليوم. رضوان الله عليهم أجمعين.

ذَكَرُ خَبْرَ أَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ وَانضمَّ إِلَيْهِ

قد اختلف في اسمه، فقيل: عبيد بن أسيد بن جارية. وقال ابن إسحاق: عتبة بن أسيد بن جارية. وعن أبي معشر قال: اسمه عتبة بن أسيد بن جارية بن

أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف ابن منبه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة. وخبره وإن لم يكن داخلا في جملة الغزوات والسرايا فليس هو منافيا لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضوع لتعلقه بغزوة الحديدية، ولأن رده كان من شروط الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد ابن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلت رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له : أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفى من المشركين، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حبس بمكة ، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثنا رجلا من بنى عامر بن لؤى ، ومعه مولى لهم ، ويقال : كانا من بنى منقذ ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم ، اسمه جشم بن جابر، وكان ذا جلد ورأى في أنفس المشركين ، وجعل لها الأخنس في طاب أبي بصير جعلنا ، فقدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك " . فقال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : " انطلق ، فإن الله سيجعل لك فرجا

- ومخرجا“، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الحليفة^(١) سلّ بحمش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف بحمش بفيه، وهو نائم، فقطع به إيساره، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر بجمز مذعورا^(٢)
- مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: “لقد رأي هذا دُغرا“؛ فأقبل واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: “ويحك! مالك؟“ فقال: قتل صاحبكم صاحبى. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وَفَتِ ذَمُّتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَدَى اللَّهُ عَنْكَ، دَفَعْتَنِي إِلَيْهِمَا فَتَعَرَفْتَ أَنَّهُمْ سَيَعَذِّبُونَنِي وَيَفْتَنُونَنِي عَن دِينِي، فَتَقَلَّتِ الْمُنْقَذَى، وَأَفَلَنْتِي هَذَا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “ويلُ أُمَّه مِسعِر حرب لو كان معه رجال!“، وجاء أبو بصير بسلبه فقال: نحس يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إني إن نَحَسْتَهُ لَمْ أَوْفِ لَهُمْ بِالَّذِي عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ شَأْنُكَ بِسَلْبِ صَاحِبِكَ، وَازْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ“. فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قد هوا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قریش مما يلي سيف البحر، لا تمر

(١) ذو الحليفة: قرية بنها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة.

(٢) جمز: عدا وأسرع.

(٣) مسعر الحرب: موقدها، يقال: رجل مسعر حرب إذا كان يؤرثها، أى تحمى به الحرب؛

يتعجب النبي من شجاعته وجرأته وإقدامه.

بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو - واسم أبي جندل العاص بن سهيل^(١) على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راجعا أساءوا ، فلحقوا بأبي بصير حين بلغهم^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ويل أمة مسعر حرب لو كان معه رجال» ، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام . وكان أبو بصير يصلي لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم ، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس ، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، وهم مسدون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وقال أبو جندل في ذلك :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل * أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم * بالبيض فيها والقنا الذبيل^(٣)
يأبون أن تسبق لهم رفة * من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه * أو يقتل المرء ولم يأتل^(٤)

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم إلا آواهم ، وقالوا : لا حاجة لنا بهم . قال البيهقي : وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه غير نرج أنت فيه ، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح لإقراره . فلما كان ذلك من أمرهم ، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع

(١) في أ : « سهيل » تصحيف . (٢) في أ : « حتى » .
(٣) الذبيل : الدقيقة اللاصقة القشر . (٤) لم يأتل : لم يقصر .
(٥) في ج : « بأرحامها » .

أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا . وحكى البيهقي : أن هؤلاء هم الذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه ، فلما بانهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص ، وردوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العقال ، وقد تقدم خبر أبي العاص ، وقيل : إنما أخذ في غير هذه السرية . والله أعلم .

قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدما عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم ، ولا يعترضوا لأحد مرّ بهم من قريش وعيراتهم . فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وأبي بصير ، وأبو بصير قد أشرف على الموت ، فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهلهم ، وأمنت عيرات قريش .

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد : غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجرة . وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : في المحرم من السنة . وخير على ثمانية بُرد من المدينة .

قالوا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر ، وأجلب

من حوله يريدون الغزاة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يخرجن معنا

(١) يقال : أجلب القوم إذا صاحوا واختلطت أصواتهم .

إلا راغب في الجهاد“، وشق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق: استخلف ثُمَيْلَة بن عبد الله الليثي؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال في مسيره لعاصم بن الأكواع—وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكواع، واسم الأكواع سنان—: “انزل يا بن الأكواع، نخذ لنا من هنالك“، فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

واللهِ اولا اللهُ ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بقوا علينا * وإن أرادوا فتنة أينا

فانزلن سَكِينَةً علينا * سَوَّيْتِ الأقدام إن لاقينا^(٢)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: “يرحمك ربك“. ومن رواية البيهقي: “غفر لك ربك“. قال: وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استشهد. قال ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجبت والله يا رسول الله، أو متعتنا بعاصم؛ فقتل يوم خيبر شهيدا، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكله كلما شهيدا فمات.

(١) هنالك: أي من أخبارك وأمورك وأشعارك.

(٢) ذكر هذا الرجز في شرح الزرقاني بأسلوب يخلف عما ذكر هنا في ألفاظه وأياته. ونقل عن كتاب الفتح: «أكثر هذا الرجز تقدم في الجهاد عن البراء، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعاصم تواردا على ما تواردا عليه؛ بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة» ج ٠ ص ٢٦٢ من شرح المواهب اللدنية.

قال : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر^(١) فبنى له فيه مسجداً ، ثم على الصبأ ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له : الرجيع ،^(٢) فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة^(٤) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، وظنوا أن التوم قد خالفتوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

قال : ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه : "قفوا" فوقفوا ، ثم قال : "اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدمو باسم الله" . قال : ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، وأصبحوا وأفئدتهم تحفق ، وفتحوا حصونهم ، وغدوا إلى أعمالهم ، معهم المساحي ، والكرازن^(٥) — وهي الفئوس — والمكاتب — وهي الزناجيل — فلما نظروا إلى

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع ورواه بعضهم بالتحريك ، (وانظر ياقوت) .

(٢) في ج : « فيها » .

(٣) الصبأ : موضع قرب خيبر .

(٤) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

(٥) المساحي : جمع مسعاة ، وهي المحرقة من الحديد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ^(١) مجد والخميس — يعنون الجيش — فوالوا هارين
إلى حصونهم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الله أكبر ، خربت خير ،
إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» ، ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس ، وفزق فيهم الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خير ، إنما كانت الألوية ^(٢) ،
فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها تدعى العُقاب ، ولوأژه أبيض ، ودفعه إلى علي بن أبي طالب ،
وراية إلى الحُباب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عبادة ؛ وكان شعارهم : «يامنصور
أيت» ، وكانت حصون خير حصونا ذوات عدد ، منها النطاة ، وحصن الصعب
ابن مُعاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزبير ^(٣) ، هذه حصون النطاة . والشق وبه
حصون منها : حصن أبي ، وحصن التزار . وحصون الكتبية منها : القموص ،
والوطيح ، وسُلام . وسند كره إن شاء الله فتحها حصنا حصنا . قال : وخرج مُرحب
اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه وهو يقول :

قد علمت خير أئني مَرَحِبٌ * شاكي السلاح بطلٌ مَجْرِبٌ ^(٤)
أطعن أحيانا وحيناً أُضرب * إذا الليوثُ أقبلت مَحْرِبٌ ^(٥)

* إن حمى للحمى لا يُقرب *

- (١) سمى الجيش خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمة ، والساقة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب .
(٢) قال في الصباح : «لواء الجيش عليه : وهودون الزاية» .
(٣) في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٧٣ ما يأتي : «مفاد عطف المصنف ما ذكر على النطاة
— تبعا لمخلطاي — أن النطاة أهم حصن مغار لما بعده ، والشامى جعل النطاة أسما لحصن ناعم والصعب
والزبير ، فإن وفقت بينهما فقد ربد النطاة : وحصونها ثلاثة» .
(٤) شاكي السلاح : يريد حاذ السلاح .
(٥) تحرب : تقضب .

ثم يقول : هل من مبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى كعبُ * مفرجُ الغمِّ جرىءٌ صلبُ
 إذ شبت الحربُ تليها الحربُ * معى حسامُ كالعقيقِ غضبُ^(١)
 نطاكمُ حتى يذال الصعبُ^(٢) * تعطى الجزاءُ أوفىءُ النهبِ^(٣)
 * بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتبُ^(٤) *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لهذا ؟ " فقال محمد بن مسامة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أحمى بالأمس ؛ قال : " فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . " فخرج إليه حتى دنا منه ، فحمل مرحب عليه فضربه ، فأتقاه بالدرقة ، فأمسكت سيفه ، وضربه محمد بن مسامة فقتله . وقد روى أن الذى قتل مرحبا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونهض من نهض معه من الناس ، فلقوا أهل خيبر ، فأنكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمع أصحابه ويحببهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذته الشقيقة^(٥) فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الأول ، ثم رجع ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : " أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة . " وفي رواية قال : " يفتح الله على

(١) قال أبو ذر الحنظلي : « العقيق هنا جمع عقيقة ، وهى شراع البرق شبه السيف به »

شرح السيرة ٣٤٦ . غضب : فاطم . (٢) فى ابن هشام : « يذال » . (٣) الجزاء : جمع جزية . النهب : ما انتهب من الأموال . (٤) ليس فيه عتب : أى ليس فيه ما يلام عليه .

(٥) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه .

يديه". فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين على بن أبي طالب؟" فقالوا: هو يا رسول الله يشكي عينيه؛ قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه سلمة بن الأكوع فدعاه، فجاء على بعيره حتى أناخ قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أرمد، قد عصب عينيه بشقة برد قطري^(١)، قال سلمة: جئت به أفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مالك؟" قال: رمدت؛ فقال: "أدن مني" فدنا منه ففعل في عينيه، ودعاه فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، وما وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية وقال: "امض حتى يفتح الله عليك" قال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم" روى هذا الحديث أو نحوه أهل الصحة. ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض على بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء، وقد أخرج نملها، فأنى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مخفر معصفر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحيناً أضرب * إذا الحروب أقبلت تلهب
* كأن حماي كالحمي لا يقرب *

(١) القطري: نوع من البرود ينسب إلى قرية يقال لها قطر، وهي بين عمان والعقير.

(٢) أنفذ على رسلك: أي امض على هينك.

(٣) الخمل: هذب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول.

فبرز له علي بن أبي طالب فقال :^(١)

أنا الذي ستمتني أمي حيندره * كليث غاباتٍ شديدٍ قسورة^(٣)
* أَيْكَلِكُم بالسيف كيل السندره^(٤) *

فاختلفا ضربتين، فبدره علي رضي الله عنه فضربه ، فقدّ الحجر والمغفر وقلق

رأسه ، حتى أخذ السيف في الأضراس . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبرُ أني ياسرُ * شاي السّلاح بطل مغاور^(٥)
إذا الليوثُ أقبلت تُبادرُ * إن حمى فيه موتٌ حاضرُ

وهو يقول : هل من مبارز؟ نخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أني زبارُ * قسرم لقوم غير نكيس فزار^(٦)
أين حماة المجد؟ أين الأخيار؟ * ياسرُ، لا يفرك جمع الكفار^(٨)
* بجمعهم مثل السراب الختار^(٩) *

فقال أمه صفية بنت عبد المطلب : أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال : "بل ابنك

يقتله إن شاء الله" ثم التقيا، فقتله الزبير . ومن رواية أخرى عن سلمة قال : نخرج

- ١٥ (١) في ج : « على عليه السلام » . (٢) الحيدرة في الأصل : الأسد . وقال ابن الأعرابي : « الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس » . (٣) القسورة : العزيز يقتسر غيره ، أي يقهره . (٤) السندرة : ميكال كبير . (٥) مغاور : مقاتل كثير النار . (٦) القرم هنا : السيد . (٧) الكس : الضعيف . (٨) كذا في ج . وفي أ : « ابن حماة المجدان الأخيار » . وفي الطبري : « ابن حماة المجد وابن الأخيار » . (٩) الختار : الخداع .
- ٢٠

على رضى الله عنه يهرول هرولة وأنا لخلقه تتبع أثره، حتى ركز رأيته في رَضْمِ حجارة
تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال :
أنا على بن أبى طالب ؛ فقال اليهودى : علوتم وما أنزل الله على موسى . وقال
ابن إسحاق أيضا من رواية أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
خرجنا مع على رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ،
فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضر به رجل من يهود فطرح رأسه
من يده ، فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده
وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى في نفر معى
سبعة ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن تقلب ذلك الباب ، فما نقله .

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما : إن بنى سهم من أسلم أتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا وما بأيدينا من شيء ؛ فلم
يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ؛ فقال : " اللهم إنك قد
عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح
عليهم أعظم حصونها غناء ، وأكثرها طعاما وودكا " ، ففدا الناس ، ففتح الله عليهم
حصن الصعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر منه طعاما وودكا . قال البيهقي :
وافتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن ناعم ، فانتقل من كان من يهود بحصن
مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير ، ويقال : حصن ناعم أول ما افتتح من
حصونهم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه رعى منه فمات . قال : وحصن

(١) في حاشية ١ : « أنا منهم » .

(٢) الودك : الدم .

- (١) الزبير حصن منيع في رأس قلعة، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام، ففأه رجل من اليهود يقال له : فزال؛ فقال : يا أبا القاسم ، تؤمنني على أن أدلك على ما أستريح به من أهل النطاة ، وتخرج إلى أهل الشق؟ فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك ، فأتمته رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودي : إنك لو أقت شهرًا ما بالوا ، لم دُبُول^(٢) تحت الأرض ، يخرجون بالليل فيسرون منها ثم يرجعون إلى قلعهم فيمتنعون منك ، فإذا قطعت مشربهم عليهم أصحروا لك . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُبُولم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ ثمر ، وأصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة ، وأقتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان آخر حصون النطاة؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحوّل إلى أهل الشق ، وبه حصون ، فكان أول حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصن أبي ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان ؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالا شديدا ، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول ؛ فدعا إلى البراز ؛ فبرز له الحباب بن المنذر ، فأخلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن ، فبعه الحباب فقطع عرقوبه ، فوقع ، فدقّف عليه^(٤) ، فخرج آخر فصاح : من يبارز؟ فبرز له رجل

٩٤
١٥

(١) في الأصلين : « في رأس قلعة » والتصويب من دلائل النبوة . وجاء في شرح المواهب اللدنية

ج ٢ ص ٢٧٤ في هذا الحصن : « وكان اسمه حصن قلعة ، لكونه كان على رأس جبل » .

(٢) دبول : جمع دبل ، وهو الجدل .

(٣) أصحروا : برزوا في الصحراء .

(٤) دقّف عليه : أجهز عليه .

من المسلمين من آل جحش ، فقتل الجحشي ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دجانة ، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر ، يخال في مشيته ، فدره أبو دجانة فضربه فقطع رجله ، ثم ذفَّ عليه وأخذ سلبه ؛ درعه وسيفه : فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأجمعوا عن البراز ، فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أبو دجانة الأنصاري ، فوجدوا فيه أئانا ومتاعا وغنا وطعاما ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتفقدوا الجدر كأنهم الظبي إلى حصن التزار ، فلقوه وامتنعوا فيه ، وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشق ريبا بالنبل والحجارة ، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به ، فأخذ النبل بجمعها ، ثم أخذ كفا من حصباء ، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم ، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون ، فأخذوا أهله أخذا ، ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتيبة ، فافتتح القموص ، حصن أبي الحقيق ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بصفيّة بنت حيّ بن أخطب .

قالوا : ولما أفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما أفتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، أتوا إلى حصنهم : الوطيح والسلايم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر أفتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم . قال البيهقي : حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يطلعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلما أيقنوا

(١) المنجنيق : آلة ترى بها الحجارة .

- بالهلكة سألوا الصلح ، وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أنزل فأكلتكم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” نعم “ ، فنزل كنانة بن الربيع
 ابن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقتن دماء من في حصونهم
 من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، ويخلون بين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء
 والبيضاء والكراع والحلقة^(١) ، وعلى البز إلا ثوبا على ظهر إنسان ؛ فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ” وبرت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تمنيون شيئا “
 فصالحوه على ذلك . وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كثر بنى النضير ، فسأله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فوجد أن يكون يعلم مكانه ، وقال : نفذ في النفقة
 والحروب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” كان أكثر من ذلك “ ، ثم جاء رجل من
 يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني رأيت كنانة يطيف
 بهذه الحربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانة : ” رأيت إن
 وجدناه عندك ، أقتلك ؟ “ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحربة
 فحفرت ، فأخرج منها بعض كتزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤذيه ، فأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به ، فقال : ” عذبه حتى تستأصل ماعنده “ ، فكان
 الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . ويقال :
 كان ذلك بعد فتح حصن القموص ، وقيل فتح الوطيح والسلام .

(١) الصفراء والبيضاء هنا : الذهب والفضة . والكراع : الخيل . والحلقة هنا : السلاح كله .

قال محمد بن إسحاق : ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ؛ ” على أنا إذا شئنا [أن] نخرجكم^(١) أخرجناكم “ ، قال : ولما سمع أهل فدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه أن يُسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويحتلوا له الأموال ، ففعل ؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود أخو بني حارثة ، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف كما عامل أهل خيبر ، فأجابهم إلى ذلك ؛ ” على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم “ ؛ فكانت خيبر فينا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما أفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومن كان يبق بها من المسلمين ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والترمه ، وقال : ” ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ! “ .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر

قالوا : استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلا . من قريش وحلفائهم خمسة نفر ، وهم رِفاعَة بن مَسْرُوح ، من بني أمية بن عبد شمس ، ومن حلفائهم ربيعة بن أكرم بن سبخرة ، وثقف بن عمرو بن سمييط ، ومن حلفاء بني أسد

(١) زيادة عن ابن هشام .

ابن عبد العزى أبو عمير عبد الله بن الهيب - ويقال ابن الهيب - بن أهيب الليثي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلاً، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفصيل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضيَّاح النعمان بن ثابت، والحاتر بن حاطب، ممن شهد بدرًا، وعروة بن مرة بن سُرَاقَة، وأوس بن الفائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن إئيلة، وطلحة، ومبشر، وعمارة بن عقبة، وعامر بن الأكوخ الأسلمي، وكان قد برز له يهودى، فبرز إليه وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى عامرٌ شاكى السلاح بطلٌ معامرٌ

واختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهودى في ثرس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب ركة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوخ: فررت على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بطل عمل عامر؛ فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاخص أبكى، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك؟» قلت: بعض أصحابك؛ قال: «كذب من قاله، بل له أجره مرتين، إنه لجاهدٌ مجاهدٌ».

واستشهد الأسود الراعى - واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر - وكان من حديثه ما حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيراً للرجل من

(١) في أسد الغابة: «أوس بن الفاتك، وقيل: ابن الفائد بالذال؛ وقيل: الفاكه».

(٢) كذا ضبط في الإصابة «بكر الهنزة يسكون المنة».

يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فقال : فإذا لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال : «لك الجنة إن أنت متت على ذلك»، فأسلم وقال : يا رسول الله ، إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أخرجها من عسكرنا ، واحصب وجوهها ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، وسترجع إلى ربها» . ففعل الأسود وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك ، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه ، وبيحى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : «إن معه الآن زوجته من الحور العين» .

وقتل من يهود ثلاثة وأربعون ، منهم : الحارث أبو زينب ، ومرحَب ، وأسير ، وياسر ، وعامر ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وأخوه .

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت ، واستعمل عليها قُرَوة بن عمرو البياضي ، وأمر بذلك بجزئ خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، فكان أول ما خرج سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر ببيع الأربعة أنحاس فيمن يزيد ، فباعها قُرَوة ، وقسم ذلك بين

(١) حصبه : رماه بالحصاء .

(٢) في ابن سعد : « ثلاثة وتسعون » .

أصحابه ؛ وكان الذى ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة رجل ، والخيل مائتى فرس ، فكانت السُّهُمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وكان الخمس الذى صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى منه على ما أراه الله .

- وقال محمد بن إسحاق : كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشَّقِّ ونِظَاةٍ والكُتَيْبَةِ ، فكانت الكُتَيْبَةُ تُحَسَّ الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين أهل فدك بالصلح ، منهم مُحِيصَةُ بن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسَقًا من شعير، وثلاثين وسَقًا من تمر، وكانت الشَّقِّ ونِظَاةٍ في سُهُمان المسلمين ؛ قال : وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِيَّةِ ، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى السَّرِيرِ ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نِظَاةٍ والشَّقِّ ثمانية عشر سهماً ، نِظَاةٍ خمسة أسهم ، والشَّقِّ ثلاثة عشر سهماً ، فقسمت الشَّقِّ ونِظَاةٍ على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ جمع إليه مائة رجل ؛ قال : ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكُتَيْبَةَ — وهو وادى خاص — بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها . وروى بشير بن يسار قال : لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر أخذها عنوة ، فقسمها على ستة وثلاثين سهماً ، فأخذ لنفسه وانوائبه وما ينزل به ثمانية عشر سهماً ، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهماً . والله أعلم .

(١) الوسق : ستون صاعاً ، أرحل بغير .

وروى أبو داود في سُننه بسنده إلى عثبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : "أترضى أن أزوجه فلانة ؟" قال : نعم ؛ وقال للمرأة : "أترضين أن أزوجه فلانا ؟" قالت : نعم . فزوج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ، ولم يفرض لها صداقا ولم يعطها شيئا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهم بخير ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني فلانة ، ولم أفرض لها صداقا ، ولم أعطها شيئا ، وإني أشهدكم أنني أعطيتها من صداقها سهمي بخير . فأخذت سهمها فباعته بمائة ألف .

ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الكُتَيْبَةِ التي خرجت للخمس وما أنطأهم منها

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيْبَةِ — وهو وادي خاص — لفاطمة ابنته رضي الله عنها مائتي وسق ، ولعلي بن أبي طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتي وسق ، وخمسين وسقا نوى ، ولعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مائتي وسق ، ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مائة وسق ، ولعقيل بن أبي طالب مائة وسق ، وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مائة وسق ، وللصلت بن مخزومة وابنيه مائة وسق ؛ للصلت منها أربعون وسقا . وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قاسم بن مخزومة بن المطلب : أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخيه الصلت مائة وسق من خير ، ولأبي نُبُقَةَ خمسين وسقا ، ولرُكَّانَةَ بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولابن القاسم بن مخزومة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق ، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ، ولابن

- أوس بن مخزومة ثلاثين وسقا ، ولمسطح بن أناة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم
 رُمَيْثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبُحينة بنت الحارث ثلاثين
 وسقا ، ولعجبر بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب
 ثلاثين وسقا ، ولجُمَّانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولعبد الله بن الأرقم الزهري
 خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولجُمَّنة بنت جحش ثلاثين
 وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن
 أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طاب أربعين وسقا ، ولأبي نضرة عشرين وسقا ،
 ولثُمَيْلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا ، لابنيه منها
 أربعون وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولماثو بن عبدة ثلاثين
 وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعائة وسق .

١٠

وقال ابن إسحاق أيضا : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه من فتح
 خيبر مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة
 وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللقداد بن الأسود خمسة عشر
 وسقا ، ولأم رُمَيْثة خمسة أوسق .

١٥

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .
 قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل
 خيبر خارصا بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ؛ قال :
 إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .
 ولم يخرص عليهم عبد الله إلا عاما واحدا ومات .

٢٠

(١) كذا في ابن هشام .
 (٢) كذا في الأصلين . وفي ابن هشام : « ولأم حكيم » .
 (٣) خارصا : حازرا ومقدرا .

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عنه ، قال : نحرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق ، وإن اليهود لما خيروهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليمهم عشرون ألف وسق ، ثم نحرص عليهم بعده جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرا ، فوجد في عين قد كسرت عنقه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله ، وجاء أخوه عبدالرحمن بن سهل ، وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكلم عبدالرحمن — وكان أصغرهم ، وهو صاحب الدم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كبر كبر» فسكت ، وتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم بمدهما ، فذكروا قتل صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَسْمُونَ قَاتِلِكُمْ ثُمَّ تَحْفُونَ عَلَيْهِ نَحْسِينَ يَمِينًا فَنَسَامُهُ إِلَيْكُمْ؟» قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : «أَفِيحْلُونَ بِاللَّهِ نَحْسِينَ يَمِينًا مَا قَتَلُوهُ ، وَلَا يَعْلَمُونَ لَهُ قَاتِلًا ، ثُمَّ يَبْرُونَ مِنْ دَمِهِ؟» ، فقالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة . قال : واستقرت خير بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، ثم أقرها أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه صدرا من خلافته ،

(١) في أ : «نرخس» . (٢) يمتار : يجلب . (٣) ويروى : «الكبر الكبير»

بضم الكاف وسكون الباء ؛ أى قدموا الأكبر . (٤) أى ابن إسحق .

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه :
 ” لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان “؛ ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ،
 فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله قد أذن في إجلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال : ” لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان “؛ فن كان عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن
 له عهد منه فليتجهز للجلاء . فأجل عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ما كان من أمر خبير على سبيل الاختصار ، فلنذكر ما اتفق بعد فتح
 خبير مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها ، فمن ذلك خبر الشاة التي سُم فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود ، وهو في الجزء
 الرابع عشر من هذه النسخة ^(١) ، ومنه خبر الحجاج بن علاط .

ذكر خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله

قالوا : وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خبير مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فتحت خبير قال : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند
 صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة ، ومال مفترق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله .
 فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : ” قل “، قال الحجاج :
 نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بشيبه البيضاء رجالا من قريش يستمعون
 الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) من تجزية المؤلف .

(٢) في معجم البلدان : « البيضاء : ثنية التميم بمكة ، لها ذكر في كتاب السيرة » .

إلى خيبر، ووجد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الرُّبَّان، فلما رأوني قالوا: المجاج بن علاط عنده والله الخبر؛ قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندى من الخبر ما يسركم؛ فالتَّبَطُّوا بيجني ناقتي ية ولون: ^(١) إيه يا حجاج! قال: قلت: هُزِمَ هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر، وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعيونى على جمع مالى بمكة على عُرمائى، فإنى أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا بجمعوا لى مالى كأحت جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتى فقلت: مالى — وقد كان لى عندها مال موضوع — لعلى الحق بخيبر، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذى جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حنظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم؛ قلت: فاستأخر عنى حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة، وأجمعتُ الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ على حديشى يا أبا الفضل، فإنى أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإنى والله تركت ابن أخيك

(١) التبطوا بيجني ناقتي: أى عدوا إليها مطيقين بها. (٢) الفل: القوم المهزومون.

(٣) كأحت جمع: كأسرع جمع. وفى أ: «كأحب».

(٤) فى ج: «خيام».

- عروسا على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي بن أخطب - ولقد افتتح خيبر،
وانتقل^(١) ما فيها، وصارت له ولاصحابه؛ قال : ما تقول يا حجاج ! قلت : إى والله،
فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه ، فإذا
قضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب . قال : وسرت حتى إذا كان
اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخطق^(٢) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى
الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة؛
قال : كلا ، والله الذى حلفتم به لقد آفتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة
ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولاصحابه . قالوا : من جاءك بهذا
الخبر؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله ،
وانطلق ليلاحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ؛ قالوا : يا لعباد الله ! انفلت صدق الله،
أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر

إلى وادى القرى ، ونومهم عن صلاة الصبح

- قالوا : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى
القرى ، فنزل به مع غروب الشمس ، ومعه غلام له يقال له : مدغم ؛ أهدها إليه
رفاعة بن زيد الجذامى ، فبينما هو يضع راحل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه
سهم^(٣) غرب فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" كلا والذى نفس محمد بيده إن^(٤) شملته لتحترق عليه فى النار " . كان غلها

٩٩
١٥

(١) انتقل : استخرج . (٢) تخطق : طلى بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

(٣) سهم غرب : لا يدري رايه .

(٤) الشملة : كساء غليظ يتحف به .

من قيء المسلمين يوم خيبر ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شراكين لتعلمين لى ؛ فقال : ” يقدُّ لك مثلهما من النار “ .

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضى الله عنه ، وساق نحو الحديث فى قتل مدعم ، ثم قال : وكانت يهود قد توى إليها ناس من العرب ، فاستقبلونا بالزى حيث نزلنا ، ولم تكن على تعبئة ، وهم يصيحون من آطامهم ، فعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وصقهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، وحققوا دماءهم ، وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة الأنصارى رضى الله عنه فقتله ، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلا ، ^(١) كلما قُتل رجل منهم دعى من يبق إلى الإسلام . قال : ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقاتلهم صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنم أموالهم ، وأصابوا أئانا ومتاعا كثيرا ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما كان من أمر خيبر وقدك ووادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ،

(١) فى دلائل النبوة : « أحد عشر » .

- وأقاموا بأيديهم أولهم ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ؛ فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل : ” من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام “ ؟ وجاء في الحديث : ” من رجل يكلا لنا الليل “ ؟ . فقال بلال : أنا يا رسول الله . فتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر رُمقه . فغلبته عينه فنام ، فلم يوقظهم إلا مس الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه استيقاظا ، فقال : ” ماذا صنعت بنا يا بلال “ ؟ فقال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : ” صدقت “ . ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره] غير كثير ثم أناخ ، فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : ” إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عز وجل يقول : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) “ .^(١)
- وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى ، وقال : ” إن هذا وادٍ به شيطان “ فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ، ثم أمرهم أن يتزلوا وأن يتوضئوا... الحديث بنحو ما تقدم .
- ذكر سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة^(٢)
- بثته رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة في ثلاثين رجلا إلى عَجْزِ هِوَاظِنِ تَرْبَةِ — وهى ناحية العباء على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء ونجران — فأتى الخبر هِوَاظِنِ فهربوا ، وجاء عمر محالهم فلم يلق بها أحدا .^(٣)
- فانصرف راجعا إلى المدينة .

٢٠ (١) التكملة عن ابن هشام . (٢) في ج : « للصلاة » . (٣) سورة طه آية ١٤ . (٤) في أ : « قرية » . وهو تحريف . (٥) في أ : « محالها » .

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة .

روى عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه

رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم ، وكان شعارنا :

أَمِيتْ أَمِيتْ . قال : فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وعنه أيضا

قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة . وهذا الذي صححه

مسلم . وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال : حدثني أبي قال : غزونا فزارة

وعلينا أبو بكر رضي الله عنه ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان

بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا ، ثم شق الغار فورد الماء ، فقتل من

قتل وسبى من سبى . ثم [قال سلمة : فرأيتُ عُنقا] من الناس فيهم الذراري ، فخشيت

أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسنهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السنهم وقفوا ،

بخئت بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بني فزارة ، معها ابنة لها من أحسن العرب ،

فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنقلني ابنتها ، فقدمنا المدينة

وما كشفت لها ثوبا ، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال :

” يا سلمة ، هب لي المرأة “ . فقلت : يا رسول الله ، قد أعجبني وما كشفت لها

ثوبا ، ثم لقيني من الغد في السوق ، فقال : ” يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك ! “ .

فقلت : هي لك يا رسول الله ؛ فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل

مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة . روى هذا الحديث مسلم .

(١) عرسنا : زاننا في آخر الليل للاستراحة .

(٢) هنا يباشر بالأصلين والتكلمة من دلائل النبوة للبيهقي ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح مسلم .

(٣) عنقا : جماعة من الناس .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلا إلى بني مُرة بفدك ، فخرج فلقى رِعاء الشتاء ، فسأل عن الناس فقيل : في نواديهم ، فاستاق النعم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريح فأخبرهم فأدركهم^(١) الدم^(٢) منهم عند الليل ، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فئيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا ، فحمل المزيون عليهم فأصابوا أصحاب بشير ، وقاتل بشير حتى ارتث^(٣) وضرب كعبه ، وقيل : قد مات . ورجعوا بتعمهم وشائمهم ، وقدم عتبة بن زيد الحارثي يخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالميفة ، وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلا بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد .

بعثه في مائة وثلاثين رجلا ، ودليلهم يسار ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهجموا عليهم جميعا ، ووقعوا وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعاما وشاء فحذروه إلى المدينة ، ولم يأسروا أحدا . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله ، وهو نهيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض ، وقال ابن إسحاق : مرداس بن نهيك ، حليف لهم من الحرقة من جهينة . ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعي ، وأن رسول الله صلى الله

(١) في ج : « فأدركه » . (٢) الدم : العدد الكثير .

(٣) ارتث : صرع في الجنوب وبه رث . (٤) في أ : « عراك » ؛ وهو تحريف .

عليه وسلم ودّاه . قال أسامة : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهّرنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم تتزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : ” يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ “ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تمؤذا من القتل ؛ قال : ” فمن لك بها يا أسامة ؟ “ قال : فوالذي يمسه بالحق إنه مازال يرددها عليّ حتى لوددتُ أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وكنتُ أسلمتُ يومئذ ، وأتى لم أقتله . قال : قلت : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلا يقول : « لا إله إلا الله » أبدا . قال : ” يقول بعدى يا أسامة “ ، قلت : بعدك . وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة حين قال : « يا رسول الله ، إنما قالها تمؤذا من القتل » ” هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب “ ! .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار^(١)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من غطفان بالجناد قد واعدهم عيينة بن حصن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدا بشير بن سعد فعقد له لواء ، وبعث معه ثلثمائة رجل ، فساروا حتى أتوا يمن وجبار ، وهو نحو الجناد — والجناد يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى — فدنوا

(١) يمن : بفتح الياء ، وقيل : بضمها ؛ وقيل : بهيئة مفتوحة وسكون الميم ، (الزرقاني

ج ٢ : ٢٠٢) . (٢) جبار : ضبطه الزرة في فتح الجيم ، وضبط في معجم البلدان بضمها .

(٣) الجناد : من أرض غطفان .

(٤) سلاح : موضع أسفل خيبر .

من القوم فأصابوا لهم نَعْمًا كثيرا ، وتفزق الرِّعاء فحذروا الجمع ، فتفرقوا ولحقوا
بعلباء بلادهم ، وخرج بشيرُ بنُ سعد في أصحابه حتى أتى محلم فم يجد فيها أحدا ،
فرجع بالنَّعم ، وأصاب منهم رجلين ، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلما ، فأرسلهما صلى الله عليه وسلم .

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجرة في خمسين
رجلا إلى بني سليم ، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
بعد عمرة القضاء ، فخرج إليهم وتقدمه عين لهم كان معه ، فحذروهم ، فتجمعوا ،
فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعدون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا
إلى ما دعوتنا إليه . فتراموا ساعة بالنبل ، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم
من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قُتل عاتمهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء
جرحا مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا المدينة
في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة .

ذكر سرية غالب بن عبد الله اللبني إلى بني الملوحة بالكديد^(١)

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى عن
جندب بن مكيث الجهمي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب
ابن عبد الله اللبني ، ثم أحد بنى كلب بن عوف في سرية ، فكنت فيهم ، وأمرهم
أن يشئوا الغارة على بني الملوحة بالكديد - وهم من بني ليث - قال : فخرجنا

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . ويوم الكديد من أيام العرب .

حتى إذا كما بقديد لقينا الحارث بن البرصاء ، فأخذناه ، فقال : إنما جئت أريد
 الإسلام . قلنا : إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً وليلة . قال : فشددناه
 ونقاه ، وخلقنا عليه رويلاً مناً أسوداً ، وسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ،
 فكينا في ناحية الوادي ، وبمئتي أصحابي ربيعة^(٢) ، فخرجت حتى آتى تلاً مشرفاً
 على الحاضر ، فاستندت فيه ، فعلوت في رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني
 لمُنْبَطِح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل
 سواداً ما رأيته في أول يومى ، فأ نظرى إلى أوعيتك ، هل تفقدين منها شيئاً ؟
 لا تكون الكلاب جرت بمعضها قال : فنظرت ، فقالت : لا والله ما أفقد شيئاً . قال :
 فناورنى قوسى وسهمين . فناولته ، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جنبي ، فأنزعه فأضعه ،
 وثبت مكانى ، ثم أرسل الآخر فوضه فى منكبى ، فأنزعه فأضه ، وثبت مكانى ،
 فقال لامرأته : لو كان ربيعة لقد تحرك ، لقد خالطه سهمى لا أبالك ! فإذا
 أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضيهما الكلاب ، قال : ثم دخل ، وأمهلناهم
 حتى أطه أنواً وثأموهـ وكان وجه السحر - شناً عليهم الغارة ، وأستقنا النعم ، فخرج
 صريح القوم فى قومهم ، بجاء ما لا قبل لنا به ، فخرجنا بها تحدرها حتى مررنا
 بابن البرصاء فاحتملناه واحتملنا صاحبنا ، وأدركنا القوم حتى نظروا إلينا ، ما بيننا
 وبينهم إلا الوادى - وادى قديد - فأرسل الله تعالى الوادى بالسيل من حيث
 شاء تبارك وتعالى من غير سخاية نراها ولا مطر ، بجاء بشيء ليس لأحد به قوة ،
 ولا يقدر على أن يجاوزه ، فلقد رأيتهم وقوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نغمهم

(١) قديد بالتصغير : موضع بين مكة والمدية .

(٢) ربيعة ، أى عينا لهم .

(٣) الحاضر : الحى العظيم .

ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُخبرَ إلينا، ونحن نَحْدُوثُها سِرَاعاً حتى فتنَاهم، فلم يَقْدروا على طلبنا، قال : فقدمتنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكانوا بضعةَ عشر رجلاً، وكان شعارهم يومئذ : أَمِتْ أُمَّتْ !

ذِكْرُ سَرِيَّةِ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ أَيْضًا إِلَى مُصَابِ

أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ بَنَدَكٍ

كانت في صفر سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هباً الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال له :

” سِرْحَتِي تَلْتَهِي إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِمْ فَلَا تَبْقَ فِيهِمْ “ ، وهباً معه مائتي رجل ، وعقد له لواءً ، فقدم غالب بن عبد الله

من الكديد ، وقد أظفره الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : ” آجِسْ “ . وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل ، فيهم أسامة بن زيد ،

فسار حتى انتهى إلى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرٍ ، فأصابوا نَعْمًا ، وقتلوا قتلى .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ شُبَّاعِ بْنِ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى بَنِي عَامِرٍ بِالسِّيِّ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة

في أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ مِنْ هَوَازِنَ السِّيِّ ، مِنْ نَاحِيَةِ رُكْبَةَ ^(٢) مِنْ وَرَاءِ الْمَعْدِنِ ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى خَمْسِ لِيَالٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ ، فَسَارَ حَتَّى

صَبَحَهُمْ وَهِيَ غَارُونَ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا كَثِيرًا وَشَاءً ، فَاسْتَأْفَقُوا ذَلِكَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، وَغَابَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

(١) السِّيِّ : ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة .

(٢) رُكْبَةَ (بضم فسكون ففتح) : موضع بالطائف .

(٣) يريد معدن بن سليم ، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد .

(١) ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلا، فساروا حتى أتوا إلى ذات أطلاق، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعا كثيرا من جمعهم، فدعّوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أخر، فتركهم.

ذكر سرية مؤتة

(٢) ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكرك (٣).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة . وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلهما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأشدت ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرم (٤)، وهم ثلاثة آلاف،

(١) في ١ : « أطلاق » ، وهو تحريف .

(٢) مؤتة كذا وردت مهموزة بالأصلين ، وروى فيها ضم الميم وسكون الواو بغير همز .

(٣) الكرك : قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . وفي ابن سعد : « والبقاء دون

دمشق » .

(٤) الجرم : بضم فسكون : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أمير القوم زيد بن حارثة ، فإن قُتِلَ بخرم بن أبي طالب ، فإن قُتِلَ فمعد الله بن ربيعة ، فإن قُتِلَ فليرض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم “ ، وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض وسأله إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتلاً الحارث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ” إن أجابوا ، وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقتلهم “ ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم وأنصرف عنهم : فقال عبد الله بن ربيعة :

١٠٣
١٥

خَافَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتَهُ * فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مُودِعٍ وَخَلِيلِ^(٢)

فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين ! .
فقال ابن ربيعة :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً * وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَا^(٣)
فِي أَيْبَاتٍ أُخْرَ .^(٤)

قال : فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ،

١٥ (١) هي ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، قيل في سبب تسميتها بذلك . لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة .

(٢) كذا في ١ ، والذي في ج وابن هشام ج ٤ ص ١٦ « مشيع » .

(٣) ذات فرغ ، أى واسعة . وأراد بالزبد هنا رغوۃ الدم ؛ (الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٣) ملخصاً .

(٤) الأبيات في ابن هشام ج ٤ : ١٥ - ١٦

٢٠ (٥) فصلوا : ترجوا .

وقد نزل المسلمون معان^(١) من أرض الشام ، وبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل
 مآب^(٢) من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر وخنم وجذام والقيين ،
 عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة ؛ يقال له : مالك بن زافلة ، فأقاموا اليتين لينظروا^(٣)
 في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم عبد الله
 ابن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكهون لآتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ،
 وما نقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله
 به ، فاطلّقوا فإتّما هي إحدى الحسدين : إما ظهوراً ، وإما شهادة . فقال الناس :
 قد والله صدق ابن رواحة . قل : فضى الناس حتى إذا كانوا يتخوم البلقاء لقيتهم^(٥)
 جموع هِرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف ،
 ثم دنا العدو ، وأنحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة^(٦) ، ووافاهم المشركون ، بجاء
 منهم ما لا يقبل لأحد به من العدد وال سلاح والكراع^(٧) والديباج والحريير والذهب

(١) معان ، ضبطه الزرقاني بفتح الميم ، وضبطه البكري بضمها : حصن كبير من أرض فلسطين ،
 على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة .

(٢) مآب ، بفتح أوله وثانيه بعده ألف وباء معجمة : موضع بالشام (البكري) .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالزاي المعجمة في الأصلين وابن هشام ج ٤ ص ٢٣ ، والذي في الزرقاني
 ج ٢ : ٣٢٣ « رافلة » بالراء المهملة .

(٤) الظهور هنا : العتبة .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض .

(٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ؛ وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان) .

(٧) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٤ : أن الكراع جمعة الخليل خاصة .

٥

١٠

١٥

٢٠

فعبأ المسامون ، فجعلوا على ميمتهم رجلا من بني عُدرة يقال له : قُطبة بن قَسادة ،
وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له : عُبَاية بن مالك — ويقال : عبادة —
ثم اتَّقوا وأقتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه براية رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قُتل طمنا بالرمح ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فنزل عن فرس
له شقراء فَعَرَقَهَا ^(١) ، فكانت أول فرس عُرِقت في الإسلام ، وقاتل حتى قُتل ،
ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا ،
ووجدنا فيما أقبل من بدنه آثنتين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح .

وَحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء
يمينه فُطِعت يده ، فأخذه بشماله فُطِعت ، فأحتضنه بعُضديه حتى قُتل وهو ابن
١٠ ثلاث وثلاثين سنة ، فأنابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء .
وقال محمد بن إسحاق : كان جعفر يقاتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة وأقربها * طيبة وبارداً شرابها
والرؤم رؤم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
على إن لاقيتها ضرابها

قال : ولما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رُوَاحة الزاية ، ثم تقدم بها وهو على
فرسه ، بفعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :
أقسمت يا نفس لتتنزليني * لتنزلني أو لتكفهنه

(١) عرقها ، أى قطع عرقها ، وهو الوتر الذى بين مفصل الساق والتقدم ، قال فى الروض :
« ولم يجب ذلك عليه أحد ، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذ العدو فيقاتل عليها المسلمين » .
وفى ابن هشام ج ٤ ص ٢٠ « عقرها » . (٢) فى أ : « يديه » ؛ وهو تحريف .
(٣) فى أ « بالسيف » . (٤) يستنزل نفسه ، أى يطلب نزولها عما أرادته وهمت به .

إِنْ أَجَابَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّبَّةَ ^(١) * مَا لِي أَرَاكَ تَكَرَّهِينَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً * هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ ^(٢)

وقال أيضا رضى الله عنه :

يَا نَفْسَ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمَوْتِي * هَذَا حَمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
 وَمَا تَمَنَّيْتَ فَقَدْ أُعْطِيْتَ * إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ
 وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَقَدْ شَقَّيْتَ

١٠٤
١٥

يريد بقوله : « فِعْلَهُمَا » صاحبيه زيدا وجعفرًا ، ثم نزل . فأناه ابن عم له
 بعرقٍ من لحم ، فقال : شُدَّ بهذا صُلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت .
 فأخذه من يده فانتهم منه نهسة ^(٤) ، ثم سمع الحطمة من ناحية الناس ، فقال : وأنت
 في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه وتقدم ، فقاتل حتى قُتِل .

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم ، وقال : يا معشر الناس ، اصطاحوا على رجل منكم ؛
 فقالوا : أنت ؛ قال : ما أنا بفاعل . فأصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما
 أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ^(٧) ، ثم انحاز وانحيز عنه ، وانكشف . فكانت

(١) أجلب الناس : اختلطت أصواتهم وضحوا . وفي المبهل « جلب » بتشديد اللام . والرنة :

صوت فيه ترجيع شبه البكاء .

(٢) النطفة : القليل من الماء الصافي . والشنة : القرية الخلق .

(٣) العرق : العظم الذى عليه بعض اللحم .

(٤) انتهم : أخذ منه بقمه يسيرا (عن أبي ذر) . وفى أ : « فانتهم منه نهسة » .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٦) فى الزرقانى ج ٢ ص ٣٢٦ عن ابن إسحاق : « المسلمين » .

(٧) حاشى بهم : انحز بهم ، من الحشى ، وهى الناحية . وفى ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨ : « وحاشى

بهم » : المعجمة ، من الحاشاة ، وهى المهاجرة ، مفاعلة من الحشية ، لأنه حشى على المسلمين فتمت بددهم ،

وفى الزرقانى ج ٢ ص ٣٢٧ : « لحش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه » .

١٠

١٥

٢٠

الجزيمة ، فتيمهم المشركون ، فقتل من قتل من المسلمين ، ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم ، فلما أخذ خالد بن الوليد اللوآء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الآن حمى الوطيس ”^(١) .

قال محمد بن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ” ، ثم صمت حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله ابن رواحة بعض ما يكرهون ، فقال : ” ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ” .

قال ابن إسحاق : وكان قطبة بن قنادة العُدري حمل على مالك بن زافلة فقتله

وهو على المائة ألف التي اجتمعت من العرب ، فقال في ذلك :

طمنتُ ابنَ زافلةِ بنِ الإِراشِ * برِجٍ مضى فيه ثمَّ انحطمتُ^(٢)
ضربتُ على جيده ضربةً * فال كما مالَ غصنُ السِّلْمِ^(٣)

قال : ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقوهم بالجرم ، فجعل الناس يَحْثُونَ في وجوههم الزراب ويقولون : يا فُتزار ، فررت في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ليسوا بفتزار ، ولكنهم كُتزار إن شاء الله ” .

(١) حمى الوطيس ، أي حمى الضرب وجدت الحرب واشتدت .

(٢) انحطمت : انكسرت .

(٣) الحيد : العتق . وسلا بالتحريك : شجر المضاء ، الواحدة صلبة .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ مُؤْتَةِ

أَسْتُشْهِدَ مِنْ قَرَيْشٍ وَمَوَالِيهِمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرًا، وَهُمْ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْعُودُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ ابْنِ نَضْلَةَ، وَوَهْبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ . وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْأَنْصَارِ : عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ قَيْسٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ إِسَافٍ، وَسُرَاقَةُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو كَلَيْبٍ وَجَابِرُ ابْنَا عَمْرٍو بْنِ زَيْدٍ، وَعَمْرٍو وَعَامِرُ ابْنَا سَعْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

ذِكْرُ سِرِّيَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ ^(١)

وَهِيَ وَرَاءَ وَادِي الْقُرَى ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ عَشْرَةُ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ فِي جِهَادِي
الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ . وَسَبَبُ بَعْثِ هَذِهِ السِّرِّيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى أَطْرَافِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ فَعَقَّدَ لَهُ لُؤَاءَ أَبِيضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ
رَايَةَ سُودَاءَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ
فَرَسًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يَمْتَرُ بِهِ مِنْ بَيْلِي وَعُدْرَةَ وَبَلَقَيْنَ، فَسَارَ اللَّيْلَ وَكَانَ النَّهَارَ،
فَلَمَّا قُرِبَ مِنَ الْقَوْمِ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا، فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثَ الْجَلْبُوفِيَّ ^(٢)

(١) اختلفوا في ضبط هذه الكلمة اختلافًا كثيرًا، فتمم من ضبطها بفتح السين الأول ومنهم من ضبطها بالضم، ومنهم من ضبطها بالفتح والضم . راجع الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٢
(٢) كذا في الأصلين وابن سعد ج ٢ القسم الأول ص ٩٥ ، وفي عيون الأثر (٢ : ١٥٧) : يريدون أن يدخلوا إلى أطراف المدينة . (٣) سرادة القوم : أصحاب الشرف فيهم .
(٤) لأن عمرا كان ذا رحم فيهم ، فإن جدته لأبيه كانت بلوية ، فأراد عليه السلام أن يأتئهم بعسرو .
(٥) كذا ضبط في الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين ، وعقد له لواء ، وبعث معه سراً المهاجرين والأنصار ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمره أن يلاحق بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا ، فلاحق بعمرو ، فأراد أبو عبيدة أن يؤتم الناس ، فقال عمرو : إنما قدمت على مددا ، وأنا الأمير ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، وسار حتى وطئ بلاد بلي^(١) ، ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين ، ولقي في آحر ذلك جمعا ، فحمل عليهم المسلمون ، فهربوا في البلاد وتفزعوا ، ثم قتل وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم .

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح ، وهي سرية الخبث^(٢)

١٠٥
١٥

١٠ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ، وفيهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى حمى من جهينة بالقبليّة مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال ، فأصابهم في الطريق جوع شديد ، فأكلوا الخبث ، وأبتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم .

١٥ روى عن عبادة بن الصامت قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية^(٣) إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم حرابا من تمر ، فجعل يقوتهم إياه حتى صاروا إلى أن يئده لهم عدا ، ثم نفذ التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمر ، فقسّمها يوما بيننا ، فنقصت تمرّة عن رجل ، قال : فوجدنا فقدنا ذلك

(١) زاد في ابن سعد ج ٢ : ص ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله : « وكان عمرو يصلي بالناس » .

٢٠ (٢) الخبث (بالتحريك) : ورق العضاد ، من الطلع ونحوه من الشجر ، يضرب بالعصا فينثر .

(٣) سيف البحر : ساحله .

اليوم ، فلما جهَدنا الجوع أخرج الله لنا دابةً ^(١) من البحر فأصَبنا من لحمها وودَّ ^(٢) كِها ، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سَمِينَا ^(٣) وابتَلَلنا ، وأخذَ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعه على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعيرٍ معنا فحمل عليه أجسم رجلٍ مِنَّا ، فخرَج من تحتها وما مَسَّت رأسه ، فلما قَدِمنا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرنا خبرها ، وسألناه عما صنَعنا في ذلك من أكلنا إياها ، فقال : « رَزَقُ رَزَقُكَوهُ اللهُ » .

قال ابن سعد : وانصرفوا ولم يلقوا كيدا .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى خُضْرَةَ وهي أرضُ مُحَارِبٍ بِنَجْدٍ

قالوا : بعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غَطَفَانَ ، وأمره أن يَشُنَّ عليهم الغارة ، فسار الليلَ وَكَبِنَ النهار ، فهجَمَ على حاضِرٍ منهم عَظِيمٍ ، فأحاط به ، فصَرَخَ رجلٌ منهم : يا خُضْرَةَ وَقَاتِلْ منهم رجالاً ، فقتلوا من أشرفهم ، وأساقوا النعم ، فكانت الإبلُ مائتي بعيرٍ ، والغنمُ ألفي شاةٍ ، وسبوا سبباً كثيراً ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخمس ، وقسموا ما بقي على السرية ، فأصاب كلَّ رجلٍ منهم اثنا عشر بعيراً ، وعُدِلَ البعيرُ بعشيرةٍ من

(١) ذكر الزرقاني أنه نوع من السمك يقال له العنبر .

(٢) الودك (بالتحريك) : الشحم .

(٣) ابتلنا : حسنت حالنا بعد الهزال وأفقنا من ألم الجوع الذي كان أصابنا .

(٤) كذا في الأصلين . والذي في الزرقاني ج ٢ ص ٣٤٠ وابن سعد ج ٢ ص ٩٦ « فقتلوا

من أشرف لهم » أي ظهر .

الغنم ، وصارت في سَهْم أبي قَتَادَةَ جَارِيَةً وَضَيْئَةً ، فَأَسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَهَبَهَا لَهُ ، فَوَهَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَحْمِيَّةَ بْنِ جَزْءٍ . وَغَابُوا فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ نَحْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى بَطْنِ إِخْمٍ

كانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا : لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إخم — وهي فيما بين ذى خُشْب وذى المَرُورَةِ وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرْدٍ — لِيُظَنَّ ظَانُّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تَلِّكَ النَّاحِيَةِ ، وَلِأَنَّ تَذَهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارَ ، وَكَانَ فِي السَّرِيَّةِ مَحْمَدُ بْنُ جَنَادَةَ اللَّبَيْثِيُّ ، فَمَرَّ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ ، فَسَلَّمَ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْقَوْمَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مَحْمَدُ بْنُ جَنَادَةَ فَقَتَلَهُ لَيْلًا ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا ، وَسَلَبَهُ بِعِيرِهِ وَمَتَاعِهِ ، فَلَمَّا لَحِقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ^(١) ﴾ الْآيَةَ . فَضَضُوا وَلَمْ يَلْقُوا جَمَاعًا فَاَنْصَرَفُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذِي خُشْبٍ ، فَلَبَّغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِمْ حَتَّى لَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّقْيَا .

(١) سورة النساء : ٩٤

(٢) بين ، بفتح فسكون : ناحية من أعراض المدينة على يربد منها (ياقوت) .

ذِكْرُ غَزْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَالسَّبَبِ الَّذِي أَوْجَبَ نَقْضَ الْعَهْدِ وَفَسَخَ الْهُدْنَةَ

١٠٦
١٥

كانت هذه الغزوة في شهر رمضان سنة ثمانٍ من مهاجرِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وعلى رأسِ اثنين وعشرين شهرا من صلحِ الحُدَيْبِيَّةِ .

وسببُ ذلك أنه لما دخل شعبانُ من هذه السنة كَلَّمَتْ بنو نُفَائَةَ — وهم من بني بكر — أشرافَ قريش أن يعينوهم على نُزَاعَةِ بالرجال والسلاح ، وكالت خراعة قد دخلت في عقد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم وعهده يومَ الحُدَيْبِيَّةِ كما قدمنا ذَكَرْنا ذلك ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدها ، قالوا : فلما سألوهم ذلك وَعَدَّوهم ووافوهم بالوَتِيرِ مَتَنَكِّرِينَ مَتَنَقِّينَ ، فيهم صَفْوَانُ بن أمية ، وَحُوَيْطِبُ بنُ عبد العزى ، وَمِكْرَزُ بنُ حفص بن الأَخِيْفِ ، فَبَيْتُوا نُزَاعَةَ لَيْلا ، وهم غازون آمنون فقتلوا منهم عشرين رجلا ، ثم ندمت قريش على ما صنعت ، وعلموا أن هذا نقضٌ لِلدَّيَةِ والعهد الذي بينهم وبين رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وخرج عمرو بن سالم الخُزَاعِيُّ في أربعين راكبا من نُزَاعَةِ ، فقدموا على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم يُخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ .

قال ابن إسحاق : قَدِمَ عمرو بن سالم على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم المدينة ، فوقف ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم جالس في المسجد بين ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فقال : يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ تَحْمَدًا • حَلَفَ أَبِيْنَا وَأَبِيهِ الْأَنْلِدَا (٣) قَدِ كُنْمُ وُلْدَا وَكَمَا وَالِدَا • نُمْتَّ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا (٤)

(١) الوتير : ماء قريب من مكة . (٢) غازون : غافلون . (٣) ناشد : طالب .

والخلف ، بكسر الحاء وسكون اللام : المناصرة . (٤) الولد ، بضم فسكون : لغة في الولد ،

بالتحريك . ونمت : حرف عطف أدخل عليه تاء التانيث .

١٥

٢٠

فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا ^(١) * وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا تَوْأَمَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا * ^(٢) إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي قَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا ^(٣) * إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا * ^(٤) وَجَمَلُوا لِي فِي كَدَائِهِ رُصَّدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا * وَهَمُّ أَدْلُ وَأَقْلُ عَدَدَا
 هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا * ^(٥) وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَبُجَّدَا

يقول : قَتَلْنَا وَقَدْ آمَنَّا، وَيُرْوَى بِدَلِّ قَوْلِهِ : * قَدْ كَتَمْتُ وُلْدًا وَكَا وَأَلْدَا *

* نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وُلْدَا *

قال : فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” نَصْرَتَ يَا عَمْرُوبَنَّ سَلَمَ “ .

- ١٠ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
 يَجْزُرُ رِدَائَهُ وَيَقُولُ : ” لَا نَصْرَتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصَرَ مِنْهُ نَفْسِي “ .
 ثُمَّ عَرَّضَ لَهُ سَحَابٌ ، فَقَالَ : إِنْ هَذَا السَّحَابُ لِيَسْتَهْلُ بَنِي نَصْرِ بْنِ كَعْبٍ .

قال محمد بن إسحاق : وَقَدِمَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ نَحْزَاعَةِ عَلِيِّ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشِ بْنِ بَكْرِ عَلَيْهِمُ

(١) في ج ، وفي ابن هشام ج ٤ ص ٣٦ « أعتدا » .

(٢) سيم خسفا ، أي أولى ذلا . وتريد : تغيير .

(٣) القيلق : المسكر الكثير .

(٤) رصد كركم : جمع راصد ، وهو الطالب للشيء .

(٥) يبتونا : قصدونا ليلا .

ثم أنصرفوا راجعين إلى مكة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
 « كأنكم بآبي سُفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة » ، ومضى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ
 وأصحابه حتى لقوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان^(١) ، قد بعثه قريش إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ، ويزيد في المدة ، فقال له أبو سُفيان : من أين
 أقبلت يا بُدَيْلُ ؟ قال : تَسِيرْتُ في خُرَاعَةَ في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي ؛
 قال : أو ما جئتَ مَهْدًا ؟ قال : لا ، وفارقه ، فقال أبو سُفيان : لئن كان بُدَيْلُ جاء
 إلى يَثْرَبَ لقد علفَ النوى بها ، فأَتَى مَبْرَكَ راحلته فأخذ من بعرها فقتسه ، فرأى
 فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْلُ مَهْدًا ؛ ثم خرج أبو سُفيان حتى
 قدم على مَهْدٍ صلى الله عليه وسلم ، فدخل على أبنته أم حبيبة ، وذهب ليجلس على
 فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، فطوَّته ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، ما أدري أرغبتِ بي عن
 هذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ، قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وأنت رجلٌ مشركٌ نجسٌ ، فلم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ؛ فقال : والله لقد أصابك بعدى يا بُنَيَّةُ شرًّا ، ثم خرج حتى أتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فكلَّمه ، فلم يردَّ عليه شيئًا ، ثم ذهب إلى أبي بكر وكلَّمه أن
 يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ؛ ثم أتى عمر بن الخطاب^(٢)
 فكلَّمه ، فقال : أنا أشفعُ لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد
 إلا الدرَّ لجاهدتكم به ؛ ثم دخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة بنتُ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وعندها الحسنُ أبنها غلامٌ يدبُّ بين يديها ، فقال : يا علي ،

(١) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان) .

(٢) في ابن هشام : « يكلم له » .

- إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أُرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ،^(١)
 فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ
 عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكَلِّمَهُ فِيهِ ، فَأَلْتَفَتَ إِلَى
 فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بِنْتِي هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ
 سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بُحَيٌّ ذَلِكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ،
 وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى
 الْأُمُورَ قَدْ أَشْتَدَّتْ عَلَى- ، فَاَنْصَحْنِي ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ
 سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ . فَقَمَّ فَأَجْرَبَ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَلْحَقَ بِأَرْضِكَ ، قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا
 عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُكَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ
 فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أُجِرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ وَأَنْطَلَقَ ،
 فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ مَعِدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ
 مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ أَبْنَ أَبِي خُفَّاءَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ
 فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بِشَيْءٍ
 صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي هَلْ يُغْنِي شَيْئًا أَمْ لَا ؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمَّرَكَ ؟ قَالَ : أَمَّرَنِي
 أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ، قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا :
 وَيْلَكَ ، وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ مِنْكَ ، فَمَا يُغْنِي عَنْكَ مَا فَعَلْتَ ، ثُمَّ تَجَهَّزَ^(٢)
^(٣) ^(٤)

(١) في كلا الأصلين : « فلا أرجعن » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ابن هشام .

(٢) كذا في ابن هشام ؛ والذي في ج : « آيت » .

(٣) في ابن هشام : « بك » .

(٤) في ابن هشام : « ما قلت » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة،
وامرهم بالحد والتهيب، وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبلغها
في بلادها". والله المعين .

ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وأخذه الكتاب،
وما أنزل الله عز وجل في ذلك من القرآن

قال : ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب
ابن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الأمر في المسير إليهم ، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مزينة - وقيل : هي سارة
مولاة لبعض بني عبدالمطلب - وجعل لها جملا على أن تبلغه قريشا ، ففعلته في رأسها
ثم فلتت عليه قرونها وخرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من
السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب ، والزيد بن العوام رضی الله عنهما ،
وقال : أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا
في أمرهم ، فخرجا فأدركاها بالخليفة ، خليفة بنى أبي أحمد ، فاستنزلاها وأتمسا
في رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال لها علي : أحلف بالله لتُخرجين لنا هذا الكتاب
أو لنفتشكنك ، فقالت : أعرض عني ، فأعرض ، فلتت قرون رأسها فاستخرجت
الكتاب ودفعته إليه ، فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا حاطبا فقال :
"ما حملك على هذا"؟ . قال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت

وما بدلتُ ، ولكنني أمرؤ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه ، فإن الرجل قد نأق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”وما يُدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم“ .

هذه رواية محمد بن إسحاق .

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله : إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صفين بن هاشم بن عبد مناف ، وإنما أمت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أمسامة جئت“ ؟ قالت : لا . قال : ”أمهاجرة جئت“ ؟ قالت : لا ؛ قال : ”فما حاجتك“ ؟ قالت : كنت كثيرة العشيرة والأصل والموالى ، وقد ذهبت موالى ، وأحتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحمّلوني . قال لها : ”فأين أنت من شباب أهل مكة“ ، وكانت مغنية نائمة ، قالت : ما أطلب مني شيء بعد وقعة بدر : فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى المطلب فكسّوها وحملوها وأعطوها نفقةً ؛ فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى ، فكتب معها إلى أهل مكة كتاباً ، وأعطها عشرة دنانير .

قال الثعلبي : هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : وقال مقاتل بن حيان : أعطها عشرة دراهم وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب في الكتاب : «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ، إن

رسول الله يريدكم ، فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ، ونزل جبريل ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمر ، والزبير ، وطلحة ، وعمارا ، والمقداد بن الأسود ، وأبا مرثد ، وكانوا كلهم فرسانا ، وقال لهم : " انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ ^(١) فإن بها ظمينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها ، وخلوا سبيلها ، وإن لم تدفعه إليكم فأضربوا عنقها " فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فخلت بالله ما معها كتاب ، فبحثوها ، وقتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا ، فهتموا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : والله ما كذبنا ولا كذبنا ، وسأل سيفه ، وقال لها : أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردتك ، ولأضربن عنقك ، فلما رأته أخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها ، فخلوا سبيلها ، ولم يتعرضوا لها معها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى حاطب فأناه ، فقال له : " هل تعرف الكتاب ؟ " قال : نعم ، قال : " ما حملك على ما صنعت ؟ " فقال : يا رسول الله ، ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريبا فيهم ، وكان أهلي بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلي ، فأردت أن أنخذ عندهم يدا ، وقد علمت أن الله يُنزل بهم بأسه ، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا ، فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ، فقام

(١) روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان)

عمر بن الخطّاب فقال : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر " .

- وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِ حَاطِبِ وَمَكَاتِبَةِ الْمُشْرِكِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ (١) ، قال : أى من مكة لأنّ آمنتم بالله ربكم ؛ قال : في الكلام تقديم وتأخير ، ونظم الآية :
- ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ نَجْرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ يَشْفُقُواكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْبُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ قال : يشفقوكم يروكم ويظهروا ، ﴿ وَيَسْبُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى بالقتل ، ﴿ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ أى بالشتم ، ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يؤادونكم .

- قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : معنى الآية : لا تدعوكم قرابانكم ولا أولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم ، ومظاهرتهم ، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التي عصيت الله لأجلهم

(١) سورة المنتحة الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٢) كذا في كلا الأصلين . والذي في القرطبي : « يشفقوكم بظفروا بكم ويتمكنوا منكم » .

(يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) فَيُدْخِلُ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكَفْرَ بِهِ النَّارَ .

قوله تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ^(١)) الآية ، ثم قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) قال : قوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ) ^(١) يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ؛ قال : فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون

أقرباءهم من المشركين في الله ، وأظهروا لهم العداوة والبراءة ، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك ، فأنزل : (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ^(١) ؛ قال : ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة ، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخوانا ، وخالطوهم وناحروهم .

قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(١) معناه : أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبر ، وأختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت في نضاعة ، منهم هلال بن عويمر ، وخزيمة ، وسرافقة بن مالك ابن جعشم ، وبنو مذبلج ، وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا .

وقال عبد الله بن الزبير : نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهم ، وذلك أن أمها قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بنى مالك بن حِسل قَدِمَتْ عليها المدينة بهدايا وهي مُشركة ، فقالت أسماء : لا أقبل منك هدية ، ولا تدخل على بيتي حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألت لها عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلاً ، وتقبل هديتها ، وتحسن إليها ، وتكرمها . وقال مرة الهمداني وعطية العوفي : نزلت في قوم من بنى هاشم ، منهم العباس . ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَبْهَتُهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَدَّوهُمْ وَمَن يَتَوَدَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١) ﴾ قال : وهم مشركو مكة . فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

إلى مكة ، ومن جاءه في طريقه قبل دخوله مكة

قال : ولما تهباً رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزاة بعث إلى من حوله من العرب بطلبهم ، وهم أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، وسليم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه في الطريق ، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، قاله محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد البيهقي : استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الأربعاء لمسير ليالٍ خلون من شهر رمضان بعد العصر ، فلما انتهى

إلى الصلصل ^(١) قَدَمَ أَمَامَهُ الزبير بن العوام في مائةٍ من المسلمين ، وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس حتى إذا كان بالكديد ^(٢) بين عسفان ^(٣) وأج أظطر ^(٤)، ونادى مناديه : من أحب أن يُفطر فليفطر، ومن أحب أن يصوم فليصم .

قال ابن سعد : فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد ^(٥) عقد الآلوية والرايات ودفعها إلى القبائل .

قال محمد بن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران ^(٦) وهو في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سلم ^(٧) ، وبمضهم يقول : أَلْقَتْ مُزَيْنَةَ ،

وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب معه المهاجرون والأنصار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق لقيه عمه اليباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجرا بماله ، وكان قبل ذلك بمكة على سقايته ، وقد قدمنا أنه أسلم عند أنصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر ، قال : ولقيه أبوسفیان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، لقيه بين العقاب بين مكة والمدينة ، والتمسا الدخول عليه ، وكتبته أم سلمة رض ، الله عنها فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك ، وابن عمتك وصهرك .

فقال : ” لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فتهنك عِرْضِي ، وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذي قال لي بمكة ما قال ” ، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبي سفيان بُجِي له

١١٠
١٥

(١) الصلصل : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها . (٢) الكديد كبير : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . (٣) عسفان ، بضم أوفه وسكون ثانيه : قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة . (٤) أوج بالتحريك : بلد من أعراض المدينة . (٥) قديد بالتصغير : موضع قرب مكة . (٦) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة . (٧) سبعت : أى كانت سباماة ، وألقت : كانت ألقا . (٨) الجحفة : موضع على أربع مراحل من مكة . (٩) نيق العقاب : موضع قرب الجحفة .

قال : والله لتأذنن لى أو لآخذتن بيديّى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عَطْشًا وجوعًا ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه ، فأسلما ، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر مما كان قد مضى من فعله ، فقال :

لعمرك أتى يوم أحملُ رايةً * لِنِغَابِ خَيْلِ اللّاتِ خَيْلَ مَجْدِ
لكالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ * فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هادٍ غيرُ نفسى ودانى * على الحقّ من طرذتُ كلَّ مطرذِ^(١)
أصْدَ وأناى جاهدا عن مجدي * وأدعى وإن لم أنسب من مجدي
همُّ ما همُّ من لم يقل بهواهم * وإن كان ذارأى يلمُ ويفنّدِ^(٢)
أريد لأرضيهم واستُ بلائطُ * مع القوم ما لم أهد فى كلِّ مقعدِ^(٣)
فقل لثقيف : لا أريد قتالها * وقل لثقيف تلك : غيرى أوعدي
فما كنت فى الجيش الذى نال عامرا * وما كان عن جراً لسانى ولا يدي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدة * نزاعُ جاءت من سهامٍ وسرددِ^(٤)^(٥)

قال : ولما بلغ إنشاده قوله : « من طرذت كل مطرذ » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال : « أنت طرذتنى كل مطرذ » .

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران نزلها عَشِيًّا ، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتهم خبر

(١) رواية البيت كما فى ابن هشام ٤ : ٤٣ ، والبداية ٤ : ٢٨٧ .

هدانى هاد غير نفسى ودانى * مع الله من طرذت كل مطرذ

(٢) فى ج : « يلام وفتد » . (٣) لائط : ملصق . (٤) النزاع : التراب .

(٥) سهام كسحاب ، وسردد بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة ، ويروى بضم أوله

وفتح الدال الأولى : موضعان من أرض عك .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن عبدالمطلب : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه لآنه لهلك قريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : بغسستُ على بنسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجتُ عليها حتى جئتُ الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعض الخطابة أو صاحبَ لبن ، أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

ذكر محبي العباس بأبي سفينان بن حرب إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وإسلام أبي سفينان ، وخبر الفتح

قال العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه : وكان أبو سفينان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، فوالله إنى لأسير على بنسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألتس ما خرجتُ له ، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفينان وبديل ابن ورقاء وهما يتراجمان ، وأبوسفينان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا ، فيقول له بديل : هذه والله نزاعة قد حمستها الحرب ، فيقول أبو سفينان : نزاعة أدل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال العباس : فعرفتُ صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : يا أبا الفضل ، قلت : نعم ، قال : مالك فذاك أبى وأمى ! قلت : ويحك يا أبا سفينان ! هذا رسول الله فى الناس ، واصباح قريش والله !

(١) الأراك : واد قرب مكة .

(٢) حمستها بالمهملة : اشتدت عليها ، وفى ج ، وابن هشام : « حمستها » بالمعجمة ،

أى أحرقتها .

قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ! ، قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عناقك ، فأركب في تجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفي ، ورجع صاحبا ؛ قال : بغئتُ به ، كلما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب .

قال ابن سعد : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عمر تلك الليلة على الحرّس ؛ قال العباس : فقال عمر : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على تجز الدابة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم نرج يشد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلة فسبقته ، فأقتحمتُ عن البغلة ، ودخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني أضرب عنقه . قال العباس ، قلت : يا رسول الله ، قد أجزته ، ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلتُ : والله لا ينجيه الليلة رجلٌ دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلتُ هذا ، ولكك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال عمر : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به ” ؛ قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوتُ

به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 ”ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله“^(١)، قال : بأبي أنت
 وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره
 لقد أغنى شيئاً بعد ؛ قال : ”ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى
 رسول الله“؟ قال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما والله هذه
 فأت في النفس منها حتى الآن شيئاً ؛ فقال له العباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله
 إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؛ قال : فشهد شهادة الحق ،
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فأجعل له شيئاً .
 قال : ”نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،
 ومن دخل المسجد فهو آمن“؛ فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ”يا عباس ، احتبس بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله
 فيراها“ . قال : فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن أحبسه ؛ قال : ومررت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ،
 من هذه ؟ . فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القبيلة ، فيقول : من هذه ؟
 فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى مرت القبائل ، فما تمر قبيلة إلا
 سألتني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ! حتى مر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في كتيبه الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار — وإنما سميت بالخضراء
 لكثرة الحديد وظهوره فيها — وهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال :
 سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ألم يأن : ألم يحين .

(٢) خطم الجبل : أفة النادرمة .

في المهاجرين والأنصار ، فقال : ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيماً . قلت : ويحك ! إنها النبوة ، قال : فنعمة إذا ، ثم قلت : النجاء ^(١) إلى قومك ، فسار حتى إذا جاءهم صرّخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا مجد قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه ، فقالت :
 ٥ أقتلوا الحميت الدسيم الأحمس ، قُبِحَ من طليعة قوم ! قال : ويلكم ! لا تفرتنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبيل لكم به ، فمن دخل داري فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تعنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابهُ فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففتزق الناس إلى دورهم وإلى المسجد . والله يؤيد بنصره
 ١٠ من يشاء .

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة

شرفها الله تعالى صلحا ، ودخول خالد بن الوليد

ومن معه من القبائل عنوة

قال : ولما آتتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى ^(٣) ، وقف على راحته معتجرا بشقة برد حبة حمراء وإنه ليضع رأسه تواضعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمس وإسبط الرجل ، ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش من ذى طوى ، وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مع سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فأمر رسول الله صلى الله

١١٢
١٥

(١) النجاء : السرعة . (٢) الحميت في الأصل : زق السنن . والدسيم : الكثير الودك .

٢٠ والأحمس : الذى لاخير عنده ، من قومهم : عام أحس إذا لم يكن فيه مطر . (٣) ذوطوى ، مثلثة

الباء : موضع قرب مكة . (٤) الاعتجار : التعم بغير ذؤابة . والحيرة : ضرب من ثياب اليمن .

عليه وسلم الزبير بن العوام، وكان على المجنبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كدى^(١)، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كداء^(٢)، فلما وجه سعد للدخول قال: اليوم يوم الملتحمة، اليوم تستحل الحرمة، وفي رواية تستحل الكعبة؛ فسمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: "أدرِكه نخذ الراية منه، فأدخل أنت بها". حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد.

وذكريحي بن سعيد الأموي في السير: أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مرة على أبي سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه: اليوم يوم الملتحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا، وقال: اليوم يوم الملتحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا؛ وإني أنشدك الله في قومك، فانت أبر الناس وأوصلهم وأرحمهم.

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن سعدا أن تكون منه في قريش صولة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحة، اليوم أعز الله فيه قريشا". وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ:

(١) كدى كقرى: جبل بأسفل مكة.
(٢) كداء: جبل بأعلى مكة.

يا نبي الهدى إليك لجا^(١) حى قريش ولات حين لجا^(٢)
 حين ضاقت عليهم سعة الأرز * وض عاداهم^(٣) إله السماء
 وألقت حلقنا^(٤) البطان على القوم * ونودوا بالصي^(٥)م الصلحاء
 إن سعدا يريد قاصمة الظه * ير بأهل الحجون والبطحاء
 خزرجي لو يستطيع من الغي * نط رمانا بالنسر والعواء^(٦)
 وغر الصدر لايم^(٧) بشيء * غير سفك الدما وهتك النساء
 قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السواء
 إذ ينادى بذل^(٨) حى قريش * وآبن حرب بدا من الشهداء
 فئن أحقم اللواء ونادى * يا حاة اللواء أهل اللواء
 ثم ثابت إليه من^(٩) ميم الخنز * رج والأوس أنجم^(١٠) الهبياء
 لتكوتن^(١١) بالبطاح قريش * ففعة القاع في أكف^(١٢) الإمام
 فأنهيته^(١٣) فإنه أسد^(١٤) الأسد * يد لدى الغاب والغ في الدماء
 إله مطرق يريد لنا الأمد * ير سكوتا كالحية الصماء^(١٥)

قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة فترع اللواء من

يده ، وجمله يريد قيس أبنه ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج

(١) « لجا » مهموز ، وتركه هنا للوزن .

(٢) ألقت حلقنا البطان : مثل في بلوغ الأمر . البطان : حزام يجمل تحت بطن البعير . والصيلم :

الداية الشديدة .

(٣) النسر والعواء : كوكبان .

(٤) الففعة (بكر الفاء) : ضرب من الكعكة ، وهي ليضاء الرخوة ، يشبه بها الرجل الذليل . وففعة

القاع : مثل يضرب في الذل ، لأن الففعة أردأ الكعكة .

(٥) الحية الصماء : التي لا تنفع منها الرقية ، وهي أخط الحيات وأضرها .

عنه إذ صار إلى ابنه ، وأبى سعد أن يُسلم اللواء إلا بأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة ، فعرفها سعد ، فدفع اللواء إلى ابنه قيس .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وكان على المُجَنَّبَةِ اليمنى ، أن يدخل ببعض الناس من اللَّيْط أسفل مكة ، وكان معه : أسلم ، وسليم وغفار ، ومزينة ، وجُهينة ، وقبائل من العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر^(١) حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قُبْسة ، ونهى عن القتال ، وعبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأماكن التي أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا منها ، لم يلقوا كيدا ، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعا من قريش ، ووقفوا بالتمدمة ليقاتلوا خالد بن الوليد ، ويمنعوه من الدخول ، وشهروا السلاح ورءوا بالنبل ، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم ، فقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ، وأربعة نفر من هذيل ، وانهمزوا أقبح هزيمة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية أذخر رأى البارقة فقال : ^(٢) « ألم أنه عن القتال ؟ » فقيل : يا رسول الله ، إن خالد بن الوليد قاتل فقاتل ، فقال : ^(٣) « قضاء الله خير » ، وقتل من المسلمين رجلا كانا سلكا طريقا غير طريق خالد فقتلا ، وهما كُرْز بن جابر الفهري ، وحبيش بن خالد الخزاعي . قاله محمد بن سعد .

١١٣
١٥

(١) أذخر : ثنية بين مكة والمدينة « الكبرى ج ١ : ١٢٨ » .

(٢) التمدمة : جبل بمكة له يوم معروف . (٣) البارقة : السيوف .

(٤) في ابن سعد « حاله الأشقر الخزاعي » ، وفي ابن هشام : « حنيس » .

وقال ابن إسحاق : قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا . وقال :
وقد كان حمّاس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعَدُّ سلاحا ويُصلح منه قبل دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له امرأته : لماذا تعدّ ما أرى ؟ قال :
لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى
لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم ، ثم قال :

إن يُقبلوا اليوم فإلى عِلَّة * هذا سلاحٌ كاملٌ وآلَةٌ^(١)
* وذو غرارين سريعُ السِّلَّةِ^(٢) *

ثم شهد يوم الخَنْدَمَةِ ، فلما أنهزم القوم دخل على امرأته وقال : أغلقتى على بابي ؛
قالت : فأين الذى كنت تقول ؟ فقال :

١٠ إنك لو شهدت يوم الخَنْدَمَةِ * إذ فتر صفوانٌ وفتر عِكْرَمَةُ
وأبو يزيد قائمٌ كالْمُوْتَمَةِ^(٣) * وأستقبلتهم بالسيوف المسامِنة
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ * ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً^(٤)
لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهَمَةً * لا تنطق في الآلوم أدنى كلمة^(٥)

قال ابن هشام : ويروى للرّعاش الهُدَلِيّ .

- ١٥ (١) الآلة : جميع أداة الحرب .
(٢) كذا في ج وابن هشام ج ٤ : ٥٠ ، والذى في أ «القتلة» . وذو غرارين : ذو حدّين .
(٣) المُوْتَمَةُ : التكلّى .
(٤) الغمغمة : أصوات غير مفهومة .
(٥) النهيت : زفير الأسد . والهمهمة : تردد الزفير في الصدر .

وكان ممن فز يومئذ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم،
وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي لأبويه، فأسلمت، وهرب هبيرة
إلى نجران، وقال معذرا من فراره :

لعمرك ما ولت ظهري محمداً * وأصحابه جُبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي * رجعت لعمود كالمزبر إلى الشبل

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج :
يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله ، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر
بقيين من رمضان .

ذكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم
فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه
قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر
وأربع نسوة، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم : عكرمة بن أبي جهل، وهبار
ابن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابه اللبثي، والحويرث
ابن ثقيس بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة،
وسارة مولاة عمرو بن هشام، وقرنبي، وقريبة .

فأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآمنته ، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

٥. حكى الزبير بن بكار قال : لما أسلم عكرمة قال : يا رسول الله ، علمني خير شيء تعلمه أقوله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ” شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله “ ، فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا ، وأشهد بذلك من حضرني ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي ؛ فأستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال عكرمة : والله لا أدع ثقة كنت أنفقت في صد عن سبيل الله إلا أنفقت في سبيل الله ، ولا قتلا قاتلته إلا قاتلت ضعفه ؛ ثم أجهت في الجهاد والعبادة حتى استشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام ؛ وقيل : استشهد في آخر خلافة أبي بكر ، قيل : في يوم اليرموك . وقيل : في يوم مرج الصفر^(١) ، وقيل : أجنادين^(٢) . والله أعلم .

١١٤
١٥

- وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فإنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ؛ فارتد ورجع إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أخوه من الرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمن له بعد أن أطمأن الناس ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : ” نعم “ ؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه : ” لقد صمت ليقوم إليكم بعضكم فيضرب عنقه “ ،

٢٠ (١) مرج الصفر : موضع بالشام كانت به رقعة نسيب مع الروم ، وهو بالقرب من غوطة دمشق .
(٢) أجنادين : موضع بالشام كانت به رقعة مشهورة بين المسلمين والروم .

فقال رجل من الأنصار : فهلاً أومأت إلى يارسول الله ؟ فقال : ” إن النبي لا يقتل بالإشارة “، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك .

وأما مقيس بن صُبابة ، فإن أخاه هشام بن صبابة كان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق بالمرسيب ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فقدم مقيس هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأظهر الإسلام ، وقال : يارسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطلب ديةً أُنحى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه ، فأقام غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله لذلك ، فقتله مُميلة بن عبد الله ؛ رجل من قومه .

وأما الحويرث بن ثقيذ فقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه ، لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العباس بن عبد المطاب حمل بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأمّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة ، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض .

وأما عبد الله بن خَطل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصدّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وهو مسلم ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام وأستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فقتله ثم ارتد ، وكانت فرثي وقريبة قيتناه تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل ابن خَطل

سعيد بن جريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي، اشتراكاً في دمه، وقتلت إحدى قينتيه وهربت الأخرى، حتى آستؤمن لما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنها .

وهند بنت عتبة أسلمت . ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، ومن الشرط فيها ألا يسرقن ولا يزينن ، قالت : وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : ” ولا تقتلن أولادكن “، قالت : قد ربيناهم صغاراً، وقتلتهن أنت بيدركجاء، أو نحو هذا من القول، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان شحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال : ” خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك “ .

وأما سارة فأستؤمن لها ، فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما هبار فإنه هرب فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه .

ذكر إسلام أبي خُفافة عثمان بن عامر بن عمرو بن

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذى طوى قال أبو خُفافة لأبنة له

من أصغر ولده : أي بُنية ، أظهرى بي على جبل أبي قبيس — قالت : وكان قد

كُف بصره — فأشرفت به عليه فقال لها : أي بُنية ؟ ماذا ترين ؟ قالت : أرى

سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخليل ؛ قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك

السواد مقبلاً ومدبراً ؛ قال : أي بُنيته ، ذلك الوازع ، — يعنى الذى يأمر الخليل

ويتقدم إليها — ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ فقال : قد والله إذاً دفعت

الخليل ، فأسرعى بي إلى بيتي ؛ قالت : فأخطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل

إلى بيته ؛ قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورق ، فنلقاها رجل فاقطعته من عنقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه"؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشی إليك من أن تمشی إليه أنت ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : "أسلم" ، قالت : فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبو بكر وكأت رأسه نغامة (٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "غيروا هذا من شعره" ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ؛ فلم يجبه أحد ؛ قالت : فقال : أى أختية ، إحسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

وأسلم عبد الله بن الزبيرى عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الأذى في الجاهلية ، فأسلم وأعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل عذره ، وكان شاعرا مجيدا ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : وله في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره ، منها قوله :

منع الرقاد بلابلٌ وهمومٌ * والليل مُعتلج الرواق بهيم (٣)
 مما أنانى أنت أحمد لامنى * فيه فبت كأننى محموم
 ياخير من حملت على أوصالها * عيرانة سرح اليدن غشوم (٤)

(١) الورق : الفضة ؛ وقيل : الذهب والفضة (اللسان) . (٢) النغامة : نبت أبيض الزهروالتمر ؛ يشبه بياض الشيب به . (٣) البلابل : الوسواس المختلطة ، ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواق الليل : مقدمه وجانبه . والبهيم : الذى لا ضياء فيه .
 (٤) العيرانة من الإبل : السريعة في نشاط . وسرح اليدن : سريرتها . وغشوم : لا يشبهها عن مرادها شي .

إني لمعتذرٌ إليك من الذي * أسديتُ إذ أنا في الضلال مُقيمٌ
 أيام تأمرني بأغوى خُطية * سَهَمٌ، وتأمرني بها مَخزومٌ
 وأمدتُ أسباب الردى ويقودنى * أمرُ النُوءة، وأمرهم مَشْهُومٌ
 فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ * قلبى ومُحطُّ هذه محرومٌ
 مضت العداوة وأنقضت أسبابها * وأتت أواصرُ بيننا وحُلومٌ
 فأغفرِ فدى لك والذى كلالها * وأرحم فإنك راحمٌ مرحومٌ
 وعليك من سِمة المليك علامة * نورٌ أغرٌ وخاتمٌ مختومٌ
 أعطاك بعد محبةٍ برهانه * شرفاً وبرهانُ الإله عظيمٌ

ذكر دخولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وطوافه بالبيت

ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأطمان الناس ، خرج
 حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحته يستلم الزكن بمحجن في يده ، فلما قضى
 طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد
 فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده وطرحها ، ثم وقف على باب الكعبة فقال :
 ”لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده
 الا كلُّ مائةٍ أو ديمٍ أو مالٍ يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سِدانة البيت وسقاية
 الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، فيه الدية مغلظة ، مائة من
 الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب
 عنكم نخوة الجاهلية وتعمّتها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب“ ، ثم تلا قوله

١١٦
١٥

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^(١) ۝ ﴾ ثم قال : «يامعشر قريش ، ماترون أتى فاعل فيكم؟» قالوا : أخ كريم وأبن أخ كريم ، قال : «إذهبوا فانتم الطلقاء» ؛ ثم جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ؛ فقال : «أين عثمان بن طلحة؟» فدعى له ، فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء» ؛ حكاه محمد بن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح وقال : «خذوها يا بنى أبي طلحة تالدة خالدة ، لا يتزعها منكم إلا ظالم» ؛ ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب .

قال عبد الملك بن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : «قاتلهم الله ، جعلوا شيئا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٢) ۝ ﴾ » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال : ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح ، فأمره أن يؤذن ، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يفيظه ؛ فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لآتبعته ؛ فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا .

لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "قد علمت الذى قلت"، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح على راحته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١)﴾، فما أشار صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لِقفاه، ولا لِقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، وكان أعظمها هبل، وساق الحديث نحو ما تقدم، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الثواب أو العتابا

قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر فقال: "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ولا يحل لنا من غنائمها شيء"، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة يصلى ركعتين ركعتين، وبث سرايا، ثم خرج إلى حنين.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العزرى وهدمها

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزرى ليهدمها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليال يقين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارسا

من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدهما، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "هل رأيت شيئا؟" قال: لا، قال: "فإنك لم تهديهما، فارجع إليها فأهديهما"؛ فرجع خالد وهو متغيظ، بفخذ سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء: نثرة الرأس^(١) فجعل السادن يصبغ بها، فضرها خالد بفخذها آنتين، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "نعم، تلك العزى، وقد يئست أن تُعبد ببلادكم أبدا"، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع وكسره

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بعد الفتح أيضا إلى سِوَاع، وهو صنم هذيل ليهدهم؛ قال عمرو: فأتتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدهم. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنع؛ قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك! وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سرية سعد بن زيد الأشملي إلى مَنَاة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان أيضا إلى مَنَاة — وكانت بالمشلل للأوس والخزرج وغسان — ليهدهما، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مَنَاة؛ أنت وذلك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل

(١) نائرة الرأس: منثرة شعر الرأس.

(٢) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

وتَضْرِبَ صَدْرَهَا ؛ فقال السادن : مناة دونك بمَضَّ غَضَبَاتِكَ ؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه ، ولم يجدوا في خِزانتها شيئا ، وأنصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان .

ذَكَرَ سُرِّيَّةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ بْنِ عَامِرٍ

أَبْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كَثَّانَةَ ، وَهُوَ يَوْمَ الْغَمِيصَاءِ

قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدمِ العزى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، بعثه في شِوَالِ إلى بني جَدِيمَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يَمَلَمَ ، داعيا إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلا ، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سليم ، نأتهى لآلِهِمْ خالد بن الوليد ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صَلَّينا وصدَّقنا بمحمد ، وبنينا المساجد في ساحاتنا ، وأذنا فيها ؛ قال : فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا : إن بيننا وبين بعض العرب عداوة ، نخفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا السلاح ؛ قال : فضعوا السلاح ؛ قال : فوضعوه ، فقال لهم : استأسروا ؛ فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكثف بعضهم وفزقهم في أصحابه ، فلما كان في السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليُدْفَأْهُ ؛ أى فليُجهز عليه بالسيف .

فَأَمَّا بَنُو سُلَيْمٍ فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَارْسَلُوا أَسَارَهُمْ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ ، فَقَالَ : ” اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ ” ؛ وَبِثَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَوَدَى لَهُمْ قَتْلَهُمْ وَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ .

وفد حكى أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني ^(١) ، خبر هذه العمريّة في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عاصر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتله ، وذَكَرَ خبره مع حُبَيْشَة ، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفْعَة : دون المحتلم ، لتزور جارة لها ، وكانت لها بنت يقال لها : حُبَيْشَة إحدى بنات عاصر بن عبد مناة ، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه ؛ وأنصرف وترك أمه عند جارتها ، فبقيت عندها يومين ، ثم أتاها ليرجعها إلى منزله ، فوجد حُبَيْشَة قد زُيِّنَت لأمرٍ كان في الحى ، فازداد بها عجباً ، وأنصرف بأمه في غداة تمطر ، فشى معها وجعل يقول :

فا أدري بلى لى لأدري * أصوب القطر أحسن أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَة والذى خلق الهدايا * وما إن عندها للصبِّ عيش ^(٢)

قال : فسمعت ذلك حُبَيْشَة ، فتعافلت عنه ، وكرهت قوله ، ثم مشى ملياً فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمّنا خَبْرِي غَيْرِ كاذِبَةٍ * وما يريد مسؤل الحق بالكذب
أنت أحسن أم ظبي برايسية * لا بل حُبَيْشَة في عيني وفي أربى

قال : فزجرته أمه ، وقالت : ما أنت وهذا ، أنا مزوجتك بنت عمك ، فهى أجمل من تلك ، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت : زيني أبتك له ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فلما رآها أطرق ، فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

(١) الخبر في الأعراب ٧ : ٢٨٠ (صع دار الكتب المصرية) .

(٢) رواية الأعراب : « وما عن بعدها للصبِّ عيش » .

إذا غيبت عني حبيشة مرة * من الدهر لم أميك عزاء ولا صبراً
 كأن الحشا حر السعير يحشيه^(١) * وقود الغضى فالقلب مضطرم جمرًا

قال : وجعل يرسل الجارية وتراسله ، حتى علقته كما علقها ، وكثر قوله الشعر
 فيها ، فمن ذلك قوله^(٢) :

حبيشة هل جدى وجدك جامع * بشمك شملى وأهلكم أهلى؟
 وهل أنا ملتف بشوبك مرة * بصحراء بين الأيكتين إلى النخل؟
 ومرتشف من ريق نغرك مرة * كرايح وميسك خالطاً عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره ، حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قوله الشعر
 فيها ، فأثروها فقالوا لها : عديه السرحة ، فإذا أتاك فقول له : نشدتك الله إن
 أحببتني فما على الأرض شيء أبغض إلى منك ، ونحن قريب نسمع ما نقولين ؛
 فواعدته ، وجلسوا قريباً يسمعون ، وجلست عند السرحة ، وأقبل عبد الله
 لموعدها ، فلما دنا منها دعت عينا ، وألقت حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم
 قريب ، فرجع ، وبلغه ما أمروها به أن تقوله ، فأنشأ يقول :

فلو قلت ما قالوا لزدت جوى جوى^(٣) * على أنه لم يبق ستر ولا صبر
 ولم يك حبي عن نوال يذله * فيسليني عنك التجلد والهجر^(٤)
 وما أنس من الأشياء لم أنس دمعها * ونظرتها حتى يغيبني القبر

(١) حش النار : أوقدها . (٢) في الأغاني خلاف في رواية بعض الأبيات .

(٣) رواية الأغاني :

* لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم *

(٤) رواية الأغاني :

* فيسليني عنك التجهد والهجر *

قال : وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى بني عامر ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا قاتلهم ، فصَبَّحَهُمْ خالد بِالْعَمِيصَاءِ وقد عبدوا به وخافوه ، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، فلما صَبَّحَهُمْ خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك ابن خالد بن صخر بن الشريد ، وإخوته كُرُز وعمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم في موطن واحد . فلما صَبَّحَهُمْ خالد ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نُفُورا ، فقال لهم خالد : أسلموا ، فقالوا : نحن مسلمون ؛ قال : فالتقوا سلاحكم وأنزلوا ، قالوا : لا والله ؛ فقال لهم حَديمُ بنُ الحارث أحد بني أقرم : يا قوم ، لا تَلْقُوا سلاحكم ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ؛ قالوا : والله لا نُلقي سلاحنا ولا نزل ، فما نحن لك ولا لمن معك بآمنين ؛ قال خالد : فلا أمان لكم ؛ فترلت فرقةٌ منهم فأسروهم ، وتفترق بقية القوم فرقتين ؛ فأصعدت فرقة وسفلت أخرى .

قال ابن دأب : فأخبرني من لا أتهم عن عبيد الله بن أبي حذرد الأسامي قال : كنت يومئذ في جُند خالد ، فبعثنا في إثر طُغَيْنٍ مُصْعَدَةٍ يسوق بها فتية ، فقال : أدركوا أولادك ؛ فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم ، ففَضُّوا . ووقف لنا غلام على الطريق ، فلما آتينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول :

أرْخِينِ أَطْرَافَ الدُّيُولِ وَأَرْتَعِنِ^(١) * مشى حَيَّاتٍ كَأَن لَمْ يَفْزَعَنَّ

* إِنْ يُمْنَعُ الْيَوْمَ نِسَاءً مُمْنَعَنَّ *

فقاتلنا طويلا ، فقتلناه ومضينا ، حتى لحقنا الظمن ، فخرج إلينا غلام كأنه

الأول ، فجعل يقاتلنا ويقول :

(١) في الأصلين يوافق ما في الإصابة . وفي ابن هشام : « جحدم » . وفي الأعشى « جذبية » .

(٢) في الأعشى : * بين أطراف الديول واربعين *

ورواية ابن هشام : * رخين أذبال المروط واربعين *

أَقْسِمُ مَا لَنَا خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ ^(١) * يَسْرِزِمُ بَيْنَ أَيِّكَةِ وَوَهْدَةٍ ^(٢)
يَفْرِسُ ثِيَابَ الرِّجَالِ وَحَدَّةً * بِأَصْدَقِ الْفِدَاةِ مِنِّي تَجْدَةً

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّنن ، وإذا فهين غلام وضىء به صُفْرَةٌ في لونه
كالمنهوك ، فربطناه بحبل ، وقدمناه لنقتله ، فقال : هل لكم في خير ؟ قلنا :
ما هو ؟ قال : تدركون بي الظنن أسفل الوادي ثم تقتلونني ؛ قلنا : نعمل ؛ فخرجنا
حتى نعارض الظنن بأسفل الوادي ، فلما كان بحيث يسمعون الصوت ، نادى
بأعلى صوته : اسلمى حبيش ، عند فقد العيش ؛ فأقبلت إليه جارية بيضاء حسناء ؛
فقلت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ؛ قال : سلام عليك دهرًا ،
وإن بقيت عصرا ؛ فقلت : وأنت سلامٌ عليك عشرا ، وشقعا ووترا ، وثلاثة تترى ؛
فقال :

إِن يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشَ فَلَمْ يَدَعْ * هَوَاكَ لَمْ مِنِّي سِوَى فُلَّةِ الصَّدْرِ
فَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحْيَ مِنْ دِمِي * وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتِ الدَّمُوعَ عَلَى نَحْرِي
فقلت له :

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً * وَأُخْرَى وَأَسِينَاكَ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسِيرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَبْعُدُ فَنِعْمَ قَتَى الْهَوَى * جَمِيلُ الْعَفَافِ وَالْمُودَةِ فِي مَسْتَرِ
فقال لها :

أَرَيْتِكَ إِنْ طَالَبْتِكُمْ فَوَجَدْتِكُمْ * بِحِزَّةٍ أَوْ أَدْرَكْتِكُمْ بِالْخَوَاتِقِ ^(٤)
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُتَوَّلَ عَاشِقٌ * تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٥)

(١) في الأصل : «ذو ولده» . وما أثبتناه عن ابن هشام والأغانى . (٢) في الأغانى «يزار» .

(٣) في الأغانى والمواهب (٣ : ٥) : « بحيلة » . (٤) الخواتق : موضع بهامة .

(٥) الودائق : جمع وديقة . وهي شدة الحر في الظهر .

فقلت : بلى والله، فقال :

فلا ذنب لى قد قلتُ إذ نحن جبرٌ * أثمبى بوذ قبل إحدى الصَّفائق^(١)
أثمبى بوذ قبل أن تشحطَ النوى * وبنأى الخليطُ بالحبيب المفايق

قال ابن حنرد : فقدّمناه فضرّبنا عنقه ، فأقتحمت الجارية من خدرها حتى أهوت نحوه ، فألتقمتُ فاه ، ففرزنا منها رأسه ، وإنها لتتبعُ نفسها حتى ماتت مكانها ، وأقلت من القوم غلام من بنى أقرم يقال له السّميدع حتى أفتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ماصنع خالد وشكاه . قال ابن دآب : فأخبرنى صالح بن كيسان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل أنكر عليه أحد ماصنع " ؟ قال : نعم ، رجل أصفر ربعة^(٢) ، ورجل طول أحمر ، فقال عمر رضى الله عنه : أنا والله يارسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو أبى ، وأما الآخر فمولى أبى حذيفة ، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيرا أن يقتله ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبى حذيفة أسيرين كانا معهما ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب بعد فراغه من حنين ، وبعث معه بإبيل وورق ، وأمره أن يديهم ، فوداهم . ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله ، فقال : قدمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيب منكم من القتلى والجرحى ، وتحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما علم وما لم يعلم ؟ ، فقالوا : نعم ، قال : فدفعته إليهم ، وجعلت أديهم حتى إتى لأدى مبلغ الكلب^(٣) ،

(١) الصفاق : الخطوب ، واحدها صفيقة . وفي الأغاني : « البواتق » .

(٢) في الأغاني : « لكسع بنفسها » .

(٣) الربعة من الرجال : الذى بين الطويين ونصفه .

(٤) المبلغ : الإبه . الذى بلغ فيه الكلب .

وفضلتُ فضلةً فدفعتمُا إليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أَقْبِلُوهَا “ ؟
قلت : نعم ؛ قال : ” فوالذي أنا عبده لذاك أحبُّ إليّ من حمر النعم “ .

١٢٠
١٥

وروى أبو الفرج أيضا بسند رفعه إلى عمر بن شبة ، قال : قالوا : يُروى
أن خالدا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن غزاته بنى جذيمة ، فقال :
إن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثتُ ، فقال : ” تحدثتُ “ ، فقال :
لقيناهم بالقميصاء بعد وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب ،
ففتحنا الله عز وجل أكتافهم ، فاتبعناهم نطلبهم ، فإذا غلام له ذوائب على فرس
في أحريات الناس ، فبوات له الرمح فوضعتُه بين كتفيه . فقال : لا إله ، فقبضتُ
الرمح ، فقال : إلا الآلات أحسنتُ أو أساءتُ ، فهشمتُه هشمةً أرديته بها ،
ثم أخذته أسيرا ، فشددته وثاقا ، ثم كلمته فلم يكلمني ، وأستخبرته فلم يخبرني ؛
فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بنى جذيمة يسوق بهنَّ المسلمون ، فقال :
يا خالد ، فقلت : ما تشاء ؟ فقال : هل أنت واقفي على هذه النسوة ؟ فأبيتُ ، فألى^(٤)
على أصحابي ، ففعلتُ ، وفيهنَّ جارية تدعى حبيشة ، فقال : لها : ناوليني يدك ،
فناولته يدها في ثوبها ، فقال : اسأمي حبيش - قبل نفاذ العيش . فقالت : حبيتُ
عشرا ، وتسمعا تترى ، وثمانيا أخرى ، فقال :

أريتِك إذ طالبتكم فوجدتكم * بتخلة أو أدركتكم بالحوانيق
ألم يك حقا أن ينول عاشق * تكلف إدلاج السرى والودائق

(١) الأغاني ٧ : ٨٩

(٢) بؤا له الرمح : سده .

(٣) كذا في جـ الأغاني ، وفي أ : « أفت » .

(٤) آلى على أصحابي ، أى حلفوا .

(٥) هي نخلة البنية ، وفي الأغاني : « حلية » . وحلية موضع بهامة .

فقلت : بلى ، فقال :

فقد قلت إذ أهلى وأهلك جيرة * أئبى بوذ قبل إحدى الصفائق
 أئبى بوذ قبل أن تَسْحَطَ النوى * وينأى الأمير بالحبيب المُفارق
 فإني لا ضيّعتُ سرّاً مانيّة * ولا راق عيني بعد عينك رائق^(١)

قال خالد : فغاضني ما رأيت من غزاه وشعره في حاله تلك ، فقدّمته فضربت عنقه ، فأقبلت الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضعت في حجرها ، وجعلت ترشّفه وتقول :

لا تَبْعِدَنَّ يا عمرو حياً وهالكا * ولا يبعِدَنَّ المدح مثلك من مثلي^(٢)
 ولا تبعِدَنَّ يا عمرو حياً وهالكا * فقد عشت محموداً لنا ماجد الفعل
 فن ليطراد الخيل تُسَجِّرُ بالقنا * وللنحر يوماً عند قرقرة البزل^(٣)

فما زالت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت ، وإن رأسه لفي حجرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لقد وقفت لى يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته “ . والله أعلم .

ذكر غزوة حنين ، وهى إلى هوازن وتقيف

غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجره . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، مشى أشراف هوازن وتقيف بعضها إلى بعض ، وحشدوا وأوعبوا وبغوا ، وجمع أمرهم مالك بن عوف النَّصْرى ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وأمرهم بقاءهم بمواهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس ، وجعلت الأمداد تأتيهم .^(٤)

(١) فى هذا البيت يقوا . (٢) كذا فى الأصلين ، وفى الأغانى :

* فحق بحس المدح مثلك من مثلى *

(٣) تسجّر : تطلق . النجر : جمع بازر ؛ وهو البعير فى السنة التاسعة ، والقرقرة : دعا . الإبل ؛

وهى أيضاً هدير الفحل . (٤) أوطاس : وادى بلاد هوازن .

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوزن ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال: ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغابت عنها من هوزن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحده له اسم؛ قال: وفي بني جشم دريد بن الصّمة، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمر سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه. وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان على ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقيفي. قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوزن وثقيف.

- ١٠ قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصّمة، والصّمة: معاوية الأصغر بن بكر ابن علقمة، وقيل: علقمة بن خراعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوزن في شجاره يقاد به - والشجار الهودج - فلما نزل دريد قال: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرر، ولا سهل دهن، ثم قال: مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويغار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويغار

(١) في ابن هشام ٤ : ٨٠ « وأخوه أحر بن احرث » .

٢. (٢) الحزن : ماغلظ من الأرض . والضرر : نصب من الحجارة . والدهس : المكان السهب

(٣) يغار الشاء : صوتها .

الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فَأَقْصَّ بِهِ ، — أى صاح — ثم قال : راعى ضانٍ والله ! وهل يردّ المنزَمَ شيء ! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد ، قال : غاب الحدُّ والحدُّ ؛ ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددتُ أنكم فعلتم كما فعلت ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذَانِكَ الْجَدَّاعَانِ مِنْ عَامِرٍ لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَّانِ ، يَا مَالِكَ : إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ ، بَيْضَةُ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الْخَيْلِ شَيْئًا ، اِدْفَعَهُمْ إِلَى مَمْتَنَةِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلِيًّا قَوْمَهُمْ ، ثُمَّ أَلْقَى الصَّبَاءَ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لِحْقِ بَكَ مِنْ وِرَائِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكُ ذَلِكَ ، قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَفْعَلُ ، إِنَّكَ قَدْ كَبَّرْتَ وَكَبَّرَ عَقْلُكَ ، وَاللَّهِ لَتَطِيعُنِي يَامَعْشَرَ هَوَازِنَ أَوْ لَا تَكْتُنَنَّ عَلَى هَذَا السِّيفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدْرِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ فِيهَا ذِكْرٌ وَرَأَى ، قَالُوا : أَطْعَمْنَاكَ ، فَقَالَ دَرِيدٌ : هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدَهُ وَلَمْ يَقْتُنِي .

يَالْبَيْتِي فِيهَا جَدَّعٌ * أَحْبَبَ فِيهَا وَأَضَعُ
أَقْسُودٌ وَطَعَاءُ الزَّمْعِ * كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

(١) الجذع بالتحريك : الشاب الحديث .

(٢) بيضة هوازن : أصلهم ويجمعهم . (٣) في الأصلين : « الظبا » تحريف . صوابه من ابن هشام . والصباء في الأصل : جمع صابغ ، وهو من خرج من دين إلى دين . وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا . وفي اللسان في حديث هوازن : « وألقى الصبي » (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أى الذير يشبهون الحرب ويميلون إليها . (٤) الخب والوضع : ضربان من السير . والوطفاء : الطويلة الشعر . والزعج : شعر الذى فوق مريض قيد الهداية ، يريد مرصا صفا هكذا ، والمراد بالشاة الوعر . وصدع ، أى وصل بين الوعرين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الخشني) .

ثم قال مالك بن عوف للنس : إذا رأيتموهم فاكبروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد ؛ قال : وبعث مالك بن عوف عيوننا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم من الزعب ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلا ييضا ، على خيل بلق ، فوالله ما تماسكا أن أصابنا ما ترى ، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ؛ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى هوازن لقتالهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا وملاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : ” أعرنا سلاحك نلق به عدونا “ ؛ فقال : أغضبا يا محمد ؟ فقال : ” بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك “ ؛ قال : ليس بهذا بأس ؛ فأعطاه مائة درع بما يكفها من السلاح ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في آئتي عشر ألفا من المسلمين : عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة ، وألفان من أهل مكة .

قال الثعلبي : قال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفا وخمسمائة .

وقال الكلبي : كانوا عشرة آلاف ، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لن نغلب اليوم من قلة “ ، حكاه ابن إسحاق . وقال محمد بن سعد : قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه . قال الثعلبي : ويقال : بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له : سلمة بن سلامة .

قال ابن سعد : وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية .

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان الكفار قريش ومن سواهم من العرب سِدْرَةً عَظِيمَةً خَضْرَاءَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ . يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ يَمْلِقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا ، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا ؛ قَالَ :

فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ خَضْرَاءَ عَظِيمَةً ، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . جَعَلْنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ : ” اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَتَمْتُ وَالَّذِي نَفْسِي مَعَهُ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مِثْلَى لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١) إِنَّهَا السُّنَنُ ، لَتَرْكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ “ ،

قَالُوا : وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنينٍ مَسَاءَ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ لِمَشْرِخَلُونَ مِنْ شَوَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ عَمَدَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ إِلَى أَصْحَابِهِ فَعَبَأَهُمْ فِي وَادِي حُنينٍ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ حَمَلَةً

وَاحِدَةً ، وَعَبَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي السَّحَرِ . وَصَفَّهُمْ صُفُوفًا ،

وَوَضَعَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ فِي أَهْلِهَا مَعَ الْمُهَاجِرِينَ : لُؤَاءُ يَجْمَعُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَرَايَةَ يَجْمَعُهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَرَايَةَ يَجْمَعُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَلُؤَاءُ الْخَزْرَجِ يَجْمَعُهَا

حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ — وَيُقَالُ : سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ — وَلُؤَاءُ الْأَوْسِ مَعَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَفِي كُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لُؤَاءٌ وَرَايَةَ يَجْمَعُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ مَسْمُومٌ . وَكَذَلِكَ قَبَائِلُ

العرب فيها الألوية والرايات يجمعها قوم مسمون، وكان رسول الله صلى الله عليه

(١) السدرة : شجرة البقي

(٢) الأعراف : ٣٨

١٢٢
١٥

١٠

١٥

٢٠

وسلم قد قدم سَلِيحًا من يوم خرج من مكة، وأستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قَدِمَ الجِعْرَانَةَ . قال : وأنحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين على تعبثته ، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل» ، ولبس درعين والمِغْفَر والبيضة ، فأستقبلهم من هوازن شئ لم يروا مثله قَط من السواد والكثرة ، وذلك في غَبَش الصبح ^(١) وخرجت الكئاب من مَضِيق الوادي وسعته ، فحملوا حملة ، وأنكشفت الخيل خيل بنى سليم مولية ، وتبعهم الناس منهزمين ، وأنحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، وجعل يقول : يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أنا عبد الله ورسوله ، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، والفضل بن العباس ، وأبو سفيان وأسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته وأصحابه .

قال الكلبي : كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانمائة من المسلمين ، وأنهم سائر الناس عنه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس : ناد ، يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمر ^(٢) ، يا أصحاب سورة البقرة ، فنادى — وكان صيتا — فأقبوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون : يا ليك يا ليك ! فحملوا على المشركين ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال : «الآن حمي الوطيس ^(٣) .

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب»

(١) غبش الصبح : ظلمة آخر الليل ، وفي ابن هشام : « عماءة الصبح » .

(٢) السمر : شجرة الطلع ، وهي التي كانت عددا بيعة الرضوان عام المدينة .

(٣) الوطيس : التنور يخبر به . وفيه : هو حجارة توفد العرب تحتها الأار ويشورون بها الحزم ،

وقيل غير ذلك .

ثم قال للعباس بن عبد المطلب : فاولئى حصيات ، فناوله حصيات من الأرض ، ثم قال : "شاهت الوجوه" ورمى بها وجوه المشركين ، وقال : "انهزموا ورب الكعبة" وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وانهزموا لا يلوئى أحد منهم على أحد .

قال محمد بن إسحاق : لما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة مكة الهزيمة ، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأرزلام لمعه في كنانته ، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : أسكت نص الله فاك ! فوالله لأن يربنى رجل من قریش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن ، وقال شيبه بن عثمان بن أبى طلحة : اليوم أدرك نأرى من مجد - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل مجد . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شىء حتى غشى فؤادى ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع منى .

وفى رواية أخرى ، قال شيبه بن عثمان : استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة . فأطلع الله رسوله على ما فى نفسى ، فالتفت إلى وضرب فى صدرى وقال : "أعبدك بالله يا شيبه" ، فأرعدت فرائضى ، فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمى وبصرى

فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما فى نفسى .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكمة بقلته البيضاء ، وقد شجرتها بها ، وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت ،

(١) يربنى : يكون . أى ، أى ما ليك على .

(٢) الحكمة بحركة . خاص بحكى الفرس من لحمه .

(٣) شجرتها بها . أى وضعته فى شجرها . وهو مجتمع الهيب

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس ^(١) ” [أين] أيها الناس“ ، فلم أر الناس يَلُوون على شيء ، فقال : ” يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمرَة “ قال : فأجابوا ليك ليك ، قال : فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، ويأخذ دِرْعَه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقترجم عن بعيره ويحلى سبيله ، فيؤم الصوت حتى يتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فأقتلوا ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر إلى مجتهد القوم ^(٢) ، فقال : ” الآن حمى الوطيس “ .

١٢٣
١٥

قال جابر بن عبد الله : فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وألثفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سليم ابنة ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها يبرد لها . وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أم سليم “ ؟ قالت : نعم ، بأبي وأمي يا رسول الله ! أقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقتلونك فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أو يكفي الله يا أم سليم “ ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به . ^(٣)

(١) الزيادة عن ابن هشام .

(٢) مجتهد القوم : مكان جلادهم بالسيف .

(٣) بعج بطنه : شقته .

وقل محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير
ابن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل الجاد الأسود
أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث قد
ملا الوادي ، لم أشك أنها الملائكة ، ولم تكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما أنهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ،
وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٢) ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك النبايا ، فأدرك ربيعة بن
رقيع بن أهبان — وهو ابن الدغنة — دريد بن الصمة وهو في شجار له أي هودج ،
فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، فأناخ به ، فإذا هو شيخ كبير والغلام
لا يعرفه ، فقال له دريد : ما تريد بي ؟ قال : أقتلك ؛ قال : ومن أنت ؟ قال :
أنا ربيعة بن رقيع السلمي ، ثم ضرب به بسيفه فلم يئن فيه شيئا ، فقال : بس
ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل في الشجار ، ثم أضرب به ،
وأرفع عن العظام ، وأخفض عن الدماغ ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال ،
ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة . فرب والله يوم قد منعت
فيه نساءك ، فقتله . ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياد ، فقالت : أما والله
لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي قتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قبيع
ابن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة ؛ قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار
من توجه قبيل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك بعض من أنهزم ، فناوشوه
القتال ، فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام

(١) الجاد الكساء ، وجمعه جد بصتين . (٢) يريد نخلة اليمنية .

ويقول : اللهم أشهد ؛ ثم برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله . وأستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اللهم آغفر لأبي عامر وأجمله من أعلى أمتي في الجنة ” ، ودعا لأبي موسى .

- وقال ابن هشام في خبر أبي عامر : إنه قتل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم أشهد عليه ، فيقتله أبو عامر ، ويبقى العاشر ، فحمل كلُّ منهما على صاحبه ، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال : اللهم أشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد علي ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : ” هذا شريد أبي عامر ” ، ورعى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جشم ابن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه . والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى فحمل أيهما فقتلها .

وقال أبو الفرج الأصفهاني : إن الذي رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سلمة ^(١) ابن دريد بن الصمة . وإنه أرتجز فقال :

- ١٥ إِنْ تَسَأَلُوا عَنِّي فَأَيُّ سَلْمَةٍ * إِنْ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهُ
 * أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِعْوَسَ الْمُسَلِّمَةِ *

قال : وخرج مالك بن عوفٍ عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : ففوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم ، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزمة الناس .

(١) في كلا الأصلين : « دريد » .

(٢) سمادير : امرأة دريد بن صمة .

١٢٤
١٥

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بؤادهم فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضي رماحهم أغفالا على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أتوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحاه على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء ، فقال : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات ليخالطنكم ، فأثبؤا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية ، أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قالوا : ولما أنهزم القوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من قُدر عليه ، فحرق المسلمون عليهم ، فقتلوا الذرية والنساء ، فمز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بأمرأة قد قتلها خالد بن الوليد ، فقال : " ما هذه " قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : " أدرك خالد بن الوليد فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل ولدا أو امرأة " ؛ وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْيَرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾

(١) البؤاد : جمع البؤاد . وهو ماطر الضمد .

(٢) الأعفال : جمع عفر . وهو الذي لا علامة له . يريد أنهم . يعطون صفة شئ . يعرفون به .

(٣) سورة التوبة ٢٥ - ٢٠

قال الثعلبي : قال سعيد بن جبير : أمد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بمخسة آلاف من الملائكة ^(١) مسؤمين .

وقال الحسن ومجاهد : كانوا ثمانية آلاف .

وقال الحسن : كانوا ستة عشر ألفاً ، قال سعيد بن جبير : حدثني رجل كان
في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يقفوا لنا حلبة شاة ، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم ، حتى إذا أتتينا إلى
صاحب البغلة الشهباء — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — نلقانا رجال بيض
التياب حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شأهت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبوا
أكتافنا ، فكانت إياها . يعني الملائكة .

قال : وفي الخبر أن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للؤمنين بعد القتال :
أين الخليل البلق ، والرجال عليهم ثياب بيض ؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة ،
وما كان قتلنا إلا بأيديهم ، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " تلك
الملائكة " .

وقال محمد بن سعد : كان سببا الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها
بين أكتافهم .

قال ابن إسحاق : وأستشهد من المسلمين يوم حنين من بني هاشم أيمن بن
عبيد ، ومن بني أسد يزيد بن زعمة بن الأسود ، ومن الأنصار سرافقة بن الحارث
ابن عدي ، ومن الأشعرين أبو عامر .

وقال ابن سعد : ورقم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان ، واستحز القتلى في بني نصر

ابن معاوية ، ثم في بني رئاب ، فقال عبد الله بن قيس ، وكان مسلما : هلكت

(١) مسؤمين ، أي معلمين .

بنورثاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أجبر مصيبتهم ". قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فجمعت ، وحُدِرت إلى الجعرانة ، وعليها مسعود بن عمرو الغفاري ، فوقف بها بالجعرانة حتى أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظنون بها من الشمس ، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدؤسي إلى ذي الكففين

بمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ عند منصرفه من غزوة حُنين ، وتوجهه إلى الطائف ليهدم ذا الكففين صنم عمرو بن حمة الدؤسي ، وأمره أن يستمد قومه ويأتيه بالطائف ، فخرج سريعا إلى قومه ، فهدم ذا الكففين وجعل يحشُّ النار في وجهه ويقول :

يا ذا الكففين لستُ من عبادك * ميلادنا أقدم من ميلادك

* إني حششتُ النار في فؤادك ^(١)

وأحمد معه من قومه أربعائة سراعا ، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدّمه بأربعة أيام ، وقدم الطفيل معه بدباية ^(٢) ومنجنيق .

ذكر غزوة الطائف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ من مهاجره ، وذلك أنه لما أنهزمت هوازن وثقيف يوم حُنين ، وجمعت السبايا والغنائم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ،

(١) حش النار : أوقده . (٢) الدباية : آفة تخد في الحروب يدخل في جوفها الرجال ثم تدفع في أصل الحصن فيقبونه وهم في جوفها .

وقد كانت ثقيف رهوا حصنهم ، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما أنهزموا من أوطاس ، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهبثوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المُلح ، ثم على بُحرة الرِّغاء من لية ^(١) ، فأبتنى بها مسجداً يُصلى فيه .

قال ابن إسحاق : وأفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ببحرة الرِّغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُقيدَ به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلاً من هذيل فقتل به ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بليّة بحصن مالك ابن عوف ، فهدم ، ثم سلك في طريق يقال لها : الضبيقة ، فسأل عن اسمها . فقال : " ما اسم هذه الطريق " ؟ فقالوا : الضبيقة ، فقال : " بل هي اليسرى " ، ثم خرج منها ^(٢) على نخب حتى نزل تحت سِدرة يقال لها : الصادرة ، قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : " إنا أن نخرج وإنا أن نخرّب عليك حائطك " ، فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه ، ثم مضى حتى نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلا .

قال ابن إسحاق : وهم سعيد بن سعيد بن العاص ، وعمر قُطبة بن جناب ، حليف لهم من أسد بن الغوث .

وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، رُمي فاندمل جرحه ، ثم انتقض ^(٤) بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه .

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .

(١) هذه أسماء مواضع بالطائف . (٢) نخب : (فتح ثم كسر) : واد بالهاتف (ياقوت) .
 (٣) في ابن هشام : « من فريش ثم من بني أمية بن عبد شمس سعيد... » . (٤) في ابن هشام : « ومن بني تميم بن مرة عبد الله ... » . (٥) يقال : انتقض الجرح إذا فسد .

ومن بنى كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم .
 ومن بنى سعد بن ليث جليحة بن عبد الله .
 ومن الأنصار ثابت بن الجسذع ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة ،
 والمنذر بن عبد الله ، ورقم بن ثابت بن ثعلبة الأوسى .
 قال : فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم ،
 وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبطين .
 وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوماً ، ويقال : خمسة عشر يوماً ،
 ونصب عليهم المنجنيق ، ورعى عليهم به ، وأهل الطائف أول من رمى بالمنجنيق
 في الإسلام .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشذخة^(١) دخل نفر من المسلمين تحت
 دبابه ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سيكك الحديد
 تُحماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتل منهم رجال ، فأمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعينهم وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعاً
 ذريعاً ، ثم سأله أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ” إني أدعها لله وللرحم ” ، وندى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أيما عيد
 نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر ” ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً ، منهم : أبو بكره ،
 فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين
 يَمُونه ، فشق ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 في فتح الطائف ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : ” ما ترى ؟ ” فقال :
 ثعاب في حجر ، إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضررك .

(١) سمي يوم الشذخة لما شذخ فيه من الناس . والشذخ : كسر كل شيء أجوف ، (المواهب

قال محمد بن إسحاق : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : ” يا أبا بكر ؛ إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زُبدا ، ففقرها ديك فهراق ما فيها“ ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” وأنا لا أرى ذلك “ .

١٢٦
١٥

- قال : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية السلمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، [أعطني] ^(١) إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان ابن سلمة ، أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء قريش . قال : فدكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : ” وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ “ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدّثتني خويلة فزعمت أنك قد قلته ؟ ؛ قال : ” قد قلته “ . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : ” لا “ ، قال : أفلا أوذن بالرحيل ؟ قال : ” بلى “ قال : فأذن عمر في الناس بالرحيل ؛ فضجّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” فأعدوا على القتال “ ؛ فعدّوا ، فأصابت المسلمين حراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إنا قافلون إن شاء الله “ ؛ فمروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرتحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وقال لهم : ” قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده “ ؛ فلما ارتحلوا وأستقلوا قال : ” قولوا أيون تائبون عابدون ، لربنا حامدون “ ؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أَدع على ثقيف ؛ فقال : ” اللهم أهد ثقيفا وأت بهم “ .

٢٠

(١) التكلّة عن ابن هشام ج ٤ : ١٢٧

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة

وقسم مغانم حنين ، وما أعطاه المؤلفة

قال ابن إسحاق : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف رجع إلى الجعرانة فأنهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذى القعدة ، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً ، وقسم الفىء .

قال محمد بن سعد : كان السبي ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، والورق أربعة آلاف أوقية فضة ، فأستأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم ، وبدأ بالأموال فقسمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس .

قالوا : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : وأبى يزيد ؟ قال : " أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل " ، قال : وأبى معاوية ؟ فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ، وأعطى النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدانة مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل ، وأعطى العلاء ابن جارية الثقفي خمسين بعيراً ، وأعطى مخزومة بن نوفل خمسين بعيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدى مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويط بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامري

خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيينة ابن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، وقيل : أربعة ، فقال في ذلك :

كانت نهباً تلافيتها * بكرى على المهري الأجرع^(١)

وإقاضي القوم أن يرقدوا * إذا هجع الناس لم أهجع^(٢)

فأصبح نهبى ونهب العيب * يد بين عيينة والأقرع^(٣)

وقد كنت في الحرب ذاتدرياً * فلم أعط شيئاً ولم أمنع^(٤)

إلا أفائل أعطيتها * عديد قوائمها الأربع^(٥)

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في التجمع^(٦)

وما كنت دون أمرى منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقطعوا عني لسانه " ، فأعطوه حتى رضى ، قيل : أعطاه مائة من الإبل .

قال ابن سعد : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الخمس ، وهو أثبت الأقاليل عندنا ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم قضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل ، وأربعون شاة ، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل ، أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد .

١٢٧
١٥

(١) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويقتم . والأجرع : المكان السهل .

(٢) العيب : اسم فرس عباس بن مرداس . (٣) ذا تدراً ، أى ذا دفع عن قومى .

(٤) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيل . (٥) فى رواية ابن هشام « شينى » ،

يعنى أباه مرداسا . ويروى : « شينى » بتشديد الياء يعنى أباه وجده .

(٦) يقال : فض الشيء على القوم : إذا فزقه وقسمه .

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال : وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو بركان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فسألوه أن يمين عليهم بالسبي .

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو : إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فأمن علينا .

قال : وقام رجل من هوازن ، أحد بني سعد بن بكر يقال له : زهير ، يكنى بأبي صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن معك يكفلنك ، ولو أنا ملحننا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا يمثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر أن أبا صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك :

أمن علينا رسول الله في كرم * فإنك المرء نرجوه وننظر^(٣)

أمن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها ، في دهرها غير^(٤)

يا خير طفيل ومولود ومتجب * في العالمين إذا ما حصل البشر

إن لم تداركهم نعام تنشرها * يا أرحم الناس حلما حين يختبر

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهي الزوب الذي يصنع للإبل والعم ليكفها .

(٢) يدر : ملحا لفلان أى أرضناه . وانظر اللسان (ملح) . (٣) في الاستيعاب :

« ودر » (٤) البيضة هنا : مجتمع الذر .

- فَأَمِنَ عَلَى نِسْوَةٍ قَد كُنْتَ تَرْضَعُهُنَّ * إِذْ فُؤِكَ يَمْلُؤُ مِنْ مَحِيضِهَا دِرَّةً
 إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتَ تَرْضَعُهَا * وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُّ
 لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ^(١) * وَأَسْتَبِقِي مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زَهْرٍ
 يَا خَيْرَ مَنْ مَرَّحَتْ كُمُتُ الْإِحْيَادِ بِهِ * عِنْدَ الْهَبَايِجِ إِذَا مَا أَسْتَوْقَدُ الشَّمْرُ
 إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَهُ وَإِن كُفِرْتُ * وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَدْحٌ
 إِنَّا نُوْمَلُ عَفْوًا مِنْكَ تَلْبَسُهُ * هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ
 فَاعْفُرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظُّفْرُ

- قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم"؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فرد إلينا أبناءنا ونساءنا فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم"، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم"، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقالت الأنصار مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنوتيم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو قزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول عباس لبني سليم: وهتموني؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(٢)

(١) يقال: شالت نعامتهم إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية، والعامية: الجماعة

واظنر اللسان (شول).

(٢) وهتموني: أضمتوني.

”إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت أستاذيت بسببهم ، وخيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فسيبيل ذلك ، ومن أبي فليرد عليهم ، وليكن ذلك قرضا علينا ، فله بكل إنسان ست فرائض من أول ما يُبئى الله علينا“ قالوا : رضينا وسلمنا ، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن ، فإنه أبى أن يرده عجوزا صارت في يده منهم ، ثم ردها بعد ذلك .

١٢٨
١٥

وقد حكى محمد بن إسحاق سبب تمسك عيينة بها وردّها ، قال : فقال حين أخذها : أرى عجوزا إني لأحسب لها في الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها ؛ فلما ردت الناس السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فنال ل زهير بن صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ولا درها بما كد^(١)؛ فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قبطية قبطية ، والقباطى : ثياب بيض تُتخذ من الكنان بمصر .

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حصن في هذه القصة قال : لما قدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد عليهم السبي ، كان عيينة قد أخذ رأسا منهم ، فنظر إلى عجوز كبيرة فقال : هذه أم الحى ، لعلهم أن يفعلوا بفدائها ، وعسى أن يكون لها في الحى نسب . فجاء أبناها إلى عيينة فقال : هل لك في مائة من الإبل ؟ قال : لا ، فرجع عنه ، فتركة ساعة ، وجعلت العجوز تقول لأبناها : ما إربك في بعد مائة ناقة ، أتركة فما أسرع ما يتركني بغير فداء ؛

فلما سمعها عينته قال : ما رأيت كالיום خدعة ، والله ما أنا من هذه إلا في غرور ؛
 ولا جرم والله لأبعدت أترك مني ؛ قال : ثم مرّ به أبنا فقال له عينته : هل لك
 فيما دعوتني إليه؟ ؛ فقال : لا أزيدك على نحسين ؛ فقال عينته : لا أفعل ؛ ثم لبث
 ساعة ، فرّبه وهو معرض عنه ، فقال له عينته : هل لك في الذي بذلت لي ؟ ،
 قال له الفتى : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة ؛ قال عينته : والله لا أفعل ،
 فلما تخوّف عينته أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن
 شئت ؟ : فقال الفتى : هل لك إلى عشر فرائص ؟ قال : لا أفعل ؛ فلما رحل
 الناس ناداه عينته : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ؛ قال الفتى : أرسلها
 وأحمدك ، قال : لا والله ما لي حاجة بحمدك ؛ فأقبل عينته على نفسه لأتمها
 ويقول : ما رأيت كالיום أمرا أنكد ، قال الفتى : أنت صنعت هذا بنفسك ،
 عمدت إلى عجوز كبيرة ، والله ما نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا قورها ببارد ،
 ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ؛ فقال له عينته : خذها لا يبارك الله
 لك فيها ؛ قال : فيقول الفتى : يا عينته ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا
 السبي فأخطأها من بينهم الكسوة ، فهل أنت كاسيها ثوبا ؟ قال : لا ، والله ما لها ذلك
 عندي ، قال : لا تفعل ؛ فما فارقه حتى أخذ منه سَمَلٌ ثوبٍ ، ثم ولّى الفتى وهو
 يقول : إنك لغير بصيرٍ بالفرض ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 كسا السبي قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً ، والقَبَاطِي : ثياب بيض تُتخذ من الكَتَّان بمصر .

قال محمد بن إسحاق : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن عن
 مالك بن عوفٍ ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال : ”أخبروا ما لك إن
 هو أتاني مسلما رددتُ إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل“ ، فأخبر بذلك ،

نفرج من الطائف فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرعانة أو بكة ، فرد عليه
 أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه . وقال حين أسلم منشدًا :
 ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله * في الناس كلهم بمثل محمد
 أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى * ومتى تشأ يخبرك عما في غد
 وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها * بالسّمهريّ وضرب كلّ مهند
 فكانه لبث على أشباله * وسط الهبابة خادراً في مرصد^(١)

فأستمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل :
 ثمالة ، وسامة ، وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ؛ لا يخرج لهم سرح^(٢) إلا أغار عليه ،
 حتى ضيق عليهم ، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثقفي في ذلك :

هابت الأعداء جانبنا * ثم تنزونا بنو سامة
 وأنانا مالك بهم * ناقضا للعهد والحرمه
 وأتونا في منازلنا * ولقد كنا أولى نقمه

ذكر تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قريش وغيرها عند قسم مغام حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : بايع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين : أبو سفيان
 ابن حرب ، وعاوية بن أبي سفيان ، وطليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد

(١) اهباءة : الغبار يتور عند اشتداد الحرب . والخادر : الأسد في عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون
 بأسا لخوفه على أشاله ، يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ، يصفه باليقظة .

(٢) السرح : المال السائم .

- (١)
- ابن أبي العيص، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بعلك بن الحارث،
وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن
المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن
عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن
حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم، والعدويان، وصفوان بن أمية بن خلف
الجمحي، وأحيفة بن أمية بن خلف، ومخير بن وهب بن خلف، وعدى بن قيس
ابن حذافة السهمي، وحويط بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل
ابن معاوية بن عمرو بن صخر الدليل، وعلقمة بن علاثة بن عوف، وليد بن
ربيعة بن مالك، وخالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرمة بن هوذة
ابن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعباس بن مرداس السامي،
وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأفرع بن حابس بن عقاب المجاشعي.

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفداء، وما أجابهم به

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضاهم به

- قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:
- لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش
وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا في أنفسهم حتى كثرت
بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة
فقال: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما
صنعت في هذا أنفء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما.

(١) كذا في ابن هشام ١٥٠؛ (١٣٧) والاعتقاب. والدى في الأصلين: «نفاص».

في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال: " فأين أنت من ذلك يا سعد؟" قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؛ قال: " فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، فخرج سعد بجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يامعشر الأنصار، ما قاله بلغتنى عنكم، وجمدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟" قالوا: بلى، الله ورسوله أمنُّ وأفضل ثم قال: "ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟"، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟، لله ورسوله المتى والفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لو شتتم لقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقتناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأوتيناك، وعائلاً فأسيناك، وأوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم من أفاعية من الدنيا تألفت بها قوماً ليسأموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجالكم! فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"؛ قال: فيكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحظاً؛ ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفترقوا، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذى القعدة، فأحرم بمكة، ودخل مكة، فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجعرانة من ليلته .

(١) اللعاعة: جرعة من الماء؛ يريد الشيء اليسير .

(٣) أى بلوها بدموعهم .

(٢) الشعب بكسر الشين: الطريق بين جبلين .

ذکر استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

قال ابن هشام : لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام نخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاج الله كيد من جاع على درهم ، قد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

١٠ قال : ووجع عتاب بالناس في سنة ثمان على ما كانت العرب تحج عليه .

قال ابن سعد : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك في وادي الجعرانة ، حتى خرج على سرف^(١) ، ثم أخذ الطريق إلى مَرَّ الظُّهْرَانِ^(٢) ، ثم إلى المدينة ، فقدمها صلى الله عليه وسلم في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . وقال ابن هشام : لست بقين من ذي القعدة . والله أعلم .

١٥ ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة تسع من مهاجره إلى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، وكان يسير الليل ويكنن النهار ، فهجم عليهم في صحراء — وكانوا فيما بين السُّقْيَا وأرض بني تميم ، وقد

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة (باقوت) .

(٢) مَرَّ الظُّهْرَانِ : موضع على مرحلة من مكة .

حلوا وسرحوا ما شئتهم ، فلما رأوا الجمع وآوا - وأخذ منهم أحد عشر رجلا ؛
 ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا ، فاجبهم إلى المدينة ، فأمر
 بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم
 عدة من رؤسائهم : عطارد بن حاجب ، والزبيرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ،
 ورباح بن الحارث بن مجاشع ، والأقرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم
 ابن سعد ، وعمرو بن الأهم ، وربيعة بن ربيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ،
 ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وفراس بن حابس ، وكان من شأنهم وكلام
 خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى ،
 وذلك في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة ^(١) .

قال : ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يومئذ من بني العنبر : عبد الله وأخوان له
 بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم . وكان ممن سبي يومئذ أسماء
 بنت مالك ، وكأس بنت أرى ، ونجموة بنت نهد ، وجميلة بنت قيس ، وعمرة
 بنت مطر .

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة
 ابن أبي معيط إلى المصطلق من نخاعة يُصدِّقهم ، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد ،
 فلما سمعوا بدنو الوليد نخرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحوا به ،
 فلما رأهم وتى راجعا إلى المدينة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه

- بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم من يغزوهم ، وبلغ ذلك القوم ، فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر على وجهه ، فزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ^(١) ﴾ ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أولاهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، ويقرئهم القرآن ، ففعل ، وأقام عندهم عشرا ، ثم أنصرف إلى المدينة .

١٣١
١٥

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع من مهاجرة إلى حتى من خثعم بناحية تبالة في عشرين رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلا ، فسأله فاستعجم عليهم ، وجعل يصيح بالحاضر ويحدّثهم ، فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نِم الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فأقتلوا قتلا شديدا ، وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة ، وجاء سيل فآل بينهم وبين قطبة ، فسيجدون إليه سبيلا . وكانت سهامهم بعد الخمس لكل رجل أربعة أبعرة ، والبعير يعدل بعشرة من النعم .

ذكر سرية الضحّاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة .

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء عليهم الضحّاك ^(٢) ابن سفيان بن عوف الكلابي ، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط ، فلقوهم بالزج ، ^(٣)

- ٢٠ (١) سورة الحجرات : ٦ (٢) القرطاء : بطن من بني بكر وسمه عبيد بن كلاب .
(٣) زج لارة : موضع بمجد .

زُجِّ لَآوَةٌ، فَدَعَوْهُمُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوا، فَلَحِقَ الْأَصِيدُ أَبَاهُ سَلَامَةً،
 وَسَلَامَةً عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي غَدِيرِ الرَّجْحِ، فَدَعَا أَبَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، فَسَبَّهَ
 وَسَبَّ دِينَهُ، فَضَرَبَ الْأَصِيدُ عُرْقُوبِي فَرَسِ أَبِيهِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عُرْقُوبِيهِ
 أَرْتَكَزَ سَلَامَةً رَحْمَةً فِي الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَمْسَكَ بِهِ، حَتَّى جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ
 أَبْنُهُ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَفِي الضَّحَّاكِ بْنِ سَفِيَّانٍ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

إِنَّ الَّذِينَ وَقَفُوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ * جَيْشٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَ
 أَمْرَتَهُ ذَرَبَ اللِّسَانَ كَأَنَّهُ * لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوَّ يَرَاكَ
 طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً * يَقْفِرِي الْجَاهِمَ صَارِمًا بَتَّاكَ

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنِ مَجْزَزٍ الْمُدْجَلِيِّ إِلَى الْحَبِشَةِ

كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبِشَةِ تَرَاوَعُوا أَهْلَ جُدَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
 عَلْقَمَةَ بْنَ مَجْزَزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَتَتْهُنَّ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا
 مِنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ، فَأَذَنَ لَهُمْ، وَفِيهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
 حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ عَلْقَمَةُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَتَزَلُّوا بِبَعْضِ
 الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُمْ : عَزِمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَانَيْتُمْ فِي هَذِهِ
 النَّارِ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ : اجْلِسُوا، لِإِنَّمَا كُنْتُ
 أَضْحَكُ مَعَكُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : ” مَنْ أَمَرَكُمْ
 بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ “ .

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ ٤ : ١٠٣ « رَجُلٌ بِهِ ذَرَبُ السَّلَاحِ » .

(٢) الْبَتَّاءُ وَالْفَتَّاءُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٣) أَيْ أَرَادُوا الرَّجُوعَ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلّس صنم طيبي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفلّس (صنم طيبي) ليهدمه - (والفلّس بضم الفاء وسكون اللام) - بعثهم على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء

- أبيض، فشَنُوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلّس وخرّبوه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال:
- ووجدوا في خزانة الفلّس ثلاثة أسياف: رَسُوب، والمِخْدَم، واليَمَان؛ وثلاثة أدرُع، فلما نزلوا رَكَّ^(١) آقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيه^(٢): رَسُوب، والمِخْدَم، ثم صار له بمدد السيف الآخر، وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قدم بهم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٣٢
١٥

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجَناب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجرة إلى الجَناب، أرض عُذرة وبلي، ولم يذكر ابن سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جرت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه إسنة، وأجلبت معه لحم،

(١) رَكَ (بالتحرّك): محلة من محال سلس أحد جبل طيبي.

(٢) الصفي: هنا: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفري. قبل القصة.

وَجُدَامَ ، وَعَامِلَةَ ، وَعَسَانَ . وَقَدَمُوا مَقْدَمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ ، فَغَدِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ ، وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ لِنَتَأَهَبُوا لَذَلِكَ ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ ، وَذَلِكَ فِي حَرَشِدِيدٍ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَعَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً ، وَقَوُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

د قال ابن هشام : أنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اللهم أرص عن عثمان فلأني عنه راضٍ “ .

١٠ وجاء البكاءون وهم سبعة : سالم بن عمير ، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبوليلي عبد الرحمن بن كعب المازني ، وعمرو بن عنمة ، وسلمة بن صخر ، والعرباض بن سارية الفزاري .

قال : وفي بعض الرواة من يقول : إن فيهم عبد الله بن مغفل المزي ، ومعل ابن يسار ، وبعضهم يقول : البكاءون بنو مقرن السبعة ، وهم من مزينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجملونه ، فقال : ” لا أجد ما أحللكم عليه “ ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، فعذرهم الله تعالى .

١٥ قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبطن الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فأقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فأنكسرت رجله ، وأقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك في ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحاك وابن أبيرق

فَظَلَّتْ وَقَدْ طَبَقَتْ كِبَسَ سُوَيْلِمٍ * أَنْوَأَ عَلَى رَجُلٍ كَسِيرًا وَمِرْفِقِي^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا * أَخَافُ، وَمَنْ تَشَمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير
عَلةٍ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَهُمْ بِضِعَّةٍ وَثَمَانُونَ رَجُلًا .

- وَجَاءَ الْمُعَدِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدِّنَ لَهُمْ ، فَأَعْتَدَرُوا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَمْدِرْهُمْ ،
وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا ؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنٍ
سَلُولٌ قَدْ عَسَكَرَ عَلَى تَنْبِيَةِ الْوَدَاعِ فِي حَلْفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ ، فَكَانَ يُقَالُ : لَيْسَ
عَسْكَرُهُ بِأَقَلِّ الْعَسْكَرِينَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَخْلَفُ عَلَى عَسْكَرِهِ
أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ
مَسْلَمَةَ ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَلَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنٍ ، وَمَنْ كَانَ
مَعَهُ ، وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا أَرْتِيَابٍ ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ،
وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَأَبُو خَيْشَمَةَ مَالِكُ بْنُ قَيْسِ السَّالِمِيِّ ، وَأَبُو ذَرٍّ
الْغِفَارِيُّ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْقِبَائِلِ .
عَنِ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لَوَاءً أَوْ رَايَةً ، وَمَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَجْهِهِ يَسِيرُ بِأَصْحَابِهِ
حَتَّى قَدِمَ تَبَسُوكَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ ، وَانْخَلِجَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَرَسٍ ، فَأَقَامَ بِهَا
عِشْرِينَ لَيْلَةً يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، وَلِحَقِّهِ بِهَا أَبُو خَيْشَمَةَ وَأَبُو ذَرٍّ .

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيشمة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : إنه جاء يوما إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما في يوم

(١) طَبَقَتْ : علوت . والكبس بكسر الكاف : البيت الصغير .

حاز ، فوجد أمرأين له في عَرَيْشَيْن^(١) لهما في حائطه ، قد رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرَيْشَهَا وَبَرَدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءٌ ، وَهَيَّاتَ طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرَيْشِ ، فَنظَرَ إِلَى أَمْرَأْتَيْهِ وَمَا صَنَعْنَا لَهُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ فِي الضَّحِّ وَالزَّيْبِجِ وَالْحِزْرِ ، وَأَبُو خَيْشَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ ، وَطَعَامٍ مَهِيًّا ، وَأَمْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ ، فِي مَالِهِ مَقِيمٌ ، مَا هَذَا بِالنَّصْفِ ! ؛ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أُدْخِلُ عَرَيْشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَيَّأَ لِي زَادًا ، فَفَعَلْنَا ، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَأَرْتَحَلَهُ^(٢) ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ .

قال : وَلَمَّا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مَقْبِلٌ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” كُنْ أَبَا خَيْشَمَةَ “ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْشَمَةَ ؛ فَلَمَّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : ” أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْشَمَةَ “ ؛ ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : خَيْرًا وَدَعَا لَهُ .

وَأَمَّا أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ ، فَإِنَّهُ أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ بَعِيرُهُ قَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِ ، فَجَمَلَ مَتَاعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أُمَّرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَحَدَّهُ ، وَيَمُوتُ وَحَدَّهُ ، وَيُبْعَثُ وَحَدَّهُ “ فَكَانَ كَذَلِكَ . قال : وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبُوكَ وَهَرَقَلَ يَوْمَئِذٍ بِمَجْمُصٍ ، فَبِعْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَكْبِيدِرَ .

(١) العريش : شبه نخيمة . والحائط هنا : البستان .

(٢) الضح بكم الصاد وتشديد الحاء : الشمس .

(٣) الناضح : البعير يسبق عليه ، وأرتحله : شد عليه الرحل .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك خالد بن الوليد في أربعمائة

وعشرين فارساً سريةً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن

الوليد: "إنك ستجده يصيد البقر". فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من

الهجرة حتى كان من حصن أكيدر بمنظر العين في ليلته مقيمةً وصائفةً، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فبانت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته:

ما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ؟ قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد،

فنزله فأمر بفرسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له

يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فشددت عليه، فأستأسر أكيدر، وأمتنع أخوه حسان، وقاتل

حتى قتل، وكان عليه قباء من ديباج مخصوص بالذهب، فأستلبه خالد، وبعث به

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم،

ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من هذا؟

فوالذي لذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا". قال: ولما

أسر أكيدر وقيل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجار خالد

أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له

دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع

وأربعمائة رح، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيًا خالصًا، ثم أخرج الخمس، وقسم

٢٠ (١) النخويص بالذهب: أن يجعل الشيء صديحاً من الذهب على قدر مرض خصوص النخل

ما يقى بين أصحابه ، ثم خرج خالدُ ناكيدرُ وأخيه مُصاد . وكان والحصن - وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة ، فقدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأكيدر ، فأهدى له هدية ، وصالحه على الجزية ، وحقنَ دمه ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال بُجير بن بَجْرَة :

تبارك سائقُ البقراتِ إني * رأيتُ الله يهْدِي كُلَّ هَادٍ
فمن يك حائداً عن ذى تَبُوكِ * فإننا قد أمرنا بالجهادِ

قال محمد بن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك إلى أناته يُحَنَّةَ ابنِ رُوْبَةَ صاحبِ أُيْلَةَ^(١) ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأناته أهلُ جَرْبَاءَ وأذْرَحَ^(٢) ، فأعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُحَنَّةَ كِتَاباً ، وهو : " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أَمَنَةٌ مِنْ الله ومحمد النبي رسول الله لِيُحَنَّةَ بنِ رُوْبَةَ وأهلِ أُيْلَةَ ، سُفُنُهُمْ وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذِمَّةُ الله ومحمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يجل أن يمتنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقاً يردونه من ربِّ أو بجر " .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على حرسه بتبوك عبادة ابن بشر . ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقَ كيدا .

(١) أُيْلَةَ : مدينة على ساحل بحر القدر مما يلي الشام .

(٢) جَرْبَاءَ : موضع من أعمال عمان بالقرب من أرض الشام (ياقوت) .

(٣) أذْرَحَ : بلد من أعمال الشام من أراضي البلقاء (ياقوت) .

وقدم المدينة في شهر رمضان من السنة، وجاءه من كان قد تخلف عنه ،
خلفوا له ، فمذرمهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت
توبتهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة .

قال : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد أنقطع الجهاد ،
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم ، وقال : ” لا تزال عصابة من
أمتي يجهلون على الحق حتى يخرج الدجال ” .

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدمناه ، قد رأينا إيرادها في هذا الموضوع .

منها خبر مرور رسول الله بالبحر .

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين .

ومنها خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل من توبتهم .

ذكر خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحر

وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره إلى تبوك
بالبحر من مدين ، نزلها ، وأستق الناس من برها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . ” لا تشربوا من ماؤها شيئا ، ولا يتوضأ منه للصلاة ، وما كان من
عجين عجموه فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة
إلا ومعه صاحب له ” ، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره له ،
فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خفي على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره
(١)

فأحتملته الریح حتى طرحته ببجل طي ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " ألم أنهمك ألا يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه " ! ثم دعا للذي أصيب فشفى ، وأما الآخر فإن طيباً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنجري سبى ثوبه على وجهه ، وأستحس راحته ، ثم قال : " لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم " .

قال ابن إسحاق : لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا ، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى آرتوى الناس وأحتملوا حاجتهم من الماء .

وفي هذه الغزوة ضأت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال زيد بن لصيب ما قال ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ، فأخبر بشأنها ، ووُجدت كما وصف صلى الله عليه وسلم على ما قدمنا ذلك في أخبار المنافقين .

ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تبوك

وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الجحد ابن قيس ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : آئذن لي ولا تفتني ؛ وقد تقدم خبره مع أخبار المنافقين .

(١) عبارة الزرقاني ج ٣ : ٨٧ : « ثم دعا للذي خفق على مذهبه » .

(٢) سبى : غطى ثوبه وضمه معنى وضع فقال : على وجهه .

(٣) ويقال به اللصيت (مالتة) . والحرف في ابن هشام : ٤ : ١٠٦ .

وقال قوم منهم: لا تنفروا في الحز زهادة في الجهاد؛ فانزل الله عز وجل فيهم:
 ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
 وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، وقال رهط من المنافقين: منهم ودیعة
 ابن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له:
 مَحْشَى بن حَمِير - وقيل: مَحْشَى^(٢) - وغيرهما بعضهم لبعض: أنحسبون جلاذ بنی الأصفر
 كقتال العرب بعضهم بمضا، والله لكانكم غدا بهم مقتزين في الجبال، يقولون ذلك
 بإرجافا وترهيبا للمؤمنين .

فقال مَحْشَى: والله لو ددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة،
 وأنا تنفأت أو ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن
 ياسر: "أدرك القوم فإنهم قد أحترقوا، فأسألم عما قالوا، فإن أنكروا قتل لهم: بلى
 قد قلمت كذا وكذا"، فأنتلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يعتذرون إليه، فقال ودیعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب .
 وقال مَحْشَى: يا رسول الله، قعد بي اسمي وأسم أبي، فانزل الله تعالى قوله:
 ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
 تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ
 طَائِفَةٌ بَأْسَهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾^(٣) . فكان مَحْشَى بن حَمِير من عفي عنه، فتسمى
 عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يوجد
 له أثر . والله الموفق للصواب .

(١) سورة التوبة ٨١ - ٨٢

(٢) كذا ضبط هذا الاسم بالعبارة في تبصير المنتبه لابن حجر والإكمال لابن ماكولا .

(٣) سورة التوبة ٦٥ - ٦٦

ذَكَرَ خَبْرَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهِمْ

وَفِي الْمَعْذِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

والثلاثة الذين خُلفوا لم يتخلفوا عن شك ولا نفاق، وهم : كعب بن مالك ،
 ومُمرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكان من خبرهم ما حدثنا به الشيخان
 المعمران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى - الحجار ،
 وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى
 التَّنُوخِيَّةُ الدَّمِشْقِيَّانِ قِرَاءَةً لِهَيْمًا ، وَأَنَا أَسْمَعُ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ
 وَسَبْعِمِائَةَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَعْرُوبَةِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الزُّبَيْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَقْتِ
 عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنُ عَيْسَى بْنِ شَعِيبِ السَّجَزِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظْفَرِ الدَّائِدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمَوَيْهِ السَّرْحَسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ
 ابْنَ مَطَرِ الْفَرَبْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُخَارِيِّ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ عَقِيلٍ ، عَنْ أَبِي شَهَابٍ ،
 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ،
 — وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ — قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يَحْدُثُ حِينَ
 تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبُ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يَمَاتِبْ
 أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ عِيرَ قَرَيْشٍ ، حَتَّى جَمَعَ
 اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٥
١٠
١٥
٢٠

ليلة العقبة حين توافقتنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

١٣٦
١٥

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما أجمعت عندي قبله راحلان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا وزي بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا، بخلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان .

١٠ قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحى الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فظفقت أعدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقبض شيئا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى شمر بالناس الحد . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ولم أقبض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألقى بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، ورجعت فلم أقبض شيئا ، ثم عدوت ، ثم رجعت ، ولم أقبض شيئا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفرط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وإيتني فملت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالنفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضمعاء ، ولم يذكرني

(١) أي فات وسبق .

(٢) مغموص : مطمونا عليه في دبه ، متبعا بالنفاق . وفي ابن هشام ٤ : ١٠٦ « في النفاق » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك :
 "ما فعل كعب" ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ونظره
 في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما علمت
 عليه إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي ، وطفقت
 أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ، وأستعنت على ذلك بكل ذى
 رأي من أهلي ، فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادمًا راح عنى
 الباطل ، وعرفت أنى لم أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ،
 وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ،
 فركع فيه ركعتين ، ثم يجلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون
 إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم علايتهم وبايعهم وأستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، فحتمه ، فلما
 سأمت عليه تبسم تبسم الغضب ، ثم قال : "تعال" ، فحتمت أمشي حتى جلست بين
 يديه ، فقال لى : "ما خلقك ؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك" ؟ فقالت : بلى والله ،
 إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد
 أعطيت جدلا ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى
 به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه
 إنى لأرجو فيه عقبي الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى

(١) كنى هنا عن إعجاب به بنفسه وزهوه وتكبره . (٢) أظل : قرب وأشرف .

(٣) أعطيت جدلا ، أى فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلى بما يقبل ولا يرذ .

(٤) تجد : تنضب .

ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك “ ، فتمت وذر رجال من بني سلمة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كذبت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون أعذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أعذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك ذنبك أستغفأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان فالأول مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ فقلت : من هما ؟ قالوا : سُمرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الوافقي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فهما أسوة ؛ فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه ، فأجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي بالتي أعيرف ، فلئنا على ذلك نحسين ليلة .

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، فلا يكلمني أحد ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي ، فسأمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله . هل تعلمي أحب الله ورسوله ؟

سكت . فعدت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : فيينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى - من أنباط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ ، ففطق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جنناك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيفة ، فألقى بنا نواسك » . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتميمت بها التنور ، فسجرت^(١) بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل أمرأتك . فقلت : أطلقها؟ أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل أعتزلها ولا تقربنها ، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لأمرأتى : الحق بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

فإن كعب : بغيرت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : « لا ، ولكن لا يقربنك » قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقلت لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرأتك ، كما أذن لأمراة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله ، وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ! فلبثت بعد ذلك عشر

(١) تميمت نوحيت وقصدت .

(٢) سحره بم وقدمه بالصحيحة

ليالٍ حتى كملت نحسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبحَ خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، قد ضاقت على نفسي ، وضاقت على الأرض بما رُحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى^(١) على جبل سماع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي^(٢) مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزع ثوبي فكسوته إياهما بشراه ، والله ما أملك غيرها يومئذ ، وأستعرت ثوبين فلبستهما ، وأنطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يبشرونني بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهتاني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور : ” أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك “ ؛ قال : قات : أمين عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال :

(١) أوفى : أشرف .

(٢) في ابن هشام : « وذهب نحو صاحبي مبشرون » .

” لا، بل من عند الله“ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخّاع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك “ ، قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخير، وقالت : يا رسول الله ، إن الله إنما يجانى بالصدق ، وإن من توبتى ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى ، ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ، فأزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَآجِدَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتَسَوَّوْا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

١٣٨
١٥

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدى الإسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) فى كلا الأصلين : « بقيت » ؛ وما أئتمناه عن ابن هشام .

(٢) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩

لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَهُمْ جَزَاءٌ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .
يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(١) .

قال كعب : وكنا تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قيل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم وأستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ﴾ .
وليس الذى ذكر الله مما خُلفنا تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له وأعتذر إليه فقبل منه .

انتهت غزوة تبوك ، فلنذكر ماسواها من السرايا .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بنى عبد الممدان بنجران

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من مهاجرة ، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى اليمن

- يقال : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجرة صلى الله عليه وسلم ، وعقد له لواء ، وعممه بيده ، وقال :
” إِيضًا لَا تَلْتَفِتْ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ فَلَا تَقَاتِلِهِمْ حَتَّى يَقَاتِلُوكَ “ ، فخرج في ثلثمائة فارس ، وكانت أول خيل دخات إلى تلك البلاد ، وهى بلاد مَدِيحَج ، ففرق أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ، وجعل على الغنائم بريدة بن الحُصَيْب الأَسلمى ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم

(١) سورة التوبة ٩٥ - ٩٦

فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم علي رضي الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا، فتفرقوا وأنهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله، وجمع على الغنائم الخمسها، وقسم على أصحابه بقية المغنم، ثم قفل، فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين قدمها للحج سنة عشر. حكاها ابن سعد. ^(١)

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمره فحلنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت؛ قال: "فأرجع فأحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرت: اللهم إني أهلت بما أهلت به نبيك وعبدك ورسولك محمد، قال: "فهل معك من هدى؟" قال: لا؛ فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى. قال: ولما أقبل علي من اليمن تعجل إلى رسول الله، وأستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البر الذي كان مع علي، فلما دنا جيشه نخرج ليقاهم، فإذا عليهم الحل؛ قال:

(١) القسم الأول من الجزء الثاني: ١٢٢

(٢) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

ويملك ما هذا؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس ؛ قال :
انزعها ويملك ! قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأتزع الحلل
من الناس فردّها في البز ، فأشتكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيباً ، فقال : ” أيها الناس ، لا تشتكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله “
أو ” في سبيل الله “^(١) .

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض

الشراة ناحية البلقاء^(٢)

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل
إنفاذها ، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن
أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلم بن أسلم بن حريش ، فتكلم
قوم وقالوا : نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ، فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ،
فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ” أما بعد أيها الناس ، فما مقالة
بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في إمارتي لقد طعنتم
في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً ، وإن أبته من بعده
خليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإنهما مخيّلان لكل خير ،
فأستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم “ ، ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت
لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى الجُرف ، فتوفي رسول الله صلى

(١) في ابن هشام ٤ : ٢٥٠ : « في سبيل الله من أن يشتكى » .

(٢) الشراة : شراة الشام ، وهي أرض معروفة ، وبها الكهف والرقم . (ياقوت) .

الله عليه وسلم قبل خروج هذه السرية ، فلما ولي أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان أول ما بدأ به بعث أسامة .

هذا ما أمكن إيراده من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه .
فلنذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم .

ذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره

قالوا : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة مجتنب ، ولم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع ، وهى فى السنة العاشرة ، وكانت فريضة الحج نزلت فى السنة السادسة من الهجرة ، وفتحت مكة فى سنة ثمان ، فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد ، فحج بالناس تلك السنة ، وفى السنة التاسعة حج أبو بكر الصديق رضوان الله عليه بالناس كما قدمنا ذكر ذلك فى مواضعه ، فلما كان فى السنة العاشرة أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مغتسلا مدهنا مترجلا متجردا فى ثوبين صخارين : إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليل يقين من ذى القعدة سنة عشر من مهاجرة ، وأستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى — ويقال : سباع ابن عرفة الغفارى — قالوا : وصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ، وأخرج معه نساء كلهن فى الموادج ، وأشعر هديه وقلده ، ثم ركب ناقته ، فلما أستوى عليها بالبيداء أحرم من يومه ، وكان على هديه ناجية بن جندب ، وقيل : إنه أهل بالحج مفردا ، وقيل : قرنه بعمره ، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير المنازل ويؤم أصحابه فى الصلاة فى مساجد له قد بناها الناس ، فكان يوم الاثنين بمصر الظهران ، فغربت له الشمس بميرف ، ثم أصبح فأغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحته القصواء ، وكان تحته

١٠

١٥

٢١

١٤٠
١٥

- صلى الله عليه وسلم رُحِلَ رَثٌّ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تَسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ : ” اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حِجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً “ ، فَدَخَلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَلَمَّا رَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : ” اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً ، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مَنِّ حَجَّهِ وَأَعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَتَعْظِيمًا وَبِرًّا “ ؛ ثُمَّ بَدَأَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، وَرَمَلَ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ مِنَ الْحِجْرِ إِلَى الْحِجْرِ ، وَهُوَ مَضْطَبِعٌ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاِحَتِهِ مِنْ قَوْرِهِ ذَلِكَ ، وَكَانَ قَدِ اضْطَرَبَ بِالْأَبْطَحِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ خَطَبَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ نَخَرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ إِلَى مَنَى ، فَبَاتَ بِهَا ، ثُمَّ غَدَا إِلَى عَرَفَاتٍ ، فَوَقَّفَ بِالْمُضَابِ مِنْهَا ، وَقَالَ : ” كُلُّ عَرَفَةٍ [مَوْقِفٌ لِأَبْطَنِ عَرَفَةَ] “ ، فَوَقَّفَ عَلَى رَاِحَتِهِ يَدْعُو ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ دَفَعَ بِجَعْلٍ يَسِيرَ الْعَنْقُ حَتَّى جَاءَ الْمَزْدَلِفَةَ ، فَتَزَلَّ قَرِيبًا مِنَ الْغَارِ ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا ، فَلَمَّا بَرَقَ الْفَجْرُ صَلَّى الصُّبْحَ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاِحَتَهُ ، فَوَقَّفَ عَلَى قَرْحٍ (٥) وَقَالَ : ” كُلُّ الْمَزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ إِلَّا بَطْنَ مُحَسَّرٍ “ ، ثُمَّ دَفَعَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى مُحَسَّرٍ أَوْضَعَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَلْبِي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ نَحَرَ الْهَدْيَ وَحَاقَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ مِنْ شَارِيهِ وَعَارِضِيهِ ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ ، وَأَمَرَ بِشَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَنْ تُدْفَنَ ، ثُمَّ أَصَابَ الطَّيِّبَ ، وَلَبَسَ الْقَمِيصَ ، وَنَادَى مُنَادِيَهُ بِمَنَى : لِمَنْهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرْبٍ وَبِأَةِ ، وَجَعَلَ يَرَى الْجِمَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ خَطَبَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ بَعْدَ الظُّهْرِ

(١) رمل : هرول . (٢) اضطبع بردائه : أدخله تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره

وأبدي منكبه الأيمن وغطى الأيسر . (٣) الزيادة عن ابن سعد ج ٢ : ١٢٥

(٤) العنق بالتحريك : ضرب من السير . (٥) قرح كعمر : جبل بالمزدلفة . ٢٠

(٦) بطن محسر : واد بالمزدلفة . (٧) من الوضع محرمة ، وهو أهون سير الدواب .

على ناقته القَصْوَاء ، ثم صَدَرَ يَوْمَ الصَّدْرِ الآخِرِ ، وقال : ” إنا من ثلاث يقيمنَ المهاجر بعد الصَّدْرِ “ ، يعني بمكة ، ثم ودَّع البيت ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ذكر الخطبة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

” أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وكحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغتُ ، فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كلَّ رِبَاً موضوع ، وإن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا رِبَا ، وأن رِبا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كلَّ ديمٍ في الجاهلية موضوع ، وأن أول دمانكم أَضْعُ دَمِ آبن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضعا في بني ليث ، فقتلته هذيل — فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية .

” أما بعد ، أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به ، مما تحيرون من أعمالكم ، فأحذروه على دينكم “ .

” أيها الناس ، إن النسيءَ زيادةٌ في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحِلُّوا ما حرم الله ويحرموا ما أحلَّ الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ بَجْدَى وَشَعْبَانَ “ .

”أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نساءكم حقًا، وولن عليكم حقًا، عليهن أن لا يوطئن قُرُشِكُمْ أحدا تكَرِهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشةٍ مَبِينَةٍ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أتتهن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فأعقلوا أيها الناس قولي، فإنني قد بآنتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله وسنة نبيه“.

١٤١
١٥

”أيها الناس، اسمعوا قولي وأعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت“، فقال الناس: اللهم نعم، فقال: ”اللهم أشهد“.

وقال ابن إسحاق أيضا: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

”قل يا أيها الناس إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول: هل تدررون أي شهر هذا؟ فيقول له، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: ”إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا“، ثم يقول: ”قل يا أيها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدررون أي بلد هذا؟“ قال:

فيصرخ به، قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: ”قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا“، ثم يقول: ”قل يا أيها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدررون أي يوم هذا؟“

١٥

٢٠

فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : "قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا" .

وعن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا لَنُفَاهِمُ^(١) ليقع على رأسي ، فسمعتة وهو يقول : "أيها الناس ؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حقّ حقّه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن أذعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا" .

وأما عمره صلى الله عليه وسلم

فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة الحديبية ، وهي عمرة الحصر ، وعمرة القضاء من قابل ، وعمرة الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وعن قتادة ، قلت لانس بن مالك : كم أعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعا ، عدّ منها عمرته مع حجته ، وقد قدّمنا ذكر عمرة الحديبية مع الغزوات ، وذكّرنا عمرة الجعرانة عند ذكرنا لقسم مغانم حنين ، وعمرته مع حجته قد اختلف فيها .

وأما عمرة القضاء

فقد أوردتها بعض أهل السير في الغزوات ، وترجم عليها : « عمرة القضية » ، ومجّة من أوردتها في الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح ، ولم يخرج به

(١) لغة الجبل : رمى لثامه أي زنده .

صلى الله عليه وسلم لقصدهم الغزاة ، وإنما خرج به احتياطاً . وكان من خبر هذه العمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أستهل هلال ذى القعدة سنة سبع من مهاجرة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها بالحديبية ، وألا يتخلف أحد من شهد الحديبية ، فلم يتخلف منها إلا من مات أو قتل بجبير ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عمّاراً ممن لم يشهد الحديبية ، فكانوا في عمرة القضية ألفين ، وأستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري ، حكاه ابن سعد — وقال ابن إسحاق : عوف بن الأضبط الديلي — وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة ، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي .

١٤٢
١٥

١٠ قال ابن سعد : وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والبيض والدروع والرمح ، وقاد مائة فرس ، فلما آتتهى إلى ذى الحليفة ، قدم الخليل أمامه ، عليها محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، وأستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد ، وأبى والمسلمون معه يلبون . ومضى محمد بن مسلمة في الخليل إلى مرّ الظهران فوجد بها نفرًا من قريش ، فسألوه ، فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله ، فأتوا قريشاً بالخبر ، ففرعوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الظهران ، وقدم السلاح إلى بطن بأبجج حيث [ينظر^(١)] إلى أنصاب الحرم ، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه ، فحُبس بنى طوى ، وخرج على راحته القصواء

والمسلمون متوشحون السيوف ، محذقون به صلى الله عليه وسلم يلون ، فدخل على
النذية التي تطعمه على التجون ، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحته وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمنٌ بقبيله * أعرّف حقّ الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله ^(١) * كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : قوله « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر
في غير هذا اليوم .

قال ابن سعد : ولما أرتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب : ^(٢) إياها

يا ابن رواحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر ، إن أسمع ، فأسكت عمر ،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٢) « إياها يا ابن رواحة ! قل لا إله إلا الله وحده ، نصر

عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » ، فقالت ابنة رواحة . ولم يزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى حتى استلم الركنَ محجّجه مضطّعبا بشوبه ، وطاف

على راحته ، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم ، ثم طاف بين الصفا

والمروة على راحته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة

قال : « هذا المنحرف ، وكلّ فجاج مكة منحرف » ، فنحرف عند المروة ، وحلق هناك ، وكذلك

فعل المسلمون ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم

بيطن يابج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقضوا نُسكهم ، ففعلوا ، وأقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا . وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، فلما

كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه مهيل بن عمرو وهو يطب بن عبد العزى

(٢) إياها : كلمة استزادة واستنطاق .

(١) في ج : « ضربناكم » .

فقالا : قد آنقضى أجلك ، فأخرج عتاً ، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال : لا يُمسينَ بها أحد من المسلمين ، وأخرج عُمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل سِرف وتنام الناس إليه ، وأقام أبو رافع بمكة حتى أمسى ، فحمل إليه ميمونة ، فبني عليها صلى الله عليه وسلم بسِرف ، ثم أدخَلَ فسار حتى قدم المدينة ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .



كحل الجزء السابع عشر من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للتوحيدي رحمه الله . ويليه الجزء الثامن عشر وأوله : (وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء بنسخة ١]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » للإمام
النويرى رحمه الله، وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الأولى من شهر
سنة سبع وستين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين العاملى
بلدا، الشافعى مذهبيا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيوبه ، ولئن يدعو له بالمغفرة
والرحمة ولو الديه . آمين » .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء أيضا بنسخة ج]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » على
يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التيمى
القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنهم ، ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاثنين
المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة أحسن الله
تفضيها بالقاهرة المعزية . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس عشر :
ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فهرس المرجع

- ديوان الحماسة ، طبع بن ١٨٣٨ م .
 اروض الأنف للسبيل ، الجمالية ١٣٣٢
 السيرة النبوية لابن هشام ، طبع الحلبي ١٣٥٥
 شرح السيرة لأبي ذر الخشني ، هندية بمصر ١٣٢٩
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، بولاق ١٢٧٨
 صحيح البخارى ، بولاق ١٢٩٦
 صحيح مسلم ، بولاق ١٢٩٠
 طبقات ابن سعد : ليدن ١٣٢٢
 الكشف والبيان للعلبي ، مخطوطة دار الكتب برفى
 ٢٥٦ ، ٧٩٧ تفسير .
 عيون الأثر ، القدسي ١٣٥٦
 معجم البلدان ، جوتنجن ١٨٩٩ م .
 معجم ما أستمع للبكري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
 ١٩٤٥ م .
 مغازى الواقدي ، كلكتا ١٨٥٥ م .
- الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
 أسد الغابة في معرفة الصحابة ، الوهية ١٢٨٠
 الإصابة في تمييز الصحابة ، الشرفية بمصر ١٣٢٥
 الأغاني ، طبع بولاق ١٢٨٥
 الأغاني ، طبع دار الكتب المصرية .
 الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ١٧ مصطلح حديث
 إمتاع الأسماع للقرنيزي ، طبع لجنة التأليف والترجمة ١٩٤١
 البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة بمصر ١٣٥١
 تاريخ ابن الأثير ، ليدن ١٨٩٥
 تاريخ الطبري ، ليدن ١٨٨٩ م .
 تفسير الطبري ، بولاق ١٣٣٠
 تفسير القرطبي ، طبع دار الكتب المصرية .
 دلائل النبوة للبيهقي ، مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٢ حديث
 ديوان الأعشين ، بيانه ١٩٢٧ .
 ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧

استدراك

ورد في صفحة ٥٣ سطر ٦ البيت الآتي كما في الأصلين :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطرُ الدِّما
وصوابه هكذا :

فلسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطرُ الدِّما
وهو للمُحصن بن الحُمام المُرّي من قصيدة له أولها :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

يقول : نحن لا نولّى فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ؛ ولكن نستقبل
السيوف بوجوهنا ؛ فإن إصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا . انظر لسان
العرب (مادة دمي) ، والحجاسة للتبريزي ص ٩٣ ، والشعر والشعراء ص ٦٣٠

الصواب	الخطأ	س	ص
حَلَّتْ	حَلَّتْ	٥	٧١
هند	بهند	١٩	٨٢
ويها أبا دسمة	ويها دسمة	٦	٨٣
تُدَّيْجُ	تُدَّيْجُ	١٦	٨٣
حِثْمَةٌ	حِثْمَةٌ	١٩	٨٦
وَجَدْتُ	وَجَدْتُ	١٢	٨٨
وتواعده	وتواعده	٤	٩٠
وقال صاحب لسان العرب	وقال لسان العرب	١٩	٩٠
غير	هي	١٩	٩٠
وتكون	ويكون	٧	١٠٢
بديته	بديته	٢	١٠٥
مته	مته	٦	١١٢
٢٣٠	٢٤٠	٢٢	١١٥
لا يفنى	يفنى	٤	١٢٤
(بِيَوِّسٍ)	(بِيَوِّسٍ)	١٣	١٤٠
(يُحْرِبُونَ)	(يُحْرِبُونَ)	٤	١٤٢
الفساد	الفساد	٤	١٤٣
خالصة	خالصا	١٠	١٤٤
وأبي عمرو	وأبو عمرو	٢١	١٤٧
تُخْرَجُ	تُخْرَجُ	١٥	١٨٨

الصواب	الخطأ	س	ص
عُليم	عُليم	٤	٢١٠
صلى الله	صلى الله الله	٥	٢١١
مخرش	محرش	١١	٢١٢
أن يجيئوا	أن يجيئوا	٥	٢٢٠
الخللاء	الخلأ	٢٠	٢٢١
بالاثنتين	بالاثنين	١٨	٢٢٥
(فَتَحَّا)	(فَتَحَّا)	١٣	٢٣٤
سورة « مع حذف الرقم »	سورة ٥	٢٠	٢٣٤
يا رسول الله	يا رسول	١٦	٢٣٨
(كَفَرُوا)	(كَفَرُوا)	١٣	٢٤٠
تَحْرَبُ	تَحْرَبُ	١٤	٢٥١
المجنبة	المجنبة	٤	٣٠٥
غَزِيَّة	غَزِيَّة	١٢	٣٢٤
رسول	رسول	١٣	٣٤٠
الجدُّ	الجدُّ	١٥	٣٥٩
بدر	بدر	٢	٣٦٣

بعون الله وبحملى توفيقه قد تم طبع الجزء السابع عشر من كتاب-
”نهاية الأرب فى فنون الأدب“ بمطبعة دارالكتب المصرية فى شهر رمضان
سنة ١٣٧٤هـ (مايو سنة ١٩٥٥م) ما

عبد الحميد نديم

ملاحظ المطبعة بدارالكتب المصرية.

(مطبعة دارالكتب المصرية ٥٣/١٩٥٠/٢٠٠٠)

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

فهرس

السفر السابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

- غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يتصل بذلك من الوقائع
التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات ١
- أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم ٢
- سرية عبيدة بن الحارث بن المطالب إلى بطن رابع ٢
- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار ٣
- غزوة الأبواء ٤
- غزوة بواط ٤
- غزوة بدر الأولى ٥
- غزوة ذي العشيرة ٥
- سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة ٦
- غزوة بدر الكبرى ١٠
- رؤيا عائكة بنت عبد المطالب وخروج قريش إلى بدر ١١
- خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين إلى بدر ١٥
- قتال الملائكة مع المسلمين ٢٦

صفحة	
	ورود الخبر بمصاب أهل بدر حل من بمكة من كفار قريش ، وهلاك
٣١	أبي لهب بن عبد المطلب
	تسمية من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله صلى الله
٣٣	عليه وسلم
٤٤	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة بدر
٤٤	تسمية من قتل من المشركين في غزوة بدر
٥١	تسمية من أسر من المشركين في غزوة بدر
	خبر أسارى بدر ، وما كان من فدائهم ، ومن من عليه رسول الله
٥٤	صلى الله عليه وسلم وأطلقه منهم ، ومن أسلم بسبب ذلك
٥٦	خبر أبي سفيان في أسر ابنه عمرو وإطلاقه
	خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه ، وإرساله زينب بنت رسول الله
٥٧	صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك
٦١	خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة
	من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر وأطلقه
٦١	بغير فداء
٦٢	خبر عمير بن وهب وإسلامه ، وإطلاق ولده وهب بن عمير
	سرية عمير بن عدى بن خرشة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من
٦٥	بنى أمية بن زيد
٦٦	سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عفاك اليهودى
٦٧	غزوة بني قينقاع
٧٠	غزوة السويق
٧١	غزوة بقرقرة الكدر

صفحة	
٧٢	مقتل كعب بن الأشرف اليهودى
٧٧	غزوة غطفان إلى نجد
٧٩	غزوة بنى سليم ببحران
٨٠	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٨١	غزوة أحد
١٠٠	خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
١٠٤	تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد
١٠٨	تسمية من قتل من المشركين يوم أحد
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى غزوة أحد، وما ورد فى تفسير ذلك
١١١	
١٢٦	غزوة حمراء الأسد
١٢٧	سرية أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى
١٢٨	سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلى
١٣٠	سرية المنذر بن عمرو الساعدى إلى بئر معونة
١٣٣	سرية مرثد بن أبى مرثد الغنوى إلى الرجيع
١٣٧	غزوة بنى النضير
١٤٠	ما أنزل الله عز وجل فى بنى النضير
١٤٨	قصة برصيصا
١٥٤	غزوة بدر الموعد
١٥٨	غزوة ذات الرقاع، وخبر صلاة الخوف
	خبر غورث بن الحارث المخأربى لما أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٩	

صفحة	
١٦٠	خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه
١٦٢	غزوة دومة الجندل
١٦٤	غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيج
١٦٦	غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ، ومن قتل من
١٧٨	المشركين
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق ،
١٧٩	وما ورد في تفسير ذلك
١٨٦	غزوة بني قريظة
	نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤال
	الأوس فيهم وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى
١٩٠	وقتلهم
١٩٧	سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بنجبر
٢٠٠	سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء
٢٠٠	غزوة بني لحيان
٢٠١	غزوة النسابة وهي غزوة ذى قرد
٢٠٣	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر
٢٠٤	سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذي القصة
٢٠٤	سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة
٢٠٥	سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى العيص

صفحة	
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
٢٠٧	سرية زيد بن حارثة إلى حسمى
٢٠٨	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى
٢٠٩	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
٢٠٩	سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك
٢١٠	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة
٢١١	سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بجحير
٢١٣	سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين
	سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن
٢١٤	حرب بمكة
٢١٧	غزوة الحديبية
٢١٨	تجمع قريش للحرب
	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش
٢٢٦	بمكة
٢٢٧	بيعة الرضوان
٢٢٩	ذكر هدنة قريش ، وما وقع فيها من الشروط
٢٣٤	رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ونزول سورة الفتح
٢٤٥	خبر أبي بصير بن أسيد بن جارية
٢٤٨	غزوة خيبر
٢٥٥	خبر بني سهم حين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٧	فتح الوطيح والسلام من حصون خيبر

صفحة	
٢٥٩	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر
٢٦١	قسم غنائم خيبر
٢٦٣	تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة التي خرجت للحمس ، وما أعطاهم منها
٢٦٦	خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله
٢٦٦	انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى ، ونومهم عن صلاة الصبح
٢٦٨	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة
٢٧٠	سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد
٢٧٢	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك
٢٧٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة
٢٧٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار
٢٧٤	سرية ابن أبي العوجاء السلمى إلى بني سليم
٢٧٤	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد
٢٧٦	سريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك
٢٧٦	سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبي
٢٧٧	سرية كعب بن عمير الفقاري إلى ذات أطلاق
٢٧٧	سرية مؤتة
٢٨٣	تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة
٢٨٣	سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

صفحة	
٢٨٤ سرية أبي عبيدة بن الجراح ، وهي سرية الخبط
٢٨٥ سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة
٢٨٦ سرية إلى بطن إاضم
٢٨٧ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
	خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة ، وإعلام الله تعالى
	نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك وأخذه الكتاب ، وما أنزل الله
٢٩١ عز وجل في ذلك من القرآن
٢٩٦ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة
	خبر أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مع
٢٩٧ رسول الله صلى الله عليه وسلم
	مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه
٢٩٩ وسلم ، وإسلام أبي سفيان ، وخبر الفتح
	دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة صلحا ، ودخول
٣٠٢ خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عنوة
٣٠٤ شعر ضرار بن الخطاب يوم الفتح
	من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكة وسبب
٣٠٧ ذلك ، ومن قتل منهم ، ومن نجا بإسلامه
	إسلام أبي حنيفة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
٣١٠ ابن مرة بن كعب
٣١١ إسلام عبد الله بن الزبير وشعره في ذلك
	دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطوافه بالبيت ، ودخوله
٣١٢ الكعبة ، وما فعل بالأصنام

صفحة	
٣١٤ سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها
٣١٥ سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكسره
٣١٥ سرية سعد بن زيد الأشملى إلى مناة
	سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،
٣١٦ وهو يوم الغميصاء
٣١٧ خبر عبد الله بن علقمة مع حبيشة ومقتله
٣٢٣ غزوة حنين إلى هوازن وثقيف
٣٣٥ سرية الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكفين
٣٣٥ غزوة الطائف
	مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ، وقسم مغنم حنين ،
٣٣٩ وما أعطاه المؤلف
	قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم
٣٤١ ورد السبابا إليهم
	تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها عند
٣٤٥ قسم مغنم حنين
	مقالة الأنصار فى أمر قسم الفىء ، وما أجابهم به رسول الله صلى الله
٣٤٦ عليه وسلم
	استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ،
٣٤٨ ورجوعه إلى المدينة
٣٤٨ سرية عينة بن حصن الفزارى إلى بنى تميم
٣٤٩ خبر الوليد بن عقبة بن أبى معيط مع بنى المصطلق
٣٥٠ سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

من نهاية الأرب

(ك)

صفحة	
٣٥٠ سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب
٣٥١ سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة
٣٥٢ سرية علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الفليس
٣٥٢ سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب
٣٥٢ غزوة تبوك
٣٥٦ سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك
٣٥٨ خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر وما قاله لأصحابه
	أخبار المنافقين ، وما تكلموا به في غزوة تبوك ، وما أنزل الله
٣٥٩ عز وجل فيهم من القرآن
٣٦١ خبر الثلاثة الذين خلفوا، وما أنزل فيهم وفي المعذرين من الأعراب
٣٦٨ سرية علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى اليمن
٣٧٠ سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشراة
٣٧١ حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره
٣٧٣ خطبته في حجة الوداع
٣٧٥ عمرة القضاء